سجل تحت رقم 1/919
بتاريخ 07 جوان 2008
الرقم

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان
كلية الآداب و العلوم الإجتماعية و الإنسانية
قسم اللغة العربية و آدابها

جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان
مكتبة الكلية
العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية

الأسماء العاملة عمل الفعل، دلالتها و سماتها البلاغية في القرآن الكريم

بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في اللّغة

إعداد الطالب :
عمر بومدين

أعضاء لجنة المناقشة :

- د. سيدي محمد غيثري ..... جامعة تلمسان ..... رئيسا
- د. عبد الجليل مصطفاوي ..... جامعة تلمسان ..... مشرفا
- د. سلامي عبد القادر ..... جامعة تلمسان ..... عضوا
- د. بوروبة المهدي ..... جامعة تلمسان ..... عضوا
- د. ديدوح عمر ..... جامعة تلمسان ..... عضوا

السّنة الجامعيّة: 1425-1426هـ/ 2004-2005م

الإهداء

إلى والديّ الكريمين اللذين مهّدا لي طريق الحياة.

إلى كل من أعانني على إكمال هذا البحث ولو بالكلمة الطيّبة .

إلى كل من احترق قلبه شوقا لطلب المعرفة.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله الأمين.

ليس من شكٍّ أنَّ التراث النحويَّ والصرفيَّ الذي تركه أَسْلَافُنَا نفيسٌ غاية النفاسة، وأنّ الجُهد الناجح الذي بذلوه فيهما خلال الأزمان المتعاقبة جهد لم يهيّئ للكثير من العلوم المختلفة في عصورها القديمة والحديثة، واقد كان نتاج جهدهم ذاك، بناء سامق من القواعد والأصول والتصنيفات المستنبطة من استقراءٍ لكلام العرب.

ومن المعلوم لدينا أن الدراسات اللغوية التي اشتملت عليها كتب النحو المتقدمة، شملت كل مستويات الدرس اللغوي الحديث، انطلاقا من دراسة الصوت المفرد، إلى دراسة الصيغ الصرفية، إلى دراسة التركيب، ووصولا إلى بعض الإشارات البلاغية المتعلقة بالأسلوب.

وهذه الخاصية في كتب النحو الأولى، تؤكد لدينا عدم وجود برزخ بين مستويات الدرس اللغوي، فلقد اعتمد الصرف على معطيات علم الأصوات، واعتمد النحو على الصرف، واعتمد علم المعاني على معطيات علم النحو.

ومن أمثلة هذا الترابط، أنّ النحاة الأولين قدّموا لدراسة النحو، بباب صرفي، هو باب الكلام وما يتألف منه.

وقد توصل النحاة إلى تقسيم لِلكلام إلى ثلاثة أصناف هي: الاسم والفعل والحرف، وقد وجدوا بعد هذا التقسيم مجموعة لغوية توسطت، بخصائصها، الأسماء والأفعال، فهي تقبل علامات الأسماء وتعمل عمل الأفعال وقد تنوب عنها أيضا.

واصطلحوا على تسمية هذه الفئة من الكلمات "بالأسماء العاملة عمل الفعل"، وهي تتكون من اسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، والمصدر، واسم التفضيل واسم الفعل.

وهذا الموقع المتميز لهذه الفئة في أقسام الكلام يجعلنا نراها خصيبة الدلالات، ومرتكزا للكثير من القيم البلاغية للتراكيب.

وفي رحاب هذه الرؤية يندرج موضوع البحث الذي نحن بشأنه، حيث نسعى أساسا إلى تتبع الدلالات والقيم البلاغية للأسماء العاملة عمل الفعل في القرآن الكريم.

ونتوخى من هذه الدراسة أيضا، التأكيد على الصلة المتينة بين مستويات الدرس اللغوي، وكذا الابتعاد عن جعل الصيغ الصرفية، وخصائصها النحوية، مجردَ تدريب لفظي، يحقق شروط القاعدة من غير التفات إلى المعنى أو إلى القيمة البلاغية الحاصلة من هندسة التركيب اللغوي؛ وذلك بمحاولة مزج قواعد النحو الشكلي بالتحليل الدلالي للأساليب.

ويدفعني إلى اختيار ما اخترته من موضوع لبحثي شعوري بضرورة النظر إلى بعض القضايا التي أفاض النحاة في شرح قواعدها وأحكامها، نظرة بلاغية تظهر جمال العبارة وأثر ذلك في بلاغة الأسلوب.

ومما يقوي هذا الدافع لديّ، ما وجدته من حاجة مكتباتنا إلى بحوث لغوية تقرب النحو من البلاغة وتعيد العلاقة بينهما إلى مكانها الصحيح.

كما لا أخفي أن ميلي إلى المواضيع اللغوية قد زاد من إقبالي على هذا الموضوع، وقد جاء اختياري للتطبيق في القرآن الكريم دون غيره، مدفوعا بالفائدة العلمية المتوخاة من دراسة قمة البلاغة العربية ونصها المعجز، وكذا المتعة العلمية الحاصلة من البحث عن الدلالات والنكت البلاغية داخل النص القرآني.

وقد تحدثت في المدخل عن علاقة البلاغة بالنحو، وقد رأيت لهذه العلاقة جوانب ثلاث هي العلاقة التاريخية، والعلاقة الموضوعية، والتقاءً للعلمين تحت راية نظرية النظم.

وخصّصت الفصل الأول للحديث عن الأسماء العاملة عمل الفعل في مستويات لغوية ثلاث؛ هي الصرف والنحو والدلالة، وهي محاولة لترتيب ما جاء مختلطا ومتفرقا من دراسة النحاة لها، أمّا الفصل الثاني فعقدته للبحث في الدلالات والقيم البلاغية لأسماء الفاعلين الواردة في القرآن الكريم، واكتفيت منها غالبا بما جاء معملا عمل فعله، وذلك لتوضيح أثر هذه العلاقة النحوية، المتمثلة في الإعمال، في دلالته وسماته البلاغية في التراكيب، وقد رتبت النماذج المختارة للدراسة ترتيبا ألفبائيا حسب موادها اللغوية.

أمّا الفصل الثالث فتناولت فيه الدلالات والقيم البلاغية لباقي الأسماء العاملة عمل الفعل، وهي المصادر وأسماء التفضيل وأسماء الأفعال وأسماء المفعولات والصفات المشبهة.

وقد سعيت بهذا التقسيم لإخراج البحث متناسق الأجزاء، متناسب أحجام الفصول.

وختمت بحثي بخاتمة أودعتها ذكر النتائج العامّة والخاصّة التي توصّلت إليها.

وقد أخذت بالمنهج الوصفي، وهو المنهج الذي تفرضه طبيعة الموضوع، إذ أقف على صيغ صرفية في تراكيب نحوية، أحاول أن اجليّ دلالاتها وقيمها البلاغية في القرآن الكريم، وقد استعنت بالإضافة إلى المنهج الوصفي، بالمنهج التاريخي الذي ساعدني في الوقوف على الوشائج التي تربط علم البلاغة بعلم النحو، واستعنت كذلك ببعض الأدوات المنهجية كالتحليل والمقارنة والإحصاء والمعيارية.

ولا يخلو الرجوع إلى مصادر هذا البحث المتشعبة، لجمع ما تفرق فيها من معلومات، من نصب كبير، وأهم هذه المصادر كتاب سيبويه، والأصول في النحو لابن السرّاج من المصادر النحوية، والكشاف للزمخشري وتفسير البيضاوي، وتفسير التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، من مصادر تفسير القرآن.

كما أفاد هذا البحث من المراجع الحديثة، كالنحو الوافي لعباس حسن وكتاب "صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم" للدكتور محمود توفيق محمد سعد.

ولا يسعني في ختام هذه المقدمة إلاّ أن أسجّل عظيم شكري وامتناني للأستاذ المشرف الدكتور عبد الجليل مصطفاوي على ما أولانيه من رعاية صادقة وتوجيه سديد، كان لهما الأثر الكبير في بلوغ البحث ما بلغ إليه، كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، بالمملكة العربية السعودية الذي لم يبخل عليّ بجملة نفيسة من المجلات والمقالات اللغوية.

تلمسان في: 27 شوال 1425هـ الموافق لـ 10 ديسمبر 2004م.

المدخل

علاقة البلاغة بالنحو

تمهيد:

كان العرب، وهم في عصرهم الجاهليّ، أمّةً أُميّةً يتكلّمون سليقةً ويتفاهمون سجيّةً، وكانت الملكة النحوية تنتقل من السلف إلى الخلف بدون تلقينٍ ولا تعليم، حتى إنّ قرّاء القرآن سُمُّوا بهذا الاسم لغرابة القراءة على غالبية العرب في أوّل عهد الإسلام[1].

ولم يكن العرب في حاجةٍ إلى علوم تضبط قوانين لغتهم، فقد كان اكتساب اللغة مردّه إلى الطبع ويحصل باستنشاق هواء البيئة العربية وشرب مياه الفصاحة من ينابيعها الصافية، وبهذا الطبع أجاب تميميٌّ عندما سئل، كيف تقول ضربت أخوك؟ فقال: أقول ضربت أخاك فأدير على الرفع فأبى وقال: لا أقول أخوك أبدا فقيل له: فكيف تقول أخوك أبدا؟ فقال: أيش هذا؟ اختلفت جهتا الكلام[2]؛ فقد عرف هذا العربيّ سليقة أن لفظ الأخ وهو من الأسماء الستة منصوب الموضع لأنه مفعول به في الحالة الأولى، وعندما تبدّلَ التركيب وأصبح مبتدأ فهو مرفوع بالواو، وقد جرى الكلام من التميميّ مجرى السليقة ولم تكن تخطر بباله أيّ من قواعد النحو ومصطلحاته.

وقد امتدت أغصان الفصاحة، امتدادا مثلته عيّنات قليلة من الأعراب البادين، حتى القرن الرابع، فقد سأل ابن جني (ت 392هـ) أعرابيًّا فصيحًا يدعى الشجريّ وابن عمٍّ له دونه في فصاحته، فقال لهما: كيف تَحقِّرَان حمراء؟ فقالا: حُمَيْرَاء فقال: فسوداء؟ قالا: سويداء ووالي عليهم أمثلة فعلاء أنثى أفعل وهما يجيبان بالصواب ودسَّ لهما علباء فقال ابن عم الشجري عُلَيباء وتبعَهَ الشجري ولمَّا هَمَّ بفتح الباء تراجع كالمذعور ثم قال: آه عُلَيْبيّ[3].

فقد عرف هذا العربيّ الفصيح دون استحضار قاعدة صرفيّة أنّ كسر ما بعد ياء التصغير ممتنع في أمثلة فعلاء أنثى أفعل، وليس لفظ علباء من هذه الأمثلة فيكسرُ فيه ما بعد ياء التصغير ويؤول إلى عليبيّ[4].

ولقد بدأت هذه الفصاحة الموروثة يأفل نجمها مع الفتوحات الإسلامية واختلاط العرب بالأعاجم، فكان لزامًا ظهور العلوم العربية حفاظًا على القرآن الكريم من أن يدبَّ اللحن إليه[5].

---

[1] ينظر: ابن خلدون: المقدّمة 446.
[2] ينظر: ابن جنّي: الخصائص 76/1.
[3] نفسه: 26/2.
[4] ينظر: أحمد الحملاوي: شذا العرف في فن الصرف 90.
[5] ينظر: تمام حسن: الأصول، دراسة ابستمولوجية لأصول الفكر اللغوي العربي 24.

وقد سارت هذه العلوم التي نشأت خدمَةً للقرآن الكريم في اتجاهين متداخلين، أحدهما يهدف إلى فقه نصوصه ووضع القواعد الّتي تَحْفَظُهَا من الزلل، والآخر يَسْعَى إلى اكتشاف خصائصه الأسلوبية التي كانت وما تزال أساس التحديّ ومناط الإعجاز، فمن الاتّجاه الأوّل وهو أوّل الاتجاهين ظهورًا من الناحية التاريخية كان علم النحو، ثم كان الاتجاه الثاني الذي مَثَّلَهُ البحث البلاغي[1].

ولأسباب تاريخية ولأخرى موضوعية فقد وُجدت علائق بين النحو والبلاغة، وهي علائق نقدم الحديث عنها بين يديّ دراستنا للأسماء العاملة عمل الفعل، دراسةً تنطلق ممّا يُقَدِّمُهُ علما النحو والصرف لتصل إلى اكتشاف بعض القيم البلاغية لتلك الأسماء داخل التراكيب والأساليب المختلفة.

1- العلاقة التاريخية بين النحو والبلاغة :

لقد كانت اللغة العربية منذ نشأتها عزيزة على أهلها، محبّبة إليهم، مفضلة لديهم، أثيرة عندهم، فهي دائما محل عنايتهم وموضع رعايتهم، وهي أداة فعّالة من أدوات تفاخرهم، وكان المتفوّق فيها موضع التقدير ومحل التكريم والتعظيم وتشهد بذلك المعلقات والأسواق. ثم أكرم الله تعالى هذه اللغة بنزول القرآن الكريم بها، فقوى منزلتها ودعم مكانتها، وزادها رفعة وعزة، وأصبحت هي اللغة الأولى لجميع المسلمين؛ لأنها لغة الكتاب المبين، ولأنها أيضا من الأدلة الواضحة على إعجاز القرآن.

ولقد كانَ العربُ حريصين على لغتهم وسلامة ألسنتهم، وكانُوا لا يلحنون بفطرتهم ولا يُخطِئون سجيَّةَ، إلى أن جاء الإسلام وأظهره اللهُ على سائر الأديان فدخل الناس فيه أفواجًا، وانطوى تحت رايته أصحاب اللغات المختلفة والألسنة المتعدّدة، وحدث الاختلاط والامتزاج والتلاحم بين العرب وغيرهم، وكان هذا نذيرًا بدخول اللّحن في كلام العرب.

والحقُّ أنّ اللحنُ قد وُجِد في اللّغة العربية منذ عهد مبكِّر، فقد ظَهَرَ في كلام الموالي والمتعربين منذ عهد النبيّ ﷺ[2]، وكذلك قال أبو بكر رضي الله عنه: "لأَنْ أقرأ فأسقط أحَبُّ إليَّ من أن أقرأ فألحن"[3]، وهو يقصد قراءة القرآن الكريم، وفي كلامه

---

[1] ينظر: شفيع السيد: البحث البلاغي عند العرب تأصيل وتقييم: 16.
[2] ينظر أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين 10.
[3] جلال الدين السيوطي: المزهر: 39/2.

إشارة إلى أنّ اللّحن قد وُجد وذَرَّ قرنُه، وهو أشدّ ما يكون قبحًا، إذا وقع في القرآن الكريم.

وقد شمل الخطأ اللغوي مجالات أخرى سوى القرآن الكريم، فقد رُوي أن كاتبا لأبي موسى الأشعري كتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطابا بدأه بقوله:"من أبو موسى الأشعري إلى عمرٍ" فكتب عمر لأبي موسى قائلا: أمّا بعد فاضرب كاتبك سوطًا واحدًا[1] فالكاتب غفل عن جرّ الأب وهو من الأسماء الستّة التي تجر بالياء، ومن ذلك أيضا ما رواه ابن قتيبة من أنّ أعرابيا سمع مؤذنًا يقول: أشهدُ أن محمدا رسولَ اللهِ بنصب كلمة الرسول،فقال:ويحك يفعل ماذا؟.فقد عرف الأعرابيُّ سليقة أن المؤذن قد لحن، وأن اسم إنّ وهو لفظ محمد قد بقي بلا خبر لأن المؤذن جعل لفظ الرسول وهو الخبر بدلا.

وإذا كانت هذه الأخطاء وغيرها سببًا من أسباب التفكير في وضع علم النحو، فإنّ السبب المباشر لوضع هذا العلم هو اللحن في القرآن الكريم، يقول أبو البركات الأنباري: إنّ سبب وضع عليّ – رضي الله عنه – لهذا العلم أنّه سمع أعرابيًّا يقرأ لا يأكله إلاّ الخاطئين فوضع النحو"[3].

وتحت طائلة اللحن في القرآن دائما، تعود بعض الروايات بالأمر بإنشاء النحو إلى عهد عمر بن الخطّاب – رضي الله عنه – حينما علم أنّ أعرابيًّا سمع رجلا يقرأ ﴿أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ المشْرِكِينَ وَرسوله[4]﴾، بكسر اللام في كلمة رسوله فقال الأعرابيّ: أوَ قد برئ الله من رسوله؟ إن يكنْ برئ من رسوله فأنا أبرأ منه، فدعاه عمر وقال له: أتبرأ من رسول الله، فحكى الأعرابيّ ما سمع من الرجل، فصحّح عمر له الآية وقرأها برفع اللام في "رسوله"، فقال الأعرابيّ على الفور: وأنا والله أبرأ ممن برئ الله ورسوله منه، ثم أمر عمر أبا الأسود الدؤلي بأن يضع علم النحو.[5]

---

[1] ينظرابن جني الخصائص 408/1 وياقوت الحموي، معجم الأدباء 82/1.
[2] ينظرابن قتيبة: عيون الأخبار 158/2.
[3] أبو البركات الأنباري: نزهة الألباء في طبقات الأدباء1، وقد وقع اللحن في الآية37 من سورة الحاقة، والصواب، الخاطنون بدل الخاطئين.
[4] التوبة 3.
[5] ينظر: أبو البركات الأنباري: نزهة الألباء في طبقات الأدباء 19-20،
وينفي بعض الدارسين المحدثين أيّ عمل لأبي الأسود في أبواب النحو المنسوبة إليه، ويرى هؤلاء أنه لم يكن إلا سببا في بدء التفكير في علم النحو من خلال وضعه نقط الإعراب. ومنهم أحمد أمين، ينظر كتابه ضحى الإسلام:287/2 وكذا شوقي ضيف، ينظر كتابه المدارس النحوية 16.

وهذه الروايات وغيرها، وإن اختلفت في أوّل واضع لأولى أبواب النحو، وهو خلاف ضربنا عن أكثر صفحًا وطوينا عنه كشحًا، إلاّ أنها تكاد تجمع على أنّ السبب المباشر لوضع الأساس للبناء النحوي، هو اللحن في القرآن الكريم.

ولم يكد هذا البناء يتكامل على أيدي الغيورين على القرآن، حتى ظهرت طائفة من الملاحدة الشعوبيين الذين أنكروا للقرآن أي مزيّة في الفصاحة[1].

وقد هبّ العلماء للبحث عن إعجاز القرآن للغوي ردًّا على هؤلاء المنكرين إحساسًا بعلو مرتبة القرآن عن كل كلام. "فهو جنس من الكلام لم تجر العادة بمثله عند العرب، وقد جاءهم بطريقة في البيان خارجة عمّا اعتادوه.[2] وقد أظهر الطعن في القرآن ومحاولات العلماء الجادّة لدفعه وبيان زيفه، تلك القضيّة الّتي شغلت الفكر الإسلامي منذ القرن الثاني للهجرة، وهي قضيّة الإعجاز، وبما أنَّ المتكلمين كانوا يومئذ يُمَثِّلونَ جبهةَ الدفاع عن الإسلام وما يثار حوله من شكوك، فقد دافعوا عن إعجاز القرآن بسلاح من دراسة أساليبه، للكشف عن خصائصها وروعتها.[3] وكان من ثمار جهودهم استخراج أصول بلاغية.[4]

ولن نكون مبعدين إذا قلنا إن علم البلاغة إنما نشأ في بيئة المتكلمين والباحثين في الإعجاز وهذه البيئة هي التي صنعت منه علما مستقلا له أصوله وقواعده، وأن العاطفة الدينية كانت أهم دافع سار بالبحث البلاغي حتى استوى على الصورة التي نعرفها.[5]

ولم تكنِ علاقة الدين بمنهج البحث البياني مقصورة على الدفاع عن القرآن الكريم والتماس وجه إعجازه من طريق بلاغته، بل إن له به علاقة أخرى وهي "الضرورة التي يحسها المسلم من جهة فهم معانيه، وهو فهم لا يتم إلا بالتعرّف على

---

[1] ومنهم حماد كجرد وحماد الرواية وبشار بن برد وابن المقفع ومطيع بن إياس وصالح بن عبد القدوس ينظر: د- سيد عبد الفتاح حجاب "نظرية" النظم عند عبد القاهر الجرجاني وصلتها بقضيّة اللفظ والمعنى 282، مقال بمجلة كليّة اللغة العربيّة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – المملكة العربية السعوديّة عدد 09، 1399هـ-1979م.

[2] ينظر: القاضي عبد الجبار الأسد أبادي: المغني في أبواب التوحيد والعدل: 216/16.

[3] لقد جعل أبو الهلال العسكري تعلم البلاغة والفصاحة طريقا لمعرفة إعجاز القرآن يقول "وقد علمنا أن الإنسان إذا أغفل علم البلاغة وأخلّ بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصّه الله من حسن التأليف وبراعة التركيب وما شحنه من إيجاز بديع" الصناعتين: 251.

[4] ومثال ذلك مؤلف الرماني الموسوم: النّكت في إعجاز القرآن وهو من كتب الدفاع عن الإعجاز، وقد اشتمل على ذكر أبواب من البلاغة حددها الرماني بعشرة أقسام هي "الإعجاز والتشبيه والاستعارة والتلاؤم والفواصل والتجانس والتصريف والتضمين والمبالغة وحسن البيان"ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للخطابي والرماني وعبد القاهر الجرجاني60.

[5] ينظر:د. السيد أحمد خليل: المدخل إلى دراسة البلاغة العربية39 وكذا: أحمد جمال العمري: المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني نشأتها وتطورها حتى القرن 7هـ-39-40 ورجاء عيد: في البلاغة العربية:12.

أساليبه، وما يكمن وراء تعبيراته من المعاني والمقاصد وهي غاية لا تقل أهمية عن التصدي لهجمات الطاعنين".[1]

والآن وبعد هذه اللمحة عن نشأة العلمين يمكننا أن نقول إنّ أولى علاقة قائمة بينهما هي تلك العلاقة التاريخية، فقد نشأ النحو والبلاغة واستويا على سوقها تحت راية القرآن وخدمة له[2]، وكان الغرض الديني بارزا في توجيه هذين العلمين.

ولا تقف العلاقة التاريخية بين النحو والبلاغة عند هذا الحدّ، فلقد احتضن النحو الكثير من الإشارات البلاغية الأولى، ذلك أنّ العلوم اللغوية كانت تخدم بعضها بعضًا، ولم تكن منفصلة عن النحو، ولم نر سيبويه يحدث شرخًا بين العلمين. ولم تكن دائرة البحث النحوي في مصادرها الأولى تقف عند حدود النظر في أواخر الكلمات، وإنما كانت تتناول في كثير من الأحيان النظر في الأسلوب من ناحية صحته وفساده ومطابقته لغرض المتكلم. ولقد أدرك النحاة الأوائل أثر نظم الكلمات، فاشتملت كتبهم على شرح للعبارات التي حدث فيها تصرّف بلاغي، فقد تعرّض سيبويه في كتابه لبعض الخصائص الأسلوبية التي عني بها فيما بعد علم المعاني، مثل التقديم والتأخير والتعريف والتنكير والحذف، يقول مثلا في سرّ بلاغة التقديم عند جواز تقديم المفعول على الفاعل "كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم".[3]

2-اعتماد البلاغة على معطيات النحو:

لاشك أن الدرس البلاغي لم ينطلق من فراغ، ولما كان النحو يمثل "مجموع القواعد التي تحدد السلوك اللغوي في بناء الأسلوب وهندسة العبارة"[4]، فلقد استفاد البلاغيون من كثير من الأصول والمعايير النحوية.

وقبل الحديث عن تلك الأصول المستفادة من النحو، لا بد من الإشارة إلى أنّ تحديد النحاة للبيئات الفصيحة التي أخذوا عنها مادتهم اللغوية هيّأ العمل اللغوي ليكون

---

[1] بدوي طبانة: البيان العربي: دراسة في طور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها 19-20.

[2] وقد مدت البلاغة يرافدها آخر مثلته جهود اللغويين والنقاد الأوائل في البحث عن أسرار البلاغة في منثور الكلام ومنظومه، وهي جهود لوضع معايير لتذوق جمال الأساليب والاحتذاء حذوها في النظم أو النثر، فالبلاغة في هذا الجانب ترسم أنجح الوسائل التي يعتمد عليها الأديب ليبلغ بصناعته ما يريد. ينظر: تمام حسان: الأصول 298.

[3] سيبويه: الكتاب: 15/1 وكذلك فقد وردت صور بلاغية في كتاب الفرّاء: معاني القرآن: مثل إشارته إلى الاستعارة دون تسميتها في قوله تعالى: "وإنهما لبإمام مبين" الحجر 79، يقول: "بطريق لهم يمرون عليها في أسفارهم، فجعل الطريق إماما لأنه يؤمّ ويُتبع" الفرّاء: معاني القرآن:531/2.

[4] د السيد أحمد خليل: المدخل إلى دراسة البلاغية العربية 81.

بيئة من البيئات الصالحة لبروز المسائل الفنية. ذلك أنّ المستوى اللغوي الذي اعتمده النحاة لوضع القواعد، مستوى فصيح فيه من الخصائص الأسلوبية ما يسمح بظهور ملاحظات بلاغية[1].

ولقد اعتمد البلاغيون على قواعد النحو وأصوله عندما تحدثوا عن ضعف التأليف والتعقيد اللفظي، وهما من الأسباب المخلّة بفصاحة الكلام فإذا ذكر المتكلم المضمر قبل ذكر مرجعه مثل: قتل آسرُه الأسيرَ، لم يكون كلامه فصيحا ومثله الإتيان بالضمير متصلا بعد إلاّ ونصب المضارع بدون ناصب مذكور في الكلام، وغير ذلك مما يخالف قواعد النحو. واتّقاء ضعف التأليف والتعقيد مرجعه إلى المعرفة التامة بقواعد النحو، فهو العلم الذي يبحث في طرق استعمال الكلمات على الوجه الصحيح في تركيب الجمل، "ومن تمرّس بهذا العلم ووقف على أصله استطاع أن يصوغ الكلام سليما من شوائب الضعف والتعقيد."[2]

ويلتقي علم النحو الذي هو علم التراكيب بالبلاغة في شقها الذي يتخذ التراكيب مجالا لبحثه أيضا وهو علم المعاني الذي يتتبع "خواص تركيب الكلام في الإفادة وما يتصل به من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره".[3]

فالنحو والبلاغة كلاهما يُعنى بسلامة اللغة وملاءمتها للظرف الذي تستخدم فيه، وعلم المعاني يرتكز على معطيات النحو العربي في كثير من مباحثه، فقد تنبَّهَ النحاة إلى أشكال رصف الجمل العربية وتكلّموا في تقلبات الجملة بحسبها، فخلصوا إلى ظواهر الذكر والحذف والإظهار والإضمار والفصل بين المتلازمين، فانتفع أصحاب المعاني بذلك واستقصوا الفوائد الأسلوبية للذكر والحذف والإظهار والإضمار.[4]

وقد زاد البلاغيون على النحاة دراسة التركيب بما يحمله من قيم جمالية، وحين توقف النحاة عند الجواز وعدمه ومالوا إلى البحث في أجزاء الجملة وأركانها متفرقة، عرج علماء المعاني على ما تحمله هذه الأجزاء متصلة من إيحاءات المعنى ورونقة؛ فالبلاغة تدرس أسلوب التركيب لا التركيب نفسه.[5]

---

[1] ينظر: حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب 48.
[2] عبد العزيز قليقلة: البلاغة الاصطلاحية:32.
[3] أبو يعقوب السكاكي:مفتاح العلوم 86.
[4] ينظر: تمام حسان: الأصول: 341.
[5] وهذا لا ينفي أن النحاة كانوا في كثير من الأحيان ذوي نظرة بلاغية، ومن ذلك حديثهم عن ظواهر القبح في الإستعمال مثل قبح الفصل بن المتضايقين؛ فليس القبح معيارًا من معايير النحاة الدقيقة بقدر ما هو حرص منهم على سلامة المعنى والبعد به عن الاضطراب.

ومن الثمار التي قطفها البلاغيون من شجرة النحو: أصل الوضع فالجملة عند النحاة تقوم على ركنين هما المسند والمسند إليه،والأصل فيهما أن يكونا مذكورين ظاهرين لا محذوفين ولا مضمرين فإن جاء، على هذا الأصل أو حدث فيهما عكس ذلك بالحذف أو الإضمار، تولى علم المعاني الكشف عن سرّ هذه التصرفات الأسلوبية المطابقة أو المخالفة لأصل الوضع.

وقد استفاد علماء المعاني أيضا من قرينة الرتبة النحوية، فقد أصّل النحاة للمراتب المحفوظة في بناء الجملة العربية، مثل قولهم: الأصل في المسند أن يتقدم وفي المسند أن يتأخر، والأصل في العامل أن يتقدم على المعمول والأصل في المفعول الأوّل أن يتقدم على المفعول الثاني والأصل في المبتدأ أن يتقدم على الخبر، وكان ثمرة استفادة علماء المعاني من هذا مبحث التقديم والتأخير البلاغي، وقد كان اهتمام البلاغيين بالرتبة غير المحفوظة أكبر لأنها مظنّة اختلاف الأساليب.[1]

وقد أخذ علماء المعاني عن النحاة عددا من الأصول المعنوية التي لا تخضع للمبنى أو بنية الجملة وجعلوها إطارا فكريا عاما يتناولون موضوعهم من خلاله ومن هذه الأصول: الأصل في الجملة الاسمية أن تفيد ثبوت الحكم دون نظر إلى تجدد أو استمرار، والأصل في الجملة الفعلية أن تفيد التجدد في زمن معيّن مع الاختصار، وقولهم: الخطاب بالجملة الاسمية آكد من الخطاب بالجملة الفعلية، وكذا أصول أساليب الإنشاء[2]؛ مثل الأمر والنهي والاستفهام، والتعجب. فمن هذه الأصول انطلق علماء المعاني يدرسون التغييرات والتصرفات وخروج هذه الأساليب عن معناها الأصلي إلى أغراض ودلالات أخرى[3].

وكثيرا ما لجأ البلاغيون إلى تخيّل أصل للمثال أو قالب أصلي للجملة حتى يتسنّى لهم شرح ما يحمله التصرف الأسلوبي من قيم بلاغية، وعملهم هذا سيرٌ في خطى النحويين الذين سبقوهم بتخيّل أصول الأمثلة وأصول الأوزان الصرفية لتفسير ظواهر الحذف مثل قولهم بحذف فعل قبل المنادى تقديره أنادي وقولهم بحذف فعل الأمر وبقاء مصدره المنصوب نائبا عليه. وقولهم أصل قال هو قول: وأصل قائل هو قاول،وذلك لتفسير ظواهر الإبدال الصرفي.[4]

---

[1] ينظر: تمام حسان: الأصول 341.
[2] نفسه345- 346.
[3] مثل خروج الأمر عن معناه الأصلي للدلالة على الدعاء والإرشاد والتعجيز والإهانة وغيرها ودلالة الاستفهام على التعجب والاستبعاد والتكثير: ينظر: السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة 71-72-84.
[4] ينظر: تمام حسان:الأصول 133 وما بعدها.

وهاهو ذا السكاكي يحدثنا عن قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾[1] وكيف تنقلب بالآية الأحوال حتى صارت إلى هذه الحال؛ يقول "لا شبهة بأن أصل معنى الكلام ومرتبته الأولى يا ربّي قد شِخت فإن الشيخوخة مشتملة على ضعف البدن وشيب الرأس المتعرض لها، ثم تركت هذه المرتبة لتوخي مزيد التقرير لاشتمالها على التصريح إلى ثالثة أبلغ وهي الكناية في وهنت العظام ببدني".[2]

إلى أن يصل السكاكي إلى القول: "ثم لطلب شمول وهن العظام فردا قصدت مرتبة ثامنة،وهي ترك جميع العظام إلى الإفراد لصحة حصول وهن المجموع بالبعض دون كل فرد ما ترى وهو الذي في الآية".[3]

وما كان تخيّل السكاكي لجملة أصلية إلاّ وسيلةً لتبيين درجات ثمانية ارتقت فيها الآية إلى مرتبة البلاغة المعجزة.

ومن جهة أخرى فإن البلاغة هي امتداد للنحو؛ لأنها تتناول القواعد عند استعمالها بالفعل إفرادا وتركيبا، فتبحث في العلاقة بين الألفاظ من جهة والمقصود من استعمالها من جهة ثانية؛ فالنحوي والبلاغي كلاهما يتعامل مع الأداء اللغوي، ويفترقان في أنّ : "النحوي ينظر في دلالة الألفاظ على المعاني من جهة الوضع اللغوي، وتلك دلالة عامة، وصاحب البيان ينظر في فضيلة تلك الدلالة وهي خاصة، والمراد منها أن تكون على هيئة مخصوصة من الحسن، وذلك أمر وراء النحو والإعراب، ألا ترى أن النحوي يفهم معنى الكلام المنظوم والمنثور، ويعلم مواقع إعرابه ومع ذلك فإنّه لا يفهم ما فيه من الفصاحة والبلاغة".[4]

والحق أن البلاغة والنحو يكمّل أحدهما الآخر، وما بدأ البلاغيون التفكير في موضوعهم من العدم وإنما استفادوا ممّا قدّمته جهود النحاة واللغويين قبلهم، وزادوا عليهم تناول أنواع التراكيب من إثبات ونفي واستفهام وغيرها،لا على طريقتهم من التركيز على الأدوات والمكونات ونسبة المعنى إليها، وإنما على طريقة النظر في التركيب نفسه من جهة أسلوب وصفه وطرق التعبير به وما فيه من إيجاز وإطناب، وعملهم هذا يحسن أن يكون قمة الدراسة النحوية أو فلسفتها.[5]

---

[1] مريم 04.
[2] السكاكي المفتاح: 113.
[3] نفسه : 113
[4] ابن الأثير: المثل السائر:39/1.
[5] ينظر: تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها 18 وصالح بلعيد: التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند عبد القاهر الجرجاني: 42

ولقد أعاد الإمام عبد القاهر الجرجاني العلاقة بين العلمين إلى مكانها الصحيح عندما جعل النظم، الذي هو مدار الإعجاز اللغوي للقرآن، في توخي معاني النحو والالتزام بقواعده.

3- نظرية النظم رباط بين النحو والبلاغة

قلنا سابقا إن ساحة إعجاز القرآن كانت مضمارا تسابق فيه البلاغيون والمتكلمون وغيرهم، وجاءوا ببحوث قيمة ونظريّات مختلفة وأهمها على الإطلاق نظرية النظم.

وإذا كان النظم لا يكاد يذكر إلا ومعه اسم عبد القاهر الجرجاني، "فإن النظم قبل أن يرتفع إلى مستوى النظرية يسبق عبد القاهر وعصره بزمن طويل"[1] فقد وردت إشارات إلى النظم عند كل من الجاحظ في كتابه "نظم القرآن" وإن كنا لا نعرف ما قصده بالنظم، وعند الرماني والخطابي والقاضي عبد الجبار برؤى مختلفة.[2]

ونظرية النظم التي شكلت عند عبد القاهر مرجع إثبات الإعجاز، قد اتّضحت معالمها واشتدَّ عودها في كتابيه "دلائل الإعجاز" و "أسرار البلاغة".

وقد جعل النظم في توخي معاني النحو والتقيّد بقواعده، يقول:"واعلم أن النظم ليس إلاّ أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخلّ بشيء منها".[3]

ويشفع عبد القاهر تعريفه للنظم بأمثلة يكشف بها الغطاء عن الفروق الدلالية والقيم البلاغية التي تأتي من هندسة التأليف اللغوي للكلمات وفق قواعد النحو، فيقول: "فإنّا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروق، فينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قولك، زيدٌ منطلق وزيد ينطلق وينطلق زيد ومنطلق زيد، وزيد المنطلق... وفي الشرط والجزاء إلى الوجوه التي تراها في قولك: إن تخرجْ أخرجْ، وإن خرجتَ خرجتُ وإن تخرج فأنا خارجٌ... فيعرف لكل من ذلك موضعه ويجيء به حيث ينبغي له."[4]

---

[1] د. السيد عبد الفتاح حجاب: نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني وصلتها بقضيّة اللفظ والمعنى 281، مقال بمجلة كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية السعودية، عدد 1399/9هـ - 1979م.

[2] نفسه 281 وما بعدها.

[3] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز: 81، وينظر تأكيده على هذه الفكرة وتعريفه النظم على أنه توخي معاني النحو، الدلائل: الصفحات: 49، 55، 378، 405.

[4] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز: 81، 82.

وهذه الجمل وإن اشتركت في الصّحة من وجهة النظر النحوية، فإن مهمة النظم أن يتخيّر منها أنسبها للمقام، وذلك أن مهمة النحو تقف عند "العصمة عن الخطأ في تأدية أصل المعنى."[1]، بينما يتجاوز علم المعاني ذلك، لأن مهمته بعد تحقّق الصحة اللغوية والفصاحة: "العصمة عن الخطأ في تطبيق الكلام لمقتضى الحال".[2]

ولا يحسن نظم الكلام إذن إلا إذا التزم بمعايير النحو وقواعده مع موافقة مقتضى الحال أو المقام الذي يقال فيه، وبهذا تكون نظرية النظم حلقة ربطت بين البلاغة والنحو.

ويؤكد عبد القاهر أن كل حسن بلاغي إنما مَرجعه إلى تقيّد بقواعد النحو وأحكامه مع موافقة المقام؛ يقول: " فَلَسْتَ بواجد شيئا يرجع صوابه إن كان صوابا، وخطؤه إن كان خطأ إلى النظم،ويدخل تحت هذا الاسم إلاّ وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه ووضع في حقّه."[3]

ومعنى هذا أن النظم وتأليف الكلام لا يمكن أن يخرج عن معاني النحو وأحكامه، ودرجات البلاغة على تفاوتها، سواء منها ما كان في طوق البشر أم ما ارتقى إلى مرتبة الإعجاز لا تخرج عن هذه المعاني المعروفة من ذكر أو حذف، أو تعريف أو تنكير، أو تقديم أو تأخير... أو نحو ذلك.

كما يفهم من كلامه أيضا أن إدراك هذه المعاني في أنفسها ليس موضع فضل، وإنما الفضل في وضعها حيث يحسن أن توضع وتصوّر الغرض أدق تصوير، وذلك يقتضي التخيير والانتقاء، وهو ما عبّر عنه عبد القاهر ب: "توخي معاني النحو".

وهنا تجدر الإشارة إلى فرق بين النحو وبين توخي معانيه، فالنحو يرسم الطريق للأسلوب الصحيح الذي يطابق أوضاع اللغة العربية وليست هذه غاية النظم الذي أراده عبد القاهر مرجعا للإعجاز، لأنه لا يقف عند حدود صحة الأسلوب وإنما يختار من أوضاع هذه الأساليب أنسبها للمقام وإن اتفقت جميعها في الصحة. وهذا يؤدي بنا إلى القول بأن أحكام النحو ومعانيه منتهية بينما تبقى صور النظم ودقائقه ليس لها حدٌّ ولا نهاية، لأنها تعكس الانفعالات والخلجات النفسية وتخضع للمقامات المتعددة.

---

[1] حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: 11.

[2] نفسه: 11.

[3] عبد القاهر الجرجاني:دلائل الإعجاز: 83،

والحق أن عبد القاهر الجرجاني بنظريته في النظم قد ربط بين البلاغة والنحو، وفتح الباب لمن أرادوا أن يكون النحو: "هو قانون تأليف الكلام وبيان ما يجب أن تكون عليه الكلمة في الجملة والجملة مع الجمل حتى تتسق العبارة ويمكن أن تؤدي معناها."[1]

وبهذه النظرية ينكشف ضباب التعقيد والجمود الذي لفَّ النحو؛ ليصبح عند عبد القاهر نحوا فنيًّا ينطلق إلى آفاق الجملة وجمال الأساليب،لأنه قد مدّ البصر إلى ما هو أبعد من الصحة اللغوية ليصل إلى معرفة سر الحسن والبلاغة.

وممّا سبق تتَّضح العلاقة الوثيقة بين البلاغة والنحو تحت راية النظم، كما تتضح في نفس الوقت الفروق الواضحة بين العلمين عند عبد القاهر، "فإذا كان النحويون قد بحثوا في تعليق الكلم بعضها ببعض وفي أسباب هذا التعليق أحيانا فإن عبد القاهر قد بحث، عن طريق نظريته في النظم، في ضرورة هذه الأسباب وفي الانتحاء بها ناحية جمالية يظهر فيها الذوق وتثبت لها المزية[2]"، وإذا اهتم في حديثه عن النظم بالنحو "فليس اهتمامه به لذاته ولا لإعرابه ولا لتحديد أنواعه وكلماته بل لوضعه وترتيبه من تقديم وتأخير وتمييز وتوكيد، وإذا عرفت ما يوجب هذه العلل ولم تقتصر على مواضعها فحسب،ومن هنا تنقلب هذه العلل نكتا بلاغية تستحق أن تدرس في البلاغة"[3].

ولنا أن نقول أنْ لابد من دراسة النحو ومعرفة معانيه، وإدراك الفروق بين هذه المعاني لأن ذلك ضروري لمعرفة مرجع البلاغة، من هنا ترتبط البلاغة باعتبارها من معايير النقد الأدبي بالنحو ارتباطا وثيقا، لأنها بمعرفة الذوق الأدبي المثقف ستبدأ مهمتها معتمدة على معطيات النحو.

---

[1] إبراهيم مصطفى: إحياء النحو:01.
[2] ينظر: د. إبراهيم سلامة: بلاغة أرسطو بين العرب واليونان: 249، 250.
[3] نفسه 254.

الفصل الأول

الأسماء العاملة عمل الفعل في مستويات لغوية ثلاث: الصرف والنحو والدلالة

ينتمي أكثر الأسماء العاملة عمل الفعل، وهي مجموعة لغوية خاصة، إلى المشتقات العشر المعروفة، ويمثل باقيها أسماء الأفعال التي هي أسماء أكثرها جامد. وهي ستة أنواع: اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة واسم التفضيل والمصدر واسم الفعل، وكلها مشتقة من الفعل ماعدا الخلاف على المصدر وعلاقته بالاشتقاق*، وكذلك الجمود في أحد قسمي أسماء الأفعال، إذ منها السماعي ومنها القياسي[1].

وتشكل هذه الأسماء، التي هي موضوع دراستنا، مجموعة التقاطع بين خصائص الأفعال وخصائص الأسماء؛ فهي تشبه الفعل شبها معنويا في الدلالة على الحدث، وتعمل عمله في الرفع للفاعل أو نائبه والنصب للمفعول، أو في الاشتمال على الضمير، وقد تشرب الدلالة على الزمن في السياق الذي ترد فيه. كما تشبه الاسم شبها لفظيا أو شكليا بقبول علاماته مثل التنوين والجروأل التعريف[2].

وتعد هذه الأسماء فروعا للعمل النحوي بالنسبة للفعل، قياسا على قواعد النحاة؛ فلا يرفع اسم الفاعل الظاهر إلاّ بشروط تقربه من الفعلية وتبعده عن الاسمية، وهو ما يسميه النحاة بالاعتماد، ومثله في ذلك اسم المفعول، وكذا لا يرفع اسم التفضيل الظاهر إلاّ إذا صح وقوع الفعل موقعه، وأعملت أسماء الأفعال لأنها بمعنى الفعل، وأعمل المصدر لشبهه بالفعل في الدلالة على الحدث[3].

والحق أنّ عمل هذه الأسماء، وإن كان سببه النحويّ هو شبهها بالفعل من وجوه مختلفة، فـإنّ السبب الحقيقيّ لعملها هو الاستعمال اللغوي لفصحاء العرب[4].

أولا: نظرية العامل بين المؤيدين والمعارضين:

لقد أخذنا بتسمية مجموعة المشتقات موضوع دراستنا، بالأسماء العاملة عمل الفعل، وهناك من يفضل وسمها بالمشبهات بالأفعال متجانفا بذلك عن فكرة العمل النحوي. لأن نظرية العامل والمعمول، وإن كانت مرتكزا أساسيا للنحو العربي وأصوله، فهي عند طائفة من الدارسين نظرية لا تقدم للواقع اللغوي أيّ فائدة علمية، وكان الأجدر في رأيهم أن يتجه النحاة إلى " وصف الواقع اللغوي بعيدا عن متاهات

---

* فقد ذهب البصريون إلى أن الفعل مشتق من المصدر، ورأى الكوفيون العكس، أي أن المصدر مشتق من الفعل وفرع عليه، ينظر: أبو البركات الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف:240/1.

[1] ينظر: محمد عبد الرحمن الريحاني: اتجاهات التحليل الزمني في الدراسات اللغوية:135

[2] ينظر: فخر الدين قباوة: إعراب الجمل وأشباه الجمل:34

[3] ينظر: أبو بكر بن السراج: الأصول في النحو:293/1.

[4] ينظر: عباس حسن: النحو الوافي: 247/3.

الفلسفة والمنطق، وذاك المنطق وإن أفاد في مجالسهم الكلامية فهو غير مفيد في الدرس اللغوي"[1].

ولقد كان دافع النحاة إلى هذه النظرية هو تعليل الظاهر اللغوية، وهو ما دفعهم إلى استنتاج أن تغير الحركات في أواخر الكلمات المعربة يتم بتغير ما يسبقها فسموا ما يسبق الكلمة عاملا والكلمة معمولا[2]. ويرى أنيس فريحة أن اعتماد النحاة هذه النظرة في تفسير الظواهر اللغوية كان نتاج انحرافهم عن المنهج الوصفي ودخولهم حمأة المنهج الفلسفي، الذي لم يكن مناسبا لبحث هذه الظواهر[3]. ويرى تمام حسان أن النحاة اقتصروا في هذه النظرية على بحث قرينة لفظية واحدة هي قرينة الإعراب، فكان قولهم بالعامل تفسيرا لاختلاف هذه العلامات بحسب المواقع في الجملة[4].

ومجمل القول أن نظرية العامل قد تلقت الطعن من وجهين:

أولهما، أن النحاة كانوا يولون حركات أواخر الكلمات اهتماما كبيرا و حاولوا تفسير الرفع والنصب و الجزم والجر بعلة أو سبب، معتمدين على مبدأ العلة والمعلول الفلسفي، فقالوا بعمل بعض أجزاء الكلِم في البعض الآخر، ونسبوا التغيرات الإعرابية إلى العامل وحده مع أنه لا يعمل شيئا والعمل للمتكلم.

ثانيهما: أن النحاة بحثوا في بعض التراكيب العربية الصحيحة عن العامل فلم يجدوه، فاضطروا أن يقدروه وأن يفترضوا وجوده ويتكلفوا في ذلك.

والحق أن بعض التكلف قد ظهر بسبب هذه النظرية، عندما تخيل النحاة الكثير من العوامل المحذوفة مثل قولهم أن نصب المنادى إنما هو بفعل محذوف تقديره أنادي لا بياء النداء[5]، وهو قول يؤدي إلى تحول الجملة الإنشائية إلى جملة خبرية مقدرة، ويبدوا التكلف أيضا عندما يشتد الخلاف بين البصريين والكوفيين حول العامل في معمول معين،مثل اختلافهم في العامل في المفعول أهو الفعل وحده أم الفعل والفاعل معا[6]؟ وكذا المنصوب في باب الاشتغال أبفعل مقدر أم بالظاهر[7]؟ والخلاف في رفع

---

[1] د. أبو السعود حسنين الشاذلي: المركب الاسمي الإسنادي وأنماطه من خلال القرآن الكريم:94

[2] عبد الكريم بكري: ابن مضاء وموقفه من أصول النحو العربي: 121.

[3] أنيس فريحة: نظريات في اللغة: 143.

[4] تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها: 232.

[5] وهو قول البصريين، ينظر: أبو البركات الأنباري: أسرار العربية:207. وأبو الفتح عثمان بن جني، اللمع 106، وجلال الدين السيوطي: الأشباه والنظائر:162/1.

[6] ينظر: أبو البركات الأنباري: أسرار العربية 93.

[7] ينظر: جلال الدين السيوطي: الأشباه والنظائر:.171/2.

المبتدأ بأي نوع من العوامل هو، ألفظي أم معنوي[1]؟ وغير ذلك من خلافات العامل والمعمول.

ويقترح تمام حسان الاعتماد على قرائن لغوية أخرى غير قرينة علامات الإعراب لفهم العلاقة بين الكلمات في الجملة بعيدا عن فكرة عامل أو معمول، ويعد من القرائن اللفظية، العلامة الإعرابية وهي القرينة التي كانت محط اهتمام النحاة القدماء، والتي كانت عِنْدَهُ السبب في غرقهم في حمأة العوامل و المعمولات. ويضيف إليها تمام حسان قرينة الرتبة والصيغة الصرفية والمطابقة والنغمة وهو الإطار الصوتي الذي تقال به الجملة، وهي نظرة توزع مهمة أمن اللبس بين قرائن مختلفة ولا تقصرها على الإعراب وحده[2].

وممّا يقترحه تمام حسان لتفسير ظواهر النصب في عبارات محفوظة بدون عامل ظاهر القول بنصب بالمخالفة "فتكون الفتحة قيمة خلافية تفرق بين معنى هذه المنصوبات في حالة النصب وبين معناها في حالة الرفع، نحو شأنك والحجَّ، واهلَكَ والليلَ، انتهوا خيرًا لكم، وحمدًا وشكرًا."[3]

وقد جاءت إشارة إلى ما يشبه هذه القيمة الخلافية، التي رآها تمام حسان بديلا لتفسير بعض ظواهر النصب، في كتاب الجمل المنسوب للخليل في قوله: "والنصب من خلاف المضاف قولهم هذا ضاربُ زيدٍ بإضافة ضارب إليه، فإذا أدخلت التنوين على ضارب خالفت الإضافة وصار كالمفعول به فتنصب زيدا بخلاف المضاف."[4] وقريبا من هذه الفكرة البديلة لتفسير ظواهر الإعراب في غياب العوامل اللفظية، جاء قول الكوفيين بالنصب على الصرف أو على الخلاف[5]، وهو عندهم عامل معنوي، فسّروا به نصب المضارع المسبوق بنفي أو استفهام، الواقع بعد "الفاء" أو "الواو" أو "ثم" أو "أو"، وكذا نصب الظرف الواقع خبرا، ونصب أفعل للتعجب[6].

ويبقى مفهوم القيمة الخلافية غير كاف لتفسير كل الظواهر الإعرابية، ويبدو محصورا في الحديث عن المنصوبات المفقودةِ عواملُها اللفظيّة.

---

[1] جلال الدين السيوطي: الأشباه والنظائر:295/1.
[2] ينظر: تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها:219-220.
[3] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها: 220.
[4] الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب الجمل المنسوب للخليل 71.
[5] ينظر، أبو زكريا الفرّاء: معاني القرآن: 33/1-34 و 235/2 وكذا رضي الدين الاسترابادي: شرح الكافية: 224/2.
[6] ينظر، جلال الدين السيوطي: همع الهوامع شرح جمع الجوامع:298/1 و90/2.

ومما لا جدال فيه أن نظريّة العامل كانت نتاج محاولة من النحاة لنقل مفهوم لغوي مجرّد، إلى مفهوم مادي، ليتيسّر للمتعلمين فهم تلك العلاقة الإسنادية بين الكلمات في الجملة، وقد قامت هذه النظريّة على خير أسس التربية الحديثة لتعليم اللغة، وضبط قواعدها وتيسير استعمالها.

وليس العمل في الحقيقة إلاّ تطلّب معنى من معاني النحو، من فاعلية و مفعولية وغيرهما، لحركة إعرابية معيّنة، وقد كان النحاة ذوي نظرة دقيقة عندما قسّموا العوامل إلى نوعين، عامل لفظي وعامل معنوي، ليوضحوا لنا أنّ " بعض العمل يأتي مسببّا عن لفظ يصحبه، كمررت بزيدٍ، وبعضه يأتي عاريا عن مصاحبة لفظ يتعلق به كرفع المبتدأ بالابتداء ورفع الفعل لوقوعه موقع الاسم"[1]، وهو تقسيم يكفي لاحتواء وتفسير كلّ الظواهر الإعرابية.

و لم يكن النحاة ينسبون إلى العامل النحوي عملا ماديّا حقيقيّا كما يُظنّ بهم، وقد دفع هذا الظّنّ ابن الأنباري في حديثه عن العامل في المبتدأ بالقول:" فذهب سيبويه ومن تابعه من البصريين إلى أنّه يرتفع بتعريه من العوامل اللفظية ...فإن قيل فلم جعلتم التعري عاملا و هو عبارة عن عدم العوامل؟ قيل: لأن العوامل اللفظية ليست مؤثرة في المعمول حقيقة، و إنما هي أمارات و علا مات"[2]، فليس العمل إذا إلاّ تلازما بين موقع الكلمة في التركيب و حركتها الإعرابية، و حقيقته للمتكلم الفصيح نفسه، وإنما قسَّمَه النحاة إلى لفظيّ و معنوي "لمّا ظهرت آثار فعل المتكلم بمضامّة اللفظِ اللفظَ أو باشتمال المعنى على اللفظ"[3].

و لقد حدّد النحاة من خلال نظرية العامل قواعد التركيب اللغوي، و بيّنوا التراكيب المخلّة بالمعاني، و الخارجة عن نظام الجملة العربية، من ذلك قولهم: أن الأصل في الفعل ألاّ يعمل في الفعل و قولهم لا يدخل العامل على العامل، و قولهم ما كان له الصدارة فلا يعمل ما بعده فيما قبله مثل أسماء الاستفهام و الشرط. كما أن النحاة من خلال هذه النظرية قد حرصوا على وحدة القاعدة و عدم تجزئتها في مثل قولهم: إن اسم الفاعل يرفع ضميرا مستترا*؛ فما دام اسم الفاعل شبيه الفعل المضارع

---

[1] ابن جني: الخصائص: 109/1.
[2] أبو البركات: أسرار العربية 79
[3] ابن جني: الخصائص 11/1

* و هو ما اعترضهم عليه ابن مضاء القرطبي بقوله "مادام اسم الفاعل عند النحاة في مثل ضارب يدل على الصفة و صاحبها و يحمل معنى الفعل و الفاعل فإذا قلنا زيد ضارب عمرا فضارب يدل على الفاعل غير مصرح باسمه و زيد يدل على اسمه فما الداعي إلى تقدير زائد لو ظهر لكان فضلا " ابن مضاء القرطبي: الرد على النحاة:100

في العمل والفعل المضارع يرفع أفعالا ظاهرة ومستترة فلا داعي، إلى اختراع قاعدة جديدة لاسم الفاعل[1].

ومما تقدّم يمكننا القول أنّه لم يعد هناك مجال لإنكار نظرية العامل، فقد كانت دعامة لعلم النحو في مراحله الأولى، وقد قدمته للمتعلمين في قالب قريب إلى الأذهان. ويبقى تحديد العامل والمعمول دائما مرشدا إلى المعاني، وسببا للاهتداء إلى الأغراض النحوية في استعمال الكلمة داخل تركيب معيّن.

ثانيا: اسم الفاعل :

إنّ الفعل هو حركة الإنسان أو الأشياء وتأثيرها فيما حولها، والفاعل هو القائم بهذه الحركة أو بهذا التأثير، وقد سميّ به نوع من أنواع المشتقات هو اسم الفاعل. والاشتقاق وسيلة من أنجع الوسائل في توليد كلمات جديدة من مواد لغوية محدودة، ورغم ما توحي به ظاهرة السبك على الصيغ المحدودة من رتابة وجمود في القياس، فإن الاشتقاق يجعل اللغة جسما حيا تتوالد أجزاؤه، ويربطها بأواصر قوية فضلا عن السهولة في الاستعمال[2]. ففي اللغة العربية صيغ صرفية متنوعة تمكن من التعبير عن معان مختلفة تعبيرا دقيقا موجزا، وصيغة "فاعل" إحدى هذه الصيغ.

1- اسم الفاعل مورفولوجيا :

لقد حظي اسم الفاعل بالاهتمام والدراسة الصرفية والنحوية، لأنه من الموضوعات المشتركة بين هذين العلمين فسيبويه يتحدث عنه في أبواب الأبنية الصرفية وذلك تحت عنوان "بناء الأفعال التي هي أعمال تعدّاك إلى غيرك وتوقعها به ومصادرها"[3] فيذكر بناء اسم الفاعل مع أبنية الفعل والمصادر وذلك قوله: "فأما فَعَلَ يَفْعَلُ ومصدره فقتل يَقْتُلُ قَتْلاً والاسم قاتل، وخَلَقَه يَخْلُقُه خَلْقًا والاسم خالق... وأما فَعَلَ يَفْعِلُ فنحو ضَرَبَ يَضْرِب ضَرْبًا وهو ضارب"[4].

وكان سيبويه قبل هذا قد تحدث عن اسم الفاعل في الدراسة النحوية، وذلك في مشابهته الفعل من حيث عمله إذ يقول: "هذا باب ما جرى في الاستفهام من أسماء الفاعلين والمفعولين مجرى الفعل كما يجري في غيره مجرى الفعل وذلك قولك:

---

[1] ينظر: عبد الكريم بكري: ابن مضاء وموقفه من أصول النحو العربي 131.
[2] ينظر: د توفيق محمد شاهين: عوامل تنمية اللغة العربية: 104-105.
[3] سيبويه: الكتاب: 05/4.
[4] نفسه: 05/4.

"أَزَيْدًا أنت ضَارِبُهُ؟ و أَزَيْدًا أنت ضَارِبٌ له؟"[1]. وهذا ما يوضح لنا أن اسم الفاعل يأخذ صفات الأسماء من حيث الخصائص اللفظية كما قد يأخذ صفات الفعل من حيث العمل والدلالة.

واسم الفاعل في اصطلاح الصرفيين "صفة تشتق من مصدر الفعل المتصرف المبني للمعلوم للدلالة على من وقع منه الفعل حدوثا لا ثبوتا"[2]، فلا يصاغ اسم الفاعل من فعل جامد ولا من فعل مبني للمجهول.

ويأتي اسم الفاعل من الفعل الثلاثي المجرّد على وزن فاعل مثل شرب شارب وجمع جامع، ويراعي القلب الصرفي لحروف العلّة، إذا جاءت بعد ألفه الممدودة إلى همزة مثل: قال قائل.

ويشتق اسم الفاعل من غير الثلاثي أي من الرباعي والخماسي والسداسي على وزن مضارع هذه الأفعال مع إبدال حرف المضارعة ميما مضمومة وكسر ما قبل آخر حرف.

وهذه القاعدة العامة لما فوق الثلاثي تولّد لنا الكثير من الصيغ الفرعية لاسم الفاعل مثل: مُفْعَلٌ ← معتد و مفعالٌ ← محمارّ و مُفَعْلِلٌ ← مدحرج [3]

وهناك بعض أسماء الفاعلين جاءت خارجة عن هذه القواعد، فكانت بدلالتها اسم فاعل وهي بصيغتها اللفظية اسم مفعول وذلك في قول العرب: أَسْهَبَ فهو رجل مُسْهَب أي مطيل في كلامه وقولهم أحصن فهو مُحْصَن وألفج بمعنى أفلس فهو مُلْفَج[4]، وبما أن هذه المعاني وهي الإسهاب والإحصان والإلفاج يمكن أن يكون فاعلها واقعا عليه الحدث بأحد الاعتبارات، فيمكننا القول أن أصلها أسماء مفعولات، ثم أدت معنى وظيفيا جديدا وهو معنى اسم الفاعل في سياقات لغوية كثيرة حتى تنوسي أصلها، فالمُحْصَنُ هو محصنٌ ومُحْصَنٌ في آن معا وكذلك المُلْفَج، وقد يكون تحويل كلمة مُفَعَم من اسم المفعول إلى دلالة اسم الفاعل بغرض المبالغة في الوصف كما جاءت كلمة مستور، في

---

[1] سيبويه: الكتاب: 108/1.
[2] فخر الدين قباوة: تصريف الأسماء والأفعال 156 وينظر الشريف الجرجاني: التعريفات 42
[3] وصيغ فرعية أخرى مثل: مفعوعل ← معشوشب ومتفعنل ← متقلنس ومتفوعل ← متجورب و متمفعل ← متمسكن....إلخ ينظر إميل بديع يعقوب: معجم الأوزان الصرفية الصفحات 40-41-42.
[4] ينظر: مصطفى الغلاييني: جامع الدروس العربية:180/1.

قوله تعالى: ﴿ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾[1] والمعنى ساترا وهو مجاز مرسل أفاد المبالغة في معنى الستر[2].

ولاسم الفاعل صيغ تدل على المبالغة، يقول سيبويه "وأجروا اسم الفاعل إذا أرادوا أن يبالغوا في الأمر، مجراه إذا كان على بناء فاعل لأنه يريد به ما أراد بفاعل من إيقاع الفعل، إلا أنه يريد أن يحدّث عن المبالغة"[3]، فمعنى صيغ المبالغة هو معنى اسم الفاعل، إذ تدل على فعل وذات تقوم به، إلاّ أنها تفيد الزيادة في المعنى أو في الفعل، ولها أوزان كثيرة[4] نلخصها بأمثلتها في الجدول التالي:

الصيغة	المثال	الصيغة	المثال
فعّال	غفّار،توّاب، علاّم	فَعِلٌ	حَذِر
مفعال	مفضال، مضياف	فُعَّال	كُبَّار
فِعِّيل	صِدِّيق	فُعُّول	قُدُّوس
فعّالة	علاّمة	فَيْعُول	قَيُّوم
مفعيل	مِعْطِير، مِسْكِين	فَاعُول	فاروق
فَعُولٌ	ضروب	فُعَلَةٌ	هُمَزَة
فَعُولَةٌ	مَلُولَة	فاعلة	رَاوِيَة
فَعِيلٌ	عليم		

وهناك من يرى أن صيغ المبالغة كلها سماعية، أي أن ما ورد منها يحفظ ولا يقاس عليه[5]، وهي نظرة تضيّق مجال الاستعمال لهذه الصيغ، وتجعلها رصيدا جامدا، ويصبح البحث فيها بحثا في فقه اللغة لا في علم الصرف.

والحق أن صيغ المبالغة موادّ من صميم التصريف، فهي تشكل مادة خامًّا للاشتقاق، لهذا فأقرب الآراء إلى الاستعمال اللغوي القول بأن: " من صيغ المبالغة

---

[1] الإسراء 17.
[2] ينظر: السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة 289.
[3] الكتاب: 110/1.
[4] تنظر مثلا: أبو العباس المبرد:المقتضب: 112/2 وجلال الدين السيوطي: المزهر: 243/2 وأحمد الحملاوي: شذا العرف في فن الصرف 50، 51.
[5] ينظر، مصطفى الغلاييني: جامع الدروس العربية: 193/1.

قياسيّ وسماعيّ، وأشهر الصيغ القياسية ست هي: فَعّال ومِفْعَال وفَعُول وفَعِيل وفَعِلّ وفِعِّيل".[1]

والملاحظة من الجدول السابق أن التاء قد لحقت بعض صيغ المبالغة، وهي فَعّالَة وفَعُولَة وفُعَلَة، ويستوي في الاتصاف بهذه الصيغ المذكر والمؤنث، فيقال رجل نسّابة وامرأة نسّابة، فليست هذه التاء للتأنيث.[2]

2- اسم الفاعل في المستوى النحوي:

إنّ اسم الفاعل هو وصف مأخوذ من فعل مضارع مبني للمعلوم للدلالة على من قام بالفعل، ويؤخذ من المضارع أساسا لأنه وصف يدل على حدث وزمن، ودلالته على الزمن ترتبط بالحال أو بالاستقبال وهو نفس زمن المضارع[3]، فاسم الفاعل يشبه الفعل المضارع في الدلالة على الحال أو الاستقبال وهو مثله يدل على الاستمرار المتجدد. وهذا التوافق في المعنى يقابله توافق عروضي بينهما[4]، فاسم الفاعل يوافق مضارعه في عدد الحروف وحركاتها وسكناتها، فلفظ جامع مثلا موافق لـــ "يجمع" في عدد الحروف وفي هيئتها.

ونظرا لهذا الشبه الشكلي والمعنوي بين اسم الفاعل والفعل الضارع فقد أطلق الكوفيون عليه اسم "الفعل الدائم"، يروي السيوطي حوارا بين ابن كيسان وأبي العباس ثعلب الكوفيّ المَذْهَبِ يقول: "حدثني بعض أصحابنا قال أخبرنا أبو الحسن بن كيسان قال: قال لي أبو العباس: كيف تقول مررت برجل قائم أبوه؟ فأجبته بخفض قائم ورفع الأب: فقال لي: بأيّ شيء ترفعه؟ فقلت: بقائم، فقال: أو ليس هو عندكم اسما وتعيبوننا بتسميته فعلا، وإنما يغلب لفظه لفظ الأسماء، وإذا وقع موقع الفعل المضارع وأدّى معناه عمل عمله لأنه قد يعمل عمل الفعل ما ليس بفعل إذا ضارعه"[5]، فشبه اسم الفاعل بالمضارع يجعله عاملا عمله النحوي من رفع فاعل له، ونصب مفعول به إذا كان مشتقا من فعل متعدي. وهذه القرابة جعلت من الجائز عطف كلّ من الفعل المضارع

---

[1] عباس حسن: النحو الوافي: 259/3، وينظر قياسية هذه الصيغ: قرار مجمع اللغة العربية بدمشق، مجلة المجمع العلمي العربي ج3 مجلد 39 ص 366 عدد يوليو 1964م- صفر 1384هـ.

[2] ينظر: أبو علي الفارسي: التكملة 129 وابن سيدة: المخصّص: مجلد 5 سفر 103/16. وقد علل ابن جني لحوق هذه التاء بالقول: "الهاء في نحو ذلك لم تلحق لتأنيث الموصوف بما هي فيه، وإنما لحقت لإعلام السامع أنّ هذا الموصوف بما هي فيه قد بلغ الغاية والنهاية" ابن جني: الخصائص: 201/2.

[3] ينظر: عبد الصبور شاهين: المنهج الصوتي للبنية العربية 114 وكذا: صفية مطهري: الدلالة الإيحائية في الصفة الإفرادية دراسة بموقع اتحاد الكتاب العرب.

[4] ينظر: ابن هشام مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: 123/2.

[5] جلال الدين السيوطي : الأشباه والنظائر: 110/3-111.

واسم الفاعل على صاحبه، يقول ابن الشجري: "عطف اسم الفاعل على يفعل وعطف يفعل على اسم الفاعل جائز لما بينهما من المضارعة، فإن عطفت اسم الفاعل على فَعَلَ لم يجز لأن لا مضارعة بينهما"[1]، فلا يجوز عطف اسم الفاعل على الماضي إلاّ إذا اقتربت دلالة هذا الأخير من المضارع، أو إذا كان اسم الفاعل بمعنى المضيّ، يقول ابن الشجريّ: "فإذا قربت فَعَلَ إلى الحال جاز عطف اسم الفاعل عليه كقول الراجز: أُمُّ صَبِيٍّ قَدْ حَبَا وَدَارِجِ، فإذا كان اسم الفاعل بمعنى فَعَلَ جاز عطف الماضي عليه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾[2]، لأنّ التقدير إن الذين تصدّقوا واللائي تصدّقن[3].

ونعود للقول إن المقصود بعمل اسم الفاعل عمل فعله، هو رفعه اسما على الفاعلية، ونصبه مفعولا به، إذا كان اشتقاقه من فعل متعدّ.

ولعمل اسم الفاعل شروط، بعضها نحويّ مثل الاعتماد[4]، وبعضها الآخر دلالي يتمثل في دلالة اسم الفاعل على الحال أو الاستقبال، وعلى التجدد، فإن فاتته هذه الدلالة ودلّ على الماضي أو على الثبوت، فلا يعمل بل يضاف إلى مفعوله[5]، وقد آثرنا أن نلخّص ضوابط عمل اسم الفاعل في السياق النحوي في هذا المخطّط:[6]

---

[1] أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة العلوي الحسني الشجري: أمالي ابن الشجري: 167/2 وينظر: رضي الدين الاستربادي: شرح الكافية: 303/1.

[2] الحديد 18.

[3] ابن الشجري: أمالي ابن الشجري: 167/2-168، وقد عطف الفعل حبا الماضي، على اسم الفاعل دارج في قول الراجز الذي تمثل به ابن الشجري، والذي سوّغ هذا العطف دخول حرف التحقيق "قد" على الفعل الماضي "حبا"، وهو يقرّب الماضي من الحال فقولنا جاء محمد يحتمل الماضي القريب والبعيد، فإن قلنا: قد جاء، اختصّ بالقريب .
ينظر: ابن هشام: مغنى اللبيب: 294/2 وكذا الحسن بن القاسم المرادي: الجنى الداني في حروف المعاني 45

[4] الاعتماد هو أن يقع اسم الفاعل في التركيب الاسنادي بعد:
أ- مبتدأ يكون خبرا له
ب- موصوف،
ج- صاحب حال،
د- حرف استفهام،
ه- نفي،
و- حرف نداء
ينظر: الزمخشري: المفصّل في صفة الإعراب 289-290.

[5] ينظر: أحمد بن القاسم العبادي: رسالة في اسم الفاعل:20.

[6] تنظر هذه الضوابط مثلا: سيبويه: الكتاب 164/1، 182، 181، وأبو بكر بن السرّاج: الأصول في النحو: 124/1-125 وكذا الزمخشري: المفصّل في صنعة الإعراب 228، وابن مالك: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد 136-137.

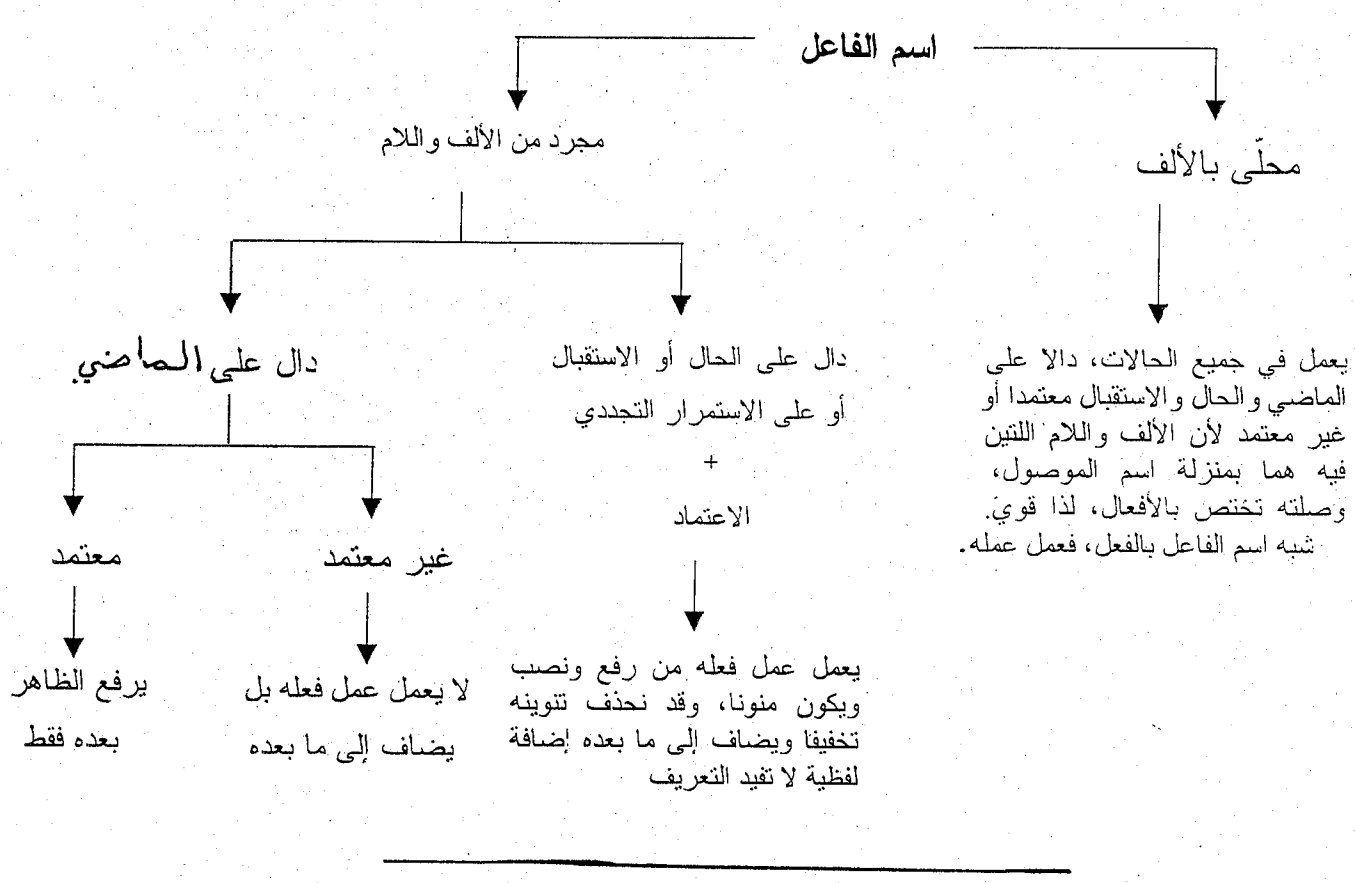

شروط العمل المذكورة هنا إنما هي لصحة عمله في المنصوب أما في المرفوع الظاهر فلا يشترط له زمان فيجوز أن يقال زيد قائم أبوه أمس، وإن كان المرفوع مضمرًا فلا يشترط له شيء، لأن الرفع من لوازم الفعل فتكفي اسم الفاعل أدنى مشابهة له، ولا يقدر في هذه الحالة إلا ضمير الغائب إذ لا يرفع اسم الفاعل ضميرا غيره. ينظر: شرح ابن عقيل بتحقيق حنا الفاخوري 125/2 وكذا عبّاس حسن النحو الوافي 252/3. هذا ويجوز في مرفوع اسم الفاعل أن يتحوّل إلى تمييز نسبة النحو الوافي 418/2 ومثاله في قول الرسول ﷺ: "إنّ أحبّكم إليّ أَحَاسِنُكُم أخلاقًا المُوَطَّئُونَ أكنافا الّذين يألفون ويُؤْلَفُونَ" المنذري: الترغيب والترهيب : 410/3 فانتصاب أكنافا تمييز نسبة.

وكل ما سبق من ضوابط لعمل اسم الفاعل ينطبق على مثناه و جمعه وكذا على صيغ المبالغة منه.[1]

وقد تدخل لام التقوية على مفعول اسم الفاعل، فيصبح مجرورا بها[2] مثل قوله تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾[3] و الأصل فعّال ما يريد[4]، و بالإضافة إلى هذه الوظيفة النحوية لهذه اللام وهي التقوية، فإن دورها الحقيقي هو التوكيد.

و من المخطط السابق لعمل اسم الفاعل، نلاحظ أنه قد يرد غير عامل عمل فعله، بل مضافا إلى ما بعده، و إضافته نوعان:

أ- إضافة غير حقيقية أو لفظية: و تجوز في اسم الفاعل المستوفي شروط العمل، إذ الأصل فيه أن يكون منونا. لكن هذا التنوين قد يحذف لغرض صوتي وهو التخفيف يقول سيبويه عن اسم الفاعل المنون: «و اعلم أن العرب قد يستخفون فيحذفون التنوين. والنون و لا يتغير من المعنى شيء وينجَرُّ المفعول لكف التنوين من الاسم»[5] وهذه الإضافة لفظية لا تُكسب اسم الفاعل التعريف يقول سيبويه: «وليس يغير كَفُّ التنوين إذا حذفته مستخفا شيئا من المعنى و لا يجعله معرفة فمن ذلك قوله عز و جل: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾[6] و يزيد هذا عندك بيانا قوله تعالى جده: ﴿هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾[7] ...فلو لم يكن هذا في معنى النكرة والتنوين لم توصف به النكرة» [8].

فقد وصفت كلمة "هديا" النكرة بنكرة هي اسم الفاعل بالغ المضاف إضافة لفظية. وتجوز إضافة اسم الفاعل المقترن ب "ال" إذا كان مثنى أو مجموعا، و تحذف منه النون[9]، وهذا ما يؤكد لنا أنّ هذه الألف و اللام هي بمعنى اسم الموصول و ليست للتعريف.

ب- الإضافة الحقيقية: و هي إضافة إسم الفاعل إلى ما بعده إضافة معنوية تفيد التعريف والتخصيص، فيضاف اسم الفاعل إلى الاسم الظاهر نكرة أو معرفة، أو إلى الضمير، ويكون

---

[1] ينظر: مصطفى الغلاييني: جامع الدروس العربية: 281/3 .
[2] ينظر: عباس حسن: النحو الوافي: 255/3، و هذه اللام تزاد لتقوية عامل ضعف، و في حالة اسم الفاعل فضعفه كونه فرعا في العمل عن الفعل. ينظر: ابن هشام مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: 361/1.
[3] البروج 16.
[4] ينظر: ابن هشام: مغني اللبيب: 361/1 .
[5] سيبويه: الكتاب: 165/1
[6] آل عمران 185.
[7] المائدة 95.
[8] سيبويه: الكتاب: 166/1 و ينظر: أبو بكر بن السرّاج: الأصول في النحو: 126/1.
[9] سيبويه: الكتاب: 184/1.

هذا النوع من الإضافة لاسم الفاعل عندما يفقد شروط العمل، كأن يدل على الماضي*، أو يدل على الثبوت و الدوام.[1]

واسم الفاعل إذا كان مشتقا من فعل متعد إنما يضاف إلى مفعوله، مثله في قوله عز وجل: ﴿جَاعِلُ اللَّيْلِ سَكَنًا﴾[2] فالليل مفعول به معنًى، و لايجوز إضافة اسم الفاعل من المتعدي إلى فاعله؛ لأنه نوع من إضافة الصفة إلى موصوفها وهو ممتنع[3]، فلا يقال: أحمد ظالم العبيد ونحن نقصد أن أحمد عبيده ظالمون بل المعنى أنه هو ظالمهم، إلا إذا أمن اللبس فالإضافة إلى الفاعل جائزة مثل قولنا: "فلان قاطع السيف" إذ المعنى أن سيفه قاطع لا أنه قَطَعَ سيفا[4].

أمّا إذا كان اسم الفاعل من اللازم فإضافته إلى فاعله جائزة، وفي هذه الحالة يصبح اسم الفاعل صيغةً صفةً مشبهة معنًى[5].

وخلاصة القول أن مدار اللفظية والحقيقية في إضافة اسم الفاعل على العمل وعدمه؛ فإن كان اسم الفاعل عاملا فإضافته لفظية وإن كان غير عامل فإضافته حقيقية أو محضة، وهو في الحالة الأولى يبقى نكرة فلا يستفيد شيئا من الإضافة، أما في الحالة الثانية فيتحول إلى اسم معرفة، ويترك دلالة اسم الفاعل إلى دلالة الصفة المشبهة.

3- اسم الفاعل في المستوى الدلالي:

يدلّ اسم الفاعل بصيغته الافرادية، أساسا على وصف الفاعل بالقيام بالحدث، وهو في حقيقية أمره نعت كما سمّاه الميداني في قوله: "كل فعل ماضيه على فَعَلَ بفتح العين، فإن النعت منه على فاعل نحو ناصر وضارب".[6]

ولاسم الفاعل بمبناه الصرفي دلالات كثيرة، وهي دلالات عامّة، في حين تبقى دلالته السياقية الخاصّة أسيرة السياق اللغوي بقرائنه المختلفة.

ويعدّ اسم الفاعل رباطا بين دلالتين، إحداهما الدلالة على المعنى المجرّد أو الحدث، والثانية الدلالة على الذات التي تقوم بذلك الحدث أو ينسب إليها.[7]

---

* إذ يهمل عن العمل لأنه المشابهة اللفظية التي كانت له مع المضارع قد انتقضته مع الماضي لأنه لا يجري على لفظه، ينظر أبو القاسم الزجاجي: الجمل في النحو:84

[1] ينظر: عباس حسن: النحو الوافي: 256/3.

[2] الأنعام 96

[3] ينظر ابن يعيش: شرح المفصل:12/3.

[4] ينظر ابن عقيل: شرح ألفية ابن مالك بتحقيق حنا الفاخوري:126/2.

[5] ينظر فخر الدين قباوة: تصريف الأسماء والأفعال:157.

[6] الميداني : نزهة الطرف في علم الصرف23.

[7] ينظر: مصطفى الغلاييني: جامع الدروس العربية: 178/1

ويرتبط الحدث بفاعله في صيغة اسم الفاعل، ارتباطَ حدوث وتجدّد، أي أن المعنى القائم بالموصوف باسم الفاعل يكون غير ثابت ولا لازم، بل محدودا في الزمان أو متقطعا متجددًا فيه.[1]

وتقابل اسم الفاعل في دلالته على الحدوث، الصفة المشبهة، التي تدلّ على الدوام والاستمرار، ويختار الأسلوب أنسب الوصفين للغرض البلاغي، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فلعلّك تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ﴾[2]، إذ عُدل عن الصفة المشبهة ضيّق إلى اسم الفاعل ضائق للدلالة على ضيق عارض للرسول ﷺ.[3]

وجاء في أمالي القالي: "غَمَض وغَمُض- بفتح الميم وضمها- فمن قال غَمُض بضم الميم قال في الفاعل غميض، ومن قال غَمَضَ بفتح الميم قال في الفاعل غامض"،[4] والمراد بالفاعل في المثال الأول هو الصفة المشبهة لأنه اشتق من باب فَعُلَ وهو باب تدل أفعاله على الطبائع والسجايا الثابتة فَناسبَ معناه معنى الصفة المشبهة، أما المثال الثاني فالمراد به هو اسم الفاعل لدلالته على غموض وإن طال سينقطع. وقد توجد قرينة معنوية تصرف صيغة فاعل عن معناها الأصلي وهو إفادة التجدد والحدوث إلى إفادة الثبوت والدوام،[5] وأكثر ما ترد في صفات الله وأسمائه الحسنى مثل مالك في قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ﴾[7]. ومن القرائن المعنوية كذلك دلالة الفعل أصلا على معنى ثابت مثل: دائم،خالد. كما ترد قرائن لفظية تجعل من اسم الفاعل صيغَةً صفة مشبهة معنى، مثل إضافة المشتق من اللازم إلى فاعله[8]. واسم الفاعل إذا كان مشتقا من باب فَعُلَ وهو باب للصفات التي لها مكث مثل العيوب والسجايا، فإنه يفقد دلالته على الحدوث ويقترب معناه أكثر من معنى الصفة المشبهة، وقد تنبه النحاة لهذا، فعدّوا اشتقاق فاعل من فَعُل شاذا مثل طَهُرَ فهو طاهر، وشَعُرَ فهو شاعر وحَمُض فهو حامض وعَقُرت المرأة فهي عاقر[9].

أما من ناحية الدلالة الزمنية فاسم الفاعل العامل المنون مثل مضارعه في الدلالة على الزمن، يقول سيبويه "هذا ضاربٌ زيدًا غدا معناه وعمله مثل هذا ضارب عبد الله الساعة ومعناه وعمله مثل هذا يضرب زيدا الساعة، وكان زيد ضاربا أباك، فإنما تُحَدِّثُ عن

---

[1] ينظر: عباس حسن: النحو الوافي: 238/3.
[2] هود 12
[3] ينظر: محمد بن يوسف أطفيش: تيسير التفسير:372/5.
[4] أبو علي القالي: أمالي القالي:184/2.
[5] ينظر: فخر الدين قباوة: تصريف الأسماء والفعال 156.
[6] الفاتحة 03.
[7] الأنعام 96 .
[8] ينظر: فخر الدين قباوة: تصريف الأسماء والأفعال: 157 .
[9] ينظر: ابن جني: الخصائص: 375/1.

اتصال فعل في حال وقوعه، وكان موافقا زيدا، ومعناه وعمله كقولك كان يضرب أباك ويوافق زيدا، فهذا جرى مجرى الفعل المضارع في العمل والمعنى منوّنًا"[1]، وسيبويه يعني بهذا الكلام أنّ اسم الفاعل المنون وكذا المحذوف تنوينه تخفيفا يوافق الفعل المضارع في الدلالة إمّا على الحال أو الاستقبال.

وتندرج الأمثلة الموجودة في النص تحت ثلاث دلالات زمنية[2]:

1- هذا ضاربٌ زيدًا غدا ← الدلالة على المستقبل.

2- هذا ضاربٌ عبدَ الله الساعة ← الدلالة على الحال.

3- كان زيدٌ ضاربًا أباك ← التحدث عن فعل في حال وقوعه.

أمّا اسم الفاعل المضاف إضافة حقيقيّة فإنّه يدل على الماضي، ويفرّق الفرّاء بين حالتي تنوينه وإضافته بالقول: "وأكثر ما تختار العرب التنوين والنصب في المستقبل، فإذا كان معناه ماضيا لم يكادوا يقولون إلاّ بالاضافة، فأمّا المستقبل قولك أنا صائمٌ يومَ الخميس إذا كان خميسا مقبلا، فإن أخبرت عن صوم يوم خميس ماض قلت أنا صائمُ يومِ الخميس"[3].

فإضافة اسم الفاعل إضافة محضة ترشحه للدلالة على الماضي، وهذه الدلالة الزمنية لاسم الفاعل تشربه معنى الثبوت، كما تقرّبه من الاسمية، فيصبح أقرب إلى معنى الصفة لما قبله، يقول المبرّد: "فاسم الفاعل إذا كان ماضيًا لا تنوّنه لأنه اسم و ليست فيه مضارعة الفعل"[4]، بينما يكون منوّنا أقرب إلى معنى الفعل، فإذا قلنا هذا آخذُ حقّه فنحن نخصّص وننعت شخصا بصفة أخذ الحقّ، بينما إذا قلنا هذا آخذٌ حقَّه، فليس معناه إلاّ معنى هذا سيأخذ حقّه.

أما اسم الفاعل المقترن ب "أل" فيحتمل الدلالة على الأزمة الثلاثة؛ الماضي والحال والاستقبال، ويختصّ بأحدها بقرينة لفظية أو معنوية[5]، فاسم الفاعل في هذه الحالة يكون بمعنى الفعل المسبوق باسم الموصول، ويكون عاريا من أيّ دلالة على الزمن، فلا يكتسبها إلاّ من السياق أو من مقتضى الحال وملابسات الكلام.

وقد يأتي اسم الفاعل مفرغا من دلالة الزمن، حيث يدل على وصف بالثبوت والدوام، من ذلك قوله تعالى: ﴿والكَاظِمِينَ الغَيْظَ﴾[6] فاسم الفاعل كاظم دال على استمرار يجعله صفة مشبّهة.

---

[1] سيبويه: الكتاب: 164/1.

[2] ينظر: محمد عبد الرحمن الريحاني: اتجاهات التحليل الزمني في الدراسات اللغوية: 139

[3] الفرّاء:معاني القرآن: 202/2.

[4] المبرد: المقتضب: 148/4.

[5] ينظر: عبد الله بوخلخال: التعبير الزمني عند النحاة العرب:187/1.

[6] آل عمران 134.

وهناك من رأى أن اسم الفاعل يدل على ثبوت حكم لموصوف دون اعتبار زمني ولا اعتبار للحدوث أو الدوام، لأنه "لما كان جاريا على الفعل جاز أن يقصد به الحدوث بمعونة القرائن كما في ضائق، ويجوز أن يقصد به الدوام أيضا في مقام المدح والمبالغة"[1]، وهذا الرأي يتشبَّثُ بالصيغة اللفظية لاسم الفاعل؛ لأنّ اسم الفاعل صيغةٌ إن دلّ على الدوام كان صفةً مشبهةً.

وكذا فقد ذهب بعض المستشرقين إلى أنّ دلالة اسم الفاعل الزمنية شبيهة بالمضارع التام في اللغة الانجليزية أو present perfect، وهو يدل على التام الحالي، أي ماله علاقة بالماضي ونتيجته قائمة إلى وقت الحال.[2]

والحق أنّ هذه النظرة تصدق على بعض الأمثلة ولا تصدق على كلها، وقد رأينا دلالة اسم الفاعل المنون على الاستقبال ودلالة المضاف منه على الماضي الذي لا علاقة له بالحاضر زمنيا، وما يمكننا قوله في الأخير هو أنه ورغم تصنيفات الدلالة الزمنية لاسم الفاعل، والمرتكزة على مورفيم التنوين، أو على علاقة نحوية هي الإضافة فإنّ دلالته يبقى جزء كبير منها خارجا عن بنيته، شأنه في ذلك شأن باقي المشتقات، "وإذا كان الفعل يدل على الزمن دلالة صرفية بحكم مبناه حتى وهو خارج السياق، فإنّ الصفات لا تدل دلالة صرفية على الزمن وإنما تشر ب معنى الزمن النحوي في السياق من باب تعدد المعنى الوظيفي للمبنى الواحد".[3]

ولقد سبقت الإشارة إلى أنّ اسم الفاعل إذا أريد به الدلالة على المبالغة أو الكثرة حُوِّل إلى إحدى صيغ المبالغة، ومع هذا يبقى اسم الفاعل صالحا للدلالة على معنى الحدث والقائم به مطلقا دون أن يحمل ومعنى القلة أو الكثرة أو المبالغة وعدمها؛ ذلك أنّ "باب فاعل كضارب وقاتل عامّ لكل من صدر منه الفعل قليلا كان أو كثيرا، فلا يمنع أن يقع فاعل موقع فعّال المختص بكثير لعمومه من ذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِم حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾[4] فلا يقتضي المعنى هنا أنّ السائل من قلّ سؤاله ومثله في صفات الله: الخالق والخلاّق والرازق والرزّاق، والمراد بأحدهما ما يراد بالآخر"[5]، فاسم الفاعل إنما يوصف به من وقع منه الفعل مطلقا، وكذا لمن تكرّر منه الفعل، والسياق وحده هو الكفيل، بتعيين إحدى الدلالتين، لكن إذا قصد المتكلم الإشعار بالكثرة والمبالغة جاء بمثال من أمثلة المبالغة، ومن

---

[1] عبد القادر البغدادي : خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب:33/2.
[2] ينظر: محمد عبد الرحمن الريحاني: اتجاهات التحليل الزمني في الدراسات اللغوية 135.
[3] تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها 102.
[4] المعارج 25.
[5] شهاب الدين الخفاجي: شرح درّة الغواص في أوهام الخوّاص 130.

ذلك الحديث النبوي الشريف: "لعن رسول الله ﷺ زوّارات القبور"[1].وفيه ينهى الرسول ﷺ النساء خاصة عن الإكثار من زيارة القبور والتردد عليها، ولم يقل لعن زائرات القبور بصيغة اسم الفاعل، لأنّه إنما أذن لهم في الزيارة دون الإكثار من ذلك، ويشرح القرطبي هذا بالقول: "اللعن المذكور في الحديث إنما هو للمكثرات من الزيارة، لما تقضيه الصيغة من المبالغة".[2]

ومما جاء فيه استخدام اسم الفاعل أو صيغة المبالغة تفريقا بين الفعل والإكثار منه، قول العرب في وصف المرأة "متئام مثل مفعال إذا كان من عادتها أن تلد كل مرّة توأمين، فإن أرادوا أنها وضعت اثنين في بطن قالوا مُتْئِم".[3]

ويأتي اسم الفاعل دالاً على المبالغة إذا كان اشتقاقه من فعل دالّ عليها أيضا، يقول ابن السرّاج: "ومما يجري مجرى فاعل مُفَعِّلٌ نحو قطّع فهو مقطّع وكسّر فهو مكسّر يراد به المبالغة والتكثير فمعناه معنى فاعل إلاّ أنه مرّة بعد مرّة".[4] وقد لاحظ بعض العلماء أنّ الدلالة على المبالغة في صيغ المبالغة تكون باعتبارين[5]: أحدهما: ما تحصل المبالغة فيه بحسب زيادة الفعل، وهذه هي الدلالة المعتاد.

ثانيهما: ما تحصل المبالغة فيه بحسب تعدد المفعولات، وتعددها لا يوجب للفعل زيادة، لأن الفعل الواحد قد يقع على جماعة متعددين، وتحت هذا القسم أدخلوا أسماء الله تعالى التي جاءت على صيغ المبالغة مثل الرحمن، والغفّار والتوّاب، إذ فيها مبالغة "بالنسبة إلى تكثير التعلق، لا بالنسبة إلى تكثير الوصف".[6]

ولم يأخذ السيوطي بهذا الاعتبار الثاني حين قال: "إنّ صفات الله التي هي صيغ مبالغة كغفّار ورحيم وغفور ومنّان كلّها مجاز، إذ هي موضوعة للمبالغة ولا مبالغة فيها، لأنّ المبالغة هي أن تثبت للشيء أكثر مما له، وصفات الله تعالى متناهية في الكمال ولا يمكن المبالغة فيها، كما أنّ المبالغة تكون في صفات تقبل الزيادة والنقصان وصفات الله منزّهة عن ذلك".[7]

وقد وردت صيغ للمبالغة غير مراد بها معنى المبالغة، ولا معنى الفعل، بل معنى الاسم، مثل كلمة رسول في مثل قولهم: "أعبد الله أنت رسول له؟ لأنّك لا تريد بفعول ها هنا ما تريد بضروب، لأنك لا تريد أن توقع منه فعلا عليه، فإنما هو بمنزلة قولك: أعبد الله أنت

---

[1] ابن ماجه: سن ابن ماجه: 502/1.
[2] محمد بن علي الشوكاني: نيل الأوطار شرح منتقى الخبار:128/4.
[3] ابن قتيبة: أدب الكاتب 330.
[4] أبو بكر بن السرّاج: الأصول في النحو:123/1.
[5] ينظر: بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن: 508/2.
[6] نفسه: 508/2.
[7] جلال الدين السيوطي: معترك الأقران في إعجاز القرآن: 412/2.

عجوز له، وتقول أعبد الله أنت عديل له لأنّك لا تريد به مبالغة في فعل، فإنّما هو بمنزلة أزيد أنت وصيف له"[1]. ودلالة كلمة مثل رسول على معنى الاسم، تتّضح إذا ما قورنت بكلمة مرسل وهي اسم فاعل التي وردت في القرآن وصفا للرياح وللحاصب ولكل عذاب من الله، أمّا الرسول فلم يرد إلاّ اسما بمعنى المبلّغ عن الله رسالته[2]. والفرق بين دلالة اسم الفاعل وصيغة المبالغة منه، فرق يوظف في سياقات لغوية لأغراض بلاغية، ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[3]، غاير الاستعمال القرآني بين الصفتين، إذ جعلت المبالغة في جانب الكفران؛ والسبب في هذه المخالفة هو "أن نعم الله على عباده كثيرة، وكل شكر يأتي في مقابلتها قليل، وكلّ كفر يأتي في مقابلتها عظيم"[4]، فاقتصر في الشكر على لفظ فاعل، وجاء كفور بلفظ فعول على وجه المبالغة. وبالإضافة إلى ما ذكرنا من دلالات، فقد تجيء صيغة فاعل غير مراد بها أيّ من المعاني الأصلية التي وضعت لها، فتأتي مرادا بها اسم المفعول مثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾[5] أي مدفوق[6]، وكذا قوله تعالى: ﴿فهو في عيشة راضية﴾[7] أي مرضية[8].

وقد تدل صيغة فاعل على مجرد الحدث مثل المصدر تماما، دون الدلالة على ذات تقوم بهذا الحدث أو تفعله، ومنه في القرآن قوله تعالى:﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾[9] وقوله تعالى:﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾[10] فقد دلت كلمتا كاذبة وباقية على الحدث فهما مصدران بمعنى كذب وبقاء.[11]

وقد يدل اسم الفاعل على النسبة إلى شيء، يقول سيبويه:"وأمّا مايكون ذا شيء وليس بصنعة يعالجها فإنه مما يكون فاعلا، وذلك قولك لذي الدرع دارع ولذي النبل نابل ولذي النشاب ناشب ولذي تمر تامرولذي لبن لابن"[12].

---

[1] سيبويه:الكتاب: 117/1.
[2] ينظر: السهيلي: الروض الأنف: 408/1.
[3] الإنسان 3.
[4] بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن: 514/2.
[5] الطارق 06.
[6] جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن: 38/2، ويرى ابن الجني أنه بمعنى النسبة، أي ذو دفق، ينظر: الخصائص:152/1.
[7] الحاقة 21.
[8] ينظر: بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن: 285/2.
[9] الواقعة 2.
[10] الحاقة 8.
[11] ينظر: د. محمد سالم محيسن. تصريف الأفعال والأسماء في ضوء أساليب القرآن 363.
[12] سيبويه: الكتاب: 381/3 وينظر: جلال الدين السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها:274/2.

وقد يوصف باسم الفاعل المشتق من نفس مادة الموصوف، لقصد المبالغة، فقد سأل سيبويه الخليل عن قولهم "موت مائت وشغل شاغل وشعر شاعر فقال: إنما يريدون المبالغة والإجادة"[1]، ومن هذا الباب قولهم: ثُكْل ثَاكِل وجُهْدٌ جَاهِدٌ وحِرْزٌ حَارِزٌ[2].

ثالثا: اسم المفعول :

إنّ الأفعال أو التأثير والحركة كما يمكن أن تصدر عن شخص أو شيء يسمى فاعلا لها، فإنها أيضا يمكن أن تقع عليه، فيكون متأثرا لا مؤثرا في غيره، وقد وصفت اللغة العربية من وقع عليه الفعل بمبنى صرفي هو اسم المفعول.

1- اسم المفعول مورفولوجيًا:

إنَّ اسم المفعول في اصطلاح الصرفيين هو اسم مشتق من مصدر الفعل المضارع المبني للمجهول، للدلالة على معنى مجرد غير ملازم، وعلى الذي وقع عليه هذا المعنى أو الفعل.[3] وقياس اشتقاق اسم المفعول هو وزن مفعول إذا كان مصدر فعله ثلاثيا متصرفا، ويبنى من غير الثلاثي على وزن مضارعة مع إبدال حرف المضارعة ميما مضمومة وفتح ما قبل الآخر، أو لنقل إنه يبني على وزن اسم فاعله مفتوحا ما قبل آخره.[4]

وإذا كان الثلاثي أجوف واويًا فإن اسم المفعول منه يأتي على وزن مفول[5] مثل قال مقول، وقد شذت عن هذه القاعدة بعض الأمثلة جاءت على وزن مفعول مثل قولهم : ثوب مصوون ومسك مدووف ورجل معوود من مرضه.[6]

وأما الأجوف اليائي فيأتي اسم المفعول منه على وزن مفيل[7] مثل: هاب مهيب، وجاء اسم المفعول في هذا الباب على أصله مثل برّ مكيل ومكيول وثوب مخيط ومخيوط ورجل معين ومعيون[8]. وسبب هذه التغيرات الطارئة علىوزن مفعول يتمثل في نقل الحركة من صوت اللين المحرك بالضم وهو الواو إلى الساكن الصحيح قلبه، ويحذف حرف المد الثاني.

---

[1] سيبويه: الكتاب: 385/3.
[2] رفاييل نخلة اليسوعي: غرائب اللغة العربية 73.
[3] ينظر: عبد الصبور شاهين: المنهج الصوتي للبنية العربية:116.
[4] ينظر: إميل بديع يعقوب معجم الأوزان الصرفية 45. ومفول يمثل الميزان وهو أمر خاص يعلم الأصوات، بينما تبقى الصيغة هي مفعول في جميع الحالات، ذلك أن الصيغة تبين المبنى الصرفي الذي ينتمي إليه المثال، ويبين الميزان الصورة النهائية التي آل إليها المثال، ينظر، تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها: 144-145
[5] ينظر: إميل بديع يعقوب معجم الأوزان الصرفية 45.
[6] ينظر: ابن جني: الخصائص: 98/1-99.
[7] إميل بديع يعقوب: معجم الأوزان الصرفية 45.
[8] ينظرابن قتيبة: أدب الكاتب: 589 وإبقاء الياء لهجة تميم، ينظر: ابن جني: الخصائص: 260/1.

وإذا كان ما قبل الحرف الأخير من اسم المفعول ألفا في مثل منقاد ومختار، فالفتح يكون مقدّرًا غير ظاهر، فتحتمل هذه الأمثلة الدلالة على معنيي اسم الفاعل واسم المفعول، والسياق أو المقام هو الذي يرشح إحدى الدلالات على الأخرى.[1]

ويأتي اسم المفعول من الأفعال على وزن "أفعل" على مُفْعَلْ، بدل مُؤَفْعَل، مثل أكرم فهو مكرَمٌ.[2]

وقد وردت صيغ أخرى سماعية تؤدي ما يؤديه اسم المفعول المصوغ من الثلاثي، وليست على وزنه، فهي نائبة عن صيغة مفعول في الدلالة على الذات والمعنى، ولكنها لا تعمل عَمَلَهُ، ومنها :[3]

أ- فعيل: وهو أكثرها نيابة عن اسم المفعول وأمثلته كثيرة منها قتيل وجريح.

ب- فِعْلٌ : مثل ذِبحٌ بمعنى مذبوح ورِعْيٌ بمعنى مَرْعِيّ.

ج- فَعَلٌ: مثل قَنَصٌ بمنى مقنوص.

د- فُعْلَةٌ: مثل مُضْغَة بمعنى ممضوغ.

2- اسم المفعول في المستوى النحويّ:

يعدّ اسم المفعول من الموضوعات المشتركة بين علمي الصرف والنحو؛ شأنه في ذلك شأن باقي المشتقات العاملة عمل الفعل، فهو صرفيّ من حيث اختصاصه بصيغة صرفية معيّنة، ونحويّ من حيث عمله في السياق.

ولا يفترق اسم المفعول عن اسم الفاعل في عمله وفي شروط هذا العمل، و"حاله في عمل فعله، أي المضارع المبني للمفعول، كحال اسم الفاعل في عمله عمل فعله الذي هو المضارع المبني للفاعل، وحاله في اشتراط الحال والاستقبال والاعتماد على صاحبه أو حرفي الاستفهام والنفي كحال اسم الفاعل"[4]، ولهذا فقد قَرَن سيبويه أحكامه في العمل بأحكام اسم الفاعل تحت عنوان واحد هو " باب ممَّا جرى في الاستفهام من أسماء الفاعلين والمفعولين مجرى الفعل كما يجري في غيره مجرى الفعل"[5]؛فاسم المفعول يعمل عمل فعله منونًا معتمدًا أو مقترنًا ب "أل" وإذْ كان مشتقًا من الفعل المبني للمجهول، فمرفوعه هو نائب

---

[1] ينظر أحمد الحملاوي: شذا العرف في فن الصرف 52.

[2] ينظر ابن هشام: شرح شذور الذهب 509، وقياس اسم المفعول في مثل أكرَمَ هو مؤكرَمٌ وفي مضارعه يؤكرِمُ، إلا أن هذه الهمزة لما كانت تجتمع مع همزة المتكلم في المضارع حذفت إحدى الهمزتين، ثم عمِّمَ الحذف على تصاريف المضارع، وإن لم تجتمع فيها همزتان، وكذا حذفت من اسم المفعول لأنّه مأخوذ من المضارع، وهذا ما يسميه علماء أصول النحو بـ "طرد الباب على وتيرة واحدة". ينظر: جلال الدين السيوطي: الأشباه والنظائر:1/283-284.

[3] ينظر: ابن مالك: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد 130 وعباس حسن: النحو الوافي: 273/3.

[4] رضي الدين الاسترابادي: شرح الكافية في النحو: 204/2.

[5] سيبويه:الكتاب:100/1.

فاعل أصله مفعول به، من ذلك قوله تعالى: ﴿مُفَتَّحَةً لَهُمْ الأَبْوَابُ﴾[1] فمفتّحة اسم مفعول منون معتمد بكونه حالاً لاسم قبله، لهذا عَمِلَ عَمَلَ فعله المبني للمجهول، برفع اسمٍ نائبًا للفاعل.

وإذا كان اسم المفعول مشتقًا من فعل متعدي إلى أكثر من واحد، فهو يرفع الاسم الأوّل نائبًا للفاعل وينصب ما عداه على المفعولية،[2] مثل: أَمكْسُوٌّ الفَقِيرُ حُلَّةَ التعفف، فالفقيرُ نائب فاعل، أصله مفعول به أوّل، وحُلّة مفعول به ثانٍ، وقد عمل اسم المفعول هنا لاعتماده على استفهام، ومثله عاملاً قولنا: المزعوم شديدًا قد لا يملك نفسه عند الغضب، فقد عمل اسم المفعول "مزعوم" لاقترانه بـــ "أل" فرفع ضميرًا مستترًا نائبًا للفاعل ونصب مفعولاً به ثانيًا هوشديدًا.

ولا يصاغ اسم المفعول من الفعل اللازم إلا مع الظرف أو الجار والمجرور أو المصدر، ويشترط لهذه الثلاثة الإفادة[3]، ومثالها قوله تعالى: ﴿غيرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾.[4]

ويشترك اسم المفعول مع اسم الفاعل في أن مرفوعهما يجوز فيه أن يتحوّل إلى تمييز نسبة.[5]

ويختلف اسم المفعول عن اسم الفاعل في أنّه يجوز إضافته إلى مرفوعه معنًى مثل قولنا: الورع محمودُ المَقَاصِدِ،بينما لا يجوز هذا في اسم الفاعل لأن إضافته إلى مرفوعه تدخله باب الصفة المشبهة أو يكون من إضافة الصفة إلى موصوفها[6]. واسم المفعول إذا أريد به معنى الصفة المشبهة، فإنه يرفع السببيَّة بعدَهُ على أنّه فاعل له لا نائب للفاعل، لأنّ الصفة المشبهة لا ترفع نائبا للفاعل.[7]

وهذا الانتقال في الإعراب من نائب الفاعل في حالة الحدوث إلى الفاعل في حالة الثبوت والدوام، يؤكد لدينا ذلك الرباط القويّ بين الإعراب والمعنى*، فليس الإعراب عملية شكلية تعتمد حركات أواخر الكلمات أو موقع هذه الكلمات في الجملة، فحسب.

---

[1] ص 50.
[2] ينظر عباس حسن : النحو الوافي: 275/3.
[3] ينظر ينظر عباس حسن : النحو الوافي : 111/2 وكذا خديجة عبد الرزاق الحديثي: أبنية الصرف في كتاب سيبويه 280.
[4] الفاتحة 7.
[5] ينظر عباس حسن النحو الوافي:418/2.
[6] ينظر: جلال الدين السيوطي:الأشباه والنظائر:243/2.
[7] يظر: شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك: تحقيق حنّا الفاخوري : 159/2.
* والقول بقوّة الرابط بينهما لا ينفي وجود أمور يفترقان فيها، وقد ذكر ابن جني في الخصائص منها أمثلة تحت عنوان: باب في الفرق بين تقدير الإعراب وتفسير المعنى،ابن جني: الخصائص:279/1 وما بعدها.

3- اسم المفعول في المستوى الدلالي :

يشارك اسمُ المفعول اسمَ الفاعل في أحكام العمل والاضافة، ويختلف عنه في الدلالة، فاسم المفعول مشتق من الفعل المضارع المبني للمجهول،لذا فهو يدل على الحدث بالإضافة إلى ذات وقع عليها هذا الحدث.

وإذا وقع اسم المفعول خبرًا، فمرفوعه يأتي ليحدد نسبة الحدث إلى جزء من أجزاء الموصوف أو متعلق من متعلقاته، مثل قولنا: الحاجُ مشكورٌ سَعْيُهُ.

وإن لم يذكر المرفوع بعد اسم المفعول فذلك لتعميم الوصف به فنقول فلانٌ محمودٌ، ولا نذكر أمحمودة فعاله أم خصاله، أم شيء آخر من متعلقاته.

ويَدُلُّ اسم المفعول على من وقع عليه الفعل حدوثا لا ثبوتا، فهو مثل اسم الفاعل، وتنحصر دلالته في الحال ولا تمتد إلى الماضي ولا إلى المستقبل ولا يفيد الدوام، إلا بقرينة، ترشحه لاحدى هذه الدلالات.[1]

فإن كان منونًا فهو دَالَ على الحال أو على الاستقبال بقرينة، وإن كان مضافًا فهو دالّ على الماضي وإن اقترن بـــ "أل" فهو لمطلق الزمان[2]، ومع هذا فدلالته الزمنية أسيرة السياق اللغويّ، فهو "المكان الطبيعي لتحديد وظيفته ودلالته الزمنية، بما يوفره من قرائن لفظية ومعنوية تساعد على تحديد الجهة الزمانية".[3]

والحق أن الدلالات الزمنية لاسم المفعول والأسماء العاملة عمل فعلها، تبقى نسبية قابلة للاحتمال في بعض السياقات، وبخاصة في قصص القرآن الكريم مثل ذلك في قوله تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ الْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ﴾[4]، فاسم المفعول "مَعْكُوفًا" مقترنةٌ دلالتُه الزمنية بزمن الصدّ عن المسجد الحرام و هو عام الحديبية،إذ منع الكفار المسلمين من دخول مكّة معتمرين[5] ، و دليل الاقتران الزمني ملابسات القصّة، و بهذا الاعتبار يكون اسم المفعول دالاً على الماضي، أما بالنسبة لوقت وقوع الصدّ فهو دالّ على الحال. و قد يتحوّل اسم المفعول عن دلالة الحدوث إلى دلالة الثبوت في الصفة فيصبح صفة مشبهة معنى، و يخلص لهذا الدلالة بقرنية من القرائن، منها اشتقاقه من مصدر الفعل المتعدي إلى مفعول واحد و إضافته إلى مرفوعه[6].

---

[1] ينظر: عباس حسن: النحو الوافي: 271/3.
[2] ينظر محمد عبد الرحمن الريحاني اتجاهات التحليل الزمني 145..
[3] عبد الله بوخلخال التعبير الزمني عند النحاة العرب : 235/1.
[4] الفتح 25.
[5] ينظر مثلا: محمد سليمان الأشقر: زُبْدَة التفسير من فتح القدير 682.
[6] ينظر عباس حسن النحو الوافي:277/3.

من ذلك اسم المفعول "مُخلَص" فقد ورد وصفًا لعباد الله في ثمانية مواضع من القرآن، منها في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَ الفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا المُخْلَصِينَ﴾[1]، والمقصود بالمُخلصين الذين أَخْلَصهُم الله لطاعته[2]، وهو وصفٌ دائمٌ لهم لا حادثٌ.

ويأتي اسم المفعول دالاً على المبالغة في وقوع الفعل إذا كان مشتقا من فعل دالّ أصلاً على المبالغة، مثاله في قوله تعالى:﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمْ الأَبوَابُ﴾[3]، فمُفَتَّحَةً مشتق من الفعل تُفَتّحُ و هودالّ على المبالغة في الفتح.

كما جاءت صفة مفعول دالة على معنى اسم الفاعل، من ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا﴾[4] أي آتيا[5]. كما جاءت هذه الصفة بمعنى المصدر مثل، معقول وميسور بمعنى عقل ويُسر[6]، ومنها في القرآن قوله تعالى: ﴿بِأَيِكُمُ المَفْتُونُ﴾[7]، فمفتون صفة المفعول نابت عن المصدر ووسمت بدلالته.[8]

رابعا: الصفة المشبهة :

إذا كان اسم الفاعل واسم المفعول مشتقين يدلان على طروء أو حدوث صفة على موصوف بهما، فهما لا يصلحان لوصف بعض أحوال الذات التي تكون ثابتة للموصوف دائمة فيه، فنعت الموصوفات في هذه الحالة إنما يكون بالصفة المشبهة وهي إحدى المشتقات العاملة عمل فعلها، وهذ الاسم هو المقتصر عليه غالبا في تسميتها، وشبهها إنما هو باسم الفاعل، فأكمل القول في تسميتها النحوية أنه يقال: الصفة المشبهة باسم الفاعل.[9]

1- الصفة المشبهة مورفولوجيا:

إن الصفة المشبهة في اصطلاح الصرفيين هي: "اسم مشتق من فعل لازم متصرف أو من مصدره، يدل على ثبوت صفة لصاحبها ثبوتا عاما، وسميت بذلك لأنها تشبه اسم الفاعل في الدلالة على الحدث ومن قام به، وتشاركه أيضا في التأنيث والتثنية والجمع جمع التذكير السالم"[10]، فاشتقاق الصفة المشبهة يكون من الفعل اللازم، مثل كَرُمَ فهو كريم. وقد

---

[1] ص 50.
[2] أبو سعيد البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل 324، وهو بهذا المعنى في قراءة من قرأ بفتح اللام على أنه اسم مفعول ينظر: أبو البقاء العكبري: التبيان في إعراب القرآن : 729/2.
[3] يوسف 24.
[4] مريم 61.
[5] ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن 296.
[6] ينظر: جلال الدين السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها: 246/2.
[7] القلم 06.
[8] ينظر: جلال الدين السوطي: الإتقان في علوم القرآن:38/2.
[9] ينظر:أبو بكر بن السرّاج: الأصول في النحو: 130/1.
[10] إميل بديع يعقوب: معجم الأوزان الصرفية 125.

اشتقت سماعًا من المتعدي مثل رحم فهو رحيم وعلم فهو عليم، وماورد من هذه الأمثلة يحفظ ولا يقاس عليه[1].

وللصفة المشبهة أوزان قياسية وسماعية تجيء عليها، ولكل وزن منها خصوصياته، نلخصها مع أمثلة في الجدول التالي :[2]

البناء	خصوصياته	المثال
أَفْعَلَ الذي مؤنثه فعلاء	يختصّ بالأفعال على وزن فَعِلَ وأكثرها للألون والعيوب الظاهرة	حَمِر ← أحمر ← حمراء عَرِج ← أعرج ← عرجاء
فعلان الذي مؤنثه فَعْلَى	يختصّ بالأفعال على وزن فَعِلَ دالّةً على خُلوّ أو امتلاء أو حرارة باطنية ليست بداء	صَدِي ← صديان ← صديى غضب ← غضبان ← غضبى
فَعَلٌ	يختصّ بالأفعال على وزن فَعُلَ	حَسُنَ ← حَسَنٌ بَطُل ← بَطَلٌ
فُعُلٌ	يختصّ بالأفعال على وزن فَعُلَ	مثل جُنُبٌ
فُعَال	يختصّ بباب فَعُلَ	شَجُعَ ← شُجَاع فَرُتَ ← فُرات
فَعَال	باب فَعُلَ والأكثر قَصْر هذا الوزن على المؤنث	رجل جبان وإمرأة حصان ورَزَان
فَعْلٌ	مشتركة (فَعُلَ+فَعِلَ)	ضَخُم ← ضَخْمٌ سَبِطَ ← سَبْطٌ
فِعْلٌ	مشتركة	صَفِرَ ← صِفْرٌ مَلُحَ ← مِلْحٌ
فُعْلٌ	مشتركة	صَلُبَ ← صُلْبٌ حرِرَ ← حُرٌّ
فَعِلٌ	مشتركة	فرِحَ ← فَرِحٌ نَجِسَ ← نَجِسٌ
فاعِل	مشتركة	صَحِبَ ← صاحب طَهُرَ ← طاهر
فَعِيل	مشتركة	بَخِلَ ← بخيل كَرُمَ ← كريم
فَيْعِل	مشتركة	ساد ← سَيِّد قام ← قيّم

[1] ينظر: مصطفى الغلايني: جامع الدروس العربية: 185/1.
[2] ينظر: عباس حسن: النحو الوافي: 285/3 وما بعدها وكذا أحمد الحملاوي: شذا العرف في فن الصرف 52-53.

والملاحظ من الجدول أن الصفة المشبهة تقاسم اشتقاقها من الثلاثي بابان من صيغ الأفعال هما باب فَعُلَ و فَعِلَ، وذلك لكون معاني هذين البابين أقرب وأنسب لمعنى الصفة المشبهة، فوزن فَعُل يختص بالأوصاف الخُلُقية التي تلازم صاحبها، ومن باب فعِل تأتي الأفعال الدالة على معاني الفرح وتوابعه وكذا الامتلاء والخلو والألوان والعيوب والخلق الظاهرة التي تُذكر لتحليه الإنسان مثل، فَرِح وطرِب وظمِئ ولَمِي[1]، وهذه الأفعال بهذه المعاني لا تكون إلا لازمة، وهو شرط من شروط اشتقاق الصفة المشبهة من الثلاثي، لهذا يحقق هذان البابان المناسبة مع الصفة المشبهة دلاليا ونحويا.

والصيغ المذكورة في الجدول تمثل الصيغ المختصة بالصفة المشبهة، وهناك صفات مشبهة تأتي على صيغتى اسم الفاعل واسم المفعول، بشرط دلالتها عى معناها وهو الثبوت، والدوام[2]. وكذا بأن يكون مكتفيين بمرفوع بعدهما فيكون اسم الفاعل لازما واسم المفعول متعديا إلى واحد فقط، مثل قولنا: المؤمن صادق الوعد مأمون الجوار.[3]

ومما يدل على معنى الصفة المشبهة الأسماء الجامدة المؤولة بالمشتق مثل قولنا: وردنا عينا عسلا ماؤها، فعسل اسم جامد في تأويل حلو[4]، وكذا فلحاق ياء النسب الاسم الجامد تجعله في حكم المشتق، فيصبح دالا على معنى الصفة المشبهة، حاملا للضمير رافعا للظاهر، قابلا للجمع جمع مذكر سالم، ومثاله قولنا فلان عربيّ أصله أو قريشيّ أبوه.[5]

2- الصفة المشبهة في المستوى النحوي:

تعمل الصفة المشبهة عمل الفعل في رفع اسم فاعل لها أو نصبه على التشبيه بالمفعول به، وسبب إعمال الصفة المشبهة هو شبهها باسم الفاعل لا شبهها بالفعل، يقول سيبويه تحت عنوان "هذا باب الصفة المشبهة بالفاعل فيما عملت فيه": "ولم تقو أن تعمل عمل الفاعل لأنها ليست في معنى الفعل المضارع؛ فإنها شبهت بالفاعل فيما عملت فيه"[6]، والمقصود بالفاعل في كلامه هو اسم الفاعل، ومشابهة الصفة المشبهة له تتمثل في قابليتها للتثنية والجمع والتذكير والتأنيث.كما يمكن للصفة المشبهة أن تنصب معرفة بعدها على التشبيه بالمفعول به، وهذه مشابهة لاسم الفاعل المتعدي إلى واحد.

---

[1] أحمد الحملاوي: شذا العرف في فن الصرف 13.
[2] ينظر: ابن مالك: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد 141 وعباس حسين: النحو الوافي: 284/3.
[3] ينظر: ابن عقيل: شرح ألفية ابن مالك بتحقيق حنا الفاخوري : 159/2.
[4] عباس حسن: النحو الوافي : 284/3.
[5] ينظر: أبو علي الفارسي: التكملة 50 وجلال الدين السيوطي: الأشباه والنظائر في النحو: 161/2.
[6] سيبويه: الكتاب:194/1 وينظر أبو القاسم السهيلي: الروض الأنف: 84/3.

وهذه المشابهة لاسم الفاعل متحققة فيها دائما، لهذا فهي تعمل في جميع الحالات، كما أنّ إضافتها لمرفوعها لفظية دائما لوجود سبب العمل دائما[1]. وفي معمول الصفة المشبهة أربعة أوجه:[2]

أ- الرفع على الفاعلية.

ب- النصب على التشبيه بالمفعول به إن كان معرفة، إذ لا يمكن أن يعرب منصوب الصفة المشبهة مفعولا به لأنها مشتقة من اللازم، وهي لا تعمل النصب إلا إذا كانت معتمدة.*

ج- النصب على التمييز إن كان نكرة.

د- "الجر بالاضافة، مثل قول أحدهم في وصف التشبيه البلاغي:" هو فنّ واسع النطاقِ، فسيحُ الخطوةِ ممتدُّ الحواشي، متشعب الأطرافِ متوعر المسلك غامض المدركِ"[3].

والاضافة هي الأحسن والأكثر استعمالاً، يقول سيبويه : "والإضافة فيه أحسنُ وأكثر لأنه ليس كما جرى مجرى الفعل ولا في معناه،فكان هذا أحسن عندهم أن يتباعد منه في اللفظ كما أنَّه ليس مثله في المعنى وفي قوته في الأشياء"[4].

وقد شرح السيرافي هذا الكلام بالقول: "يعني أنّ قولك حسنُ الوجهِ لم يجري مجرى حَسُنَ، كما جرى ضارب مجرى ضَرَبَ فكان الأحسن عندهم في حَسَنٌ الإضافة لبُعد الإضافة من الفعل في اللفظ كما تباعد حَسَنُ الوَجْهِ من الفعل وممّا جرى مجراه"[5]. أي أنّ الصفة المشبهة لا تجري غالبا على فعلها، فهي إلى الأسماء أقرب منها إلى الأفعال، والإضافة أنسب لها.

وهذا ما يشرحه ابن السرّاج بوضوح حين يقول: "إذا قلت زيد حسن الوجهِ وكريم الحسبِ فأنت لست تخبر أنّ زيدًا فعل بالوجه ولا بالحسب شيئًا، والحسب والوجه فاعلان، كما ينصب الفعل، وحسن وشديد أسماء غير متعديّة على الحقيقة وإنما تعديهَا على التشبيه"[6]، ثم يبيّن قرب اسم الفاعل من الفعل وبعد الصفة المشبهة عنه يقول :"ألا ترى أنّك إذا قلت زيدٌ ضارب عمرًا فالمعنى أن الضرب قد وصل منه إلى عمر وإذا قلت زيد حسن الوجه أو

---

[1] ينظر: أحمد بن القاسم العبادي: رسالة في اسم الفاعل 18.

[2] ينظر: عباس حسن: النحو الوافي: 3/294-295.

* الملاحظ أنّ الاعتماد يتردّد كثيرا كشرط من شروط عمل المشتقات عمل فعلها، والسبب في ذلك يشرحه السيوطي بالقول: "الاسم الصريح يَصحُّ أن يحدّث عنه بوجه من الوجوه، والصفة إذا اعتمدت لم يَصحَّ أن يخبر عنها، بل هي بمنزلة خبر، لأنّ الاسم الصريح ليس فيه إلا تميّز ذات عن ذات، وإذا عرفت ذلك، تبيّن أن الاسم يكتسب بهذا الاعتماد تحقيقا في شبه الفعل، إذ هو واقع في موضع هو خاصّ بالفعل". جلال الدين السيوطي: الأشباه والنظائر في النحو : 294/1.

[3] السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة 219.

[4] سيبويه:الكتاب : 194/1.

[5] نفسه :194/1.

[6] أبو بكر بن السرّاج:الأصول في النحو: 131/1-132.

كريم الأب فأنت تعلم أنّ زيدًا لم يفعل بالوجه ولا بالأب"[1]، وأخيرا يبيّن ابن السرّاج سبب رفع الصفة المشبهة للاسم على أنه فاعل لها يقول: "والأب والوجه فاعلان في الحقيقة، وأصل الكلام حَسُنَ وَجْهُهُ، وكريم حسبُه لأنّ الوجه هو الذي حَسُنَ والأب هو الذي كَرُمَ"[2].

وإذا كانت الصفة المشبهة مقترنة بـــ "أل" ومعمولها مجردًا منها ومن الاضافة إلى ما فيه "أل" امتنعت إضافتها إلى معمولها فلا يقال عليّ الحَسَنُ خُلقه[3].

ولئن كانت الصفة المشبهة إنما أعملت لشبهها الكبير باسم الفاعل، فهي تختلف عنه في الدلالة الأساسية كما ذكرنا، كما تفترق عنه في بعض الأحكام النحوية وأهمها[4]:

أ- الصفة المشبهة لا تعمل إلا فيما كان من سبب موصوفها، أي الاسم الذي تجري عليه إعرابا، ولا تعمل في الأجنبي فيقال: زيد حسنٌ وجْهُهُ ولا يجوز حسنٌ وجه عمرو، وهو جائز في اسم الفاعل، فهو يعمل في السببي والأجنبي.

ب- لا يتقدم معمولها عليها، وقد يتقدم المعمول على اسم الفاعل.

ج- إذا دخل على الصفة المشبهة "أل" وعلى معمولها، كان الأجود في معمولها الجر، بخلاف اسم الفاعل فإن النصب فيه أجود.

د- لا يجوز أن يعطف على المجرور بالصفة المشبهة بالنصب لأنه إنما يعطف على الموضع بالنصب إذا كان المعطوف عليه منصوبا في المعنى، وليس معمولها كذلك. وهو جائز في اسم الفاعل، ومن أمثلة قوله تعالى: ﴿جَاعِلُ اللَّيلِ سَكَنًا والشَمْسَ﴾[5]، فنصب الشمس عطفا على محل الليل من الإعراب وهو النصب.

ه- لا يقبح حذف موصوف اسم الفاعل واضافته إلى مضاف إلى ضميره مثل: مررت بقاتل أبيه، ويقبح هذا في الصفة المشبهة مثل: مررت بحسنٍ وجهُه، والسبب هو وُضُوح المعنى في اسم الفاعل، وَغُموضه في حالة الصفة المشبهة.

و- تعمل الصفة من غير قيد بأحد الأزمنة الثلاثة لأنها موضوعة على معنى الاطلاق، وتشترط الدلالة على الحال أو الاستقبال لعمل اسم الفاعل.

---

[1] أبو بكر بن السرّاج الأصول في النحو: 1/131-132.
[2] نفسه : 1/131-132.
[3] مصطفى الغلاييني: جامع الدروس العربية: 3/283.
[4] ينظر: ابن هشام: معني اللبيب عن كتب الأعاريب: 2/123-124-125.
وجلال الدين السيوطي: الأشباه والنظائر في النحو: 2/244-245-246.
[5] الأنعام 96.

3- الصفة المشبهة في المستوى الدلالي:

تفيد الصفة المشبهة "اتصاف الذات بالحدث على وجه الثبوت والدوام"[1] فهي تدل على معنىً دائم الملازمة لصاحبه، أو كالدائم في بعض الأحوال. وثبات الوصف للموصوف بالصفة المشبهة نسبيٌّ يختلف بحسب مقتضى الكلام، مثل قولنا عن أمر أنه صعب، فالصعوبة في بعض الأشياء أثبت منها في البعض الآخر. وبين الصفات قد يَختلف الثبوت أيضا، فهو أظهر في مثل بطل، حسن، كريم، أسود منه في مثل، مريض، أشعث، غضبان؛ فالأمثلة الأولى تمثل أوصافا لا يتخللها انقطاع، وغالبا ما يطرأ الانقطاع على صفات المرض والشعث والغضب، فالاستمرار في الأوصاف الأخيرة تجددي.[2]

ويقسِّم أحمد الحملاوي الصفات المشتقة من باب فَعِلَ باعتبار نسبتها إلى موصوفها إلى ثلاثة أنواع:[3]

أ- ما يحصل ويسرع زواله: كالفرح والطرب فهي صفات لا تفارق صاحبها، لكن آثارها لا تظهر إلا في مناسبات خاصة، وأكثرها من العادات النفسية.

ب- ماهو موضوع على البقاء والثبوت : وتمثله صفات الألوان والعيوب والحِلَى مثل الحمرة والحمق والعمى والغيد[4] والهيف[5].

ج- الصفة لأمور تحصل ويَزول لكنها بطيئة الزوال كالريّ والجوع والشبع. والانقطاع في الصفة في النوع الأول والأخير لا يخرج الصفة عن كونها في حكم الثابتة للموصوف إذ كانت من عاداته الغالبة عليه.

ومعنى الثبوت في الصفة المشبهة هو الذي جعل العرب "يهجرون في أكثر كلامهم لفظ محبوب لما يؤذن من أنّه الذي تعلّق به الحبّ فقط، واختاروا له لفظ حبيب الدال على أنّه حبيب في نفسه تعلّق به الحبّ أم لا"[6]، فاسم المفعول مثل اسم الفاعل يدل على الحدوث، لهذا عُدِل عنه إلى الصفة المشبهة ليُشار إلى أنّه حبيب أحبَّهُ غيرُه أم لا، فالحبُّ ثابت له لذاته.

وتأتي الصفة المشبهة على وزن فعلان، دالّةً على معنى المبالغة في الوصف، يقول ابن سيده (ت 458هـ) "... وقالوا ملآن كما قالوا شبعان وهم يذهبون بفعلان مذهب التناهي والمبالغة في الأمر، ولذلك وصف الله بالرحمن فذهبُوا مذهب التناهي لأنّ رحمته وَسِعت كُلَّ

---

[1] خديجة عبد الرزاق الحديثي: أبنية الصرف في كتاب سيبويه: 275.
[2] ينظر: عباس حسن: النحو الوافي: 282/3
[3] أحمد الحملاوي: شذا العرف في فن الصرف 53.
[4] الغَيَدُ: النعومة، والأغيد من الثبات إلناعم المتثني. ابن منظور: اللسان: 327/3 مادة "غيد".
[5] الهَيَفُ: رقة الخصر و ضمور البطن: ابن منظور: اللسان: 352/9 مادة "هيف".
[6] ابن قيم الجوزية: بدائع الفوائد:88/1.

شيءٍ"[1]، وهذا الفرق نلمسه إذا قارنّا بين غضبان وغاضب وكذا بين ملآن وممتلئ؛ فالمبالغة في أمثلة فَعْلاَن واضحة.

وهذا الثبوت والمبالغة في وزن "فعلان" يكون نسبيًّا إذ ما قورن بأمثلة فعيل، ذلك أنّ صيغة فعلان الدالة على وصف فيه معنى المبالغة تأتي عامّةً في الصفات العارضة، وعروض الصفة لا يتنافى مع المبالغة فيها، مثل غضبان وغرثان، ويأتي وزن فعيل لصفات راسخة ومعانٍ ثابتة في الموصوف بها كالأخلاق والسجايا، مثل كريم، جميل، قويّ[2].

ودلالة الصفة المشبهة على معنى ثابت يستلزم لدلالتها الفراغ من مفهوم الزمان، وهذا الفراغ يظهر جليًّا في صفات الألوان والعيوب والحلَى، فليس لنا أن نتصوّر في مثل أحمر وأعمى ولمياء زمنًا ماضيًا أو حاضرًا أو مستقبلاً.

وبالمقارنة بين صيغ الصفة المشبهة فإن فكرة الفراغ الزمني تختصُّ بالأوزان التالية: أفعل، فعِل، فَعْلَ، فِعْل و فُعْلْ.[3]

وقد اختلف في تحديد الدلالة الزمنية للصفة المشبهة اختلافا كبيرًا بين النحاة[4]، بين قائل إنها للأزمنة الثلاثة، وبين من يرى أنها للماضي، و الحق أن أدق ما قيل في تحديد هذه الدلالة قول ابن هشام متحدثا عن الفرق بينها وبين اسم الفاعل:"و هو، أي إسم الفاعل، يكون للأزمنة الثلاثة، و هي لا تكون إلا للحاضر أي الماضي المتصل بالزمن الحاضر"[5] وهو يقصد أن كل صفة مشبهة إنما توجد في الموصوف بما قبل زمن المتكلم و هي فيه وقت الإخبار بذلك.

وإذا جاء مع الصفة المشبهة قرينة تدل على زمن معين، فإنّها حينئذٍ تكون مفيدة للحدوث و التجدد لا للاستمرار، مثل قولنا عملك حسن اليوم أو الآن و قد كان سيّئًا قبل أو سيصير حسنا.[6]

وقد تجيء الصفة المشبهة لمعنى الاستقبال الزماني، مثلها في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[7]. والمعنى أنّ الكل سيموت أو هو في عداد الموتى[8]، فالصفات ميت و ميتون

---

[1] ابن سيده: مجلد 05 سفر 16 ص 32.
[2] ينظر: فخر الدين قباوة: تصريف الأسماء والأفعال 167.
[3] محمد عبد الرحمان الريحاني: اتجاهات التحليل الزمني 147.
[4] ينظر: جلال الدين السيوطي: همع الهوامع: 98/2 و ينظر شرح هذا الاختلاف، عبد الله بوخلخال: التعبير الزمني عند النحاة العرب:201/2-202.
[5] ابن هشام: مغني اللبيب:123/2 و ينظر شرح شذور الذهب 510.
[6] فخر الدين قباوة: تصريف الأسماء و الأفعال:167.
[7] الزمر 30
[8] ينظر: أبو سعيد البيضاوي: أنوار التنزيل و أسرار التأويل 603، و نستأنس لدلالة الاستقبال بقراءة من قرأ :"إنك مائتٌ و إنهم مائتون"، باستبدال اسم الفاعل المنون الدال على الاستقبال، بالصفة المشبهة، و هذه القراءة هي قراءة عيسى بن عمر. ينظر: القرطبي: تفسير القرطبي: 254/15.

بالاعتبار الأول دالتان على المستقبل وهما بالاعتبار الثاني دالتان على الحال المتصل بالماضي.

وجاءت استعمالات لغوية لصيغتين أو أكثر من صيغ الصفة المشبهة، للدلالة على فروق معنوية بين المشتقات من مصدر واحد. إذ يقال مثل للرجل "بطين إذا كان عظيم البطن وبَطِنٌ إذا كان منهوما"[1] وكذا يقولون:"رجل شحيم لحيم إذا كان قرمًا إلى الشحم واللحم ويشتهيهما..فإن كَثُر اللحم والشحم على جسمه قلت: لِحِمٌ شَحِمٌ"[2]، وقد استعمل في هذه الأمثلة فَعِيلٌ وفَعِلٌ من صيغ الصفة المشبهة. ومن أمثلة هذه الحالة قولهم"بناءٌ حصينٌ وامرأة حَصَانٌ والأصل واحد وهو الحرز، لكنّهم خَصُّوا كلَّ بناء بمعنى لا يشاركه فيه الآخر للفرق"[3]. ونجد في هذه الأمثلة وأشباهها تخصيصًا لصفات مشبّهة بدلالات خاصّة في استعمال لغوي معيّن، فقد خُصَّ الإحصان في الأشياء المادية بـــ"حصين" وأبْقي وصف "حصان" للمرأة، و هو وصف لمعنى نفسي وخلقي أكثر من كونه ماديًا، ولم يعد في الإمكان استعمال أحدهما مكان الأخر. ولا يكون العدول عن اسم الفاعل أو اسم المفعول إلى الصفة المشبهة إلاّ حاملاً لقيم دلالية ذات بال، وهو ما نجده في مثل قوله تعالى:﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾[4] وفي قوله تعالى أيضًا: ﴿ومَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾[5]، فقد عُدِلَ عن مأمون ومرجوم، وهما المعنيان اللّذان يذكر المفسرون أنّ الصفة المشبهة جاءت بمعناها، إلى وزن فعيل للدلالة على الثبوت والمبالغة.[6]

وجاء من أسماء الله الحسنى الصمد وهو من أوزان الصفة المشبهة ودلالته راجعة إلى معنى اسم المفعول، فهو من "صمد إليه إذا قَصَدَهُ وهو السيِّد المصمود إليه في الحوائج"[7] فوزن فَعَلٌ أقوى دلالة على ثبوت الصفة مما أُوِّلَ به – تقريبًا للمعنى- وهو وزن مفعول.

خامسا: المصدر:

إن المشتقات التي سبق لنا الحديث عنها تدل على ذات ومعنى قائم بها؛ فهي تدلّ على موصوف بالحدث بالإضافة إلى دَلالاتها على الحدث، وهناك من الأسماء العاملة عمل فعلها ما يختص بالدلالة على الحدث مجردًا، وهو المصدر.

---

[1] ابن قتيبة: أدب الكاتب 327.
[2] نفسه : 328.
[3] ينظر: جلال الدين السيوطي:الأشباه و النظائر: 89/1.
[4] التكوير 21.
[5] التكوير 25.
[6] ينظر: محمود أحمد نحلة، دراسات قرآنية في جزء عمّ 177-178.
[7] جار الله الزمخشري: الكشاف:298/4.

1- المصدر في المستوى المورفولوجي:

حدّ المصدر في اصطلاح الصرفيين أنه "اسم يدل على الحدث مجردًا من الزمان"[1]، فهو اسم لمعنى مجرد لا وجود له إلا في الذهن، وليس في حروفه دلالة على ذات أو زمن ولا إفراد أو تثنية أو جمع و لا على تأنيث أو تذكير ولا على علمية[2].

ومثله قولنا علم وجهل وفهم وإخلاص وغير ذلك من المفاهيم العقلية المجردة؛ لذا فإن الاسم المتضمن الأحرف الفعل الأصلية، إذالم يدل على الحدث فليس بمصدر مثل كُحْل ودُهْن وجُرْح، فهو اسم للأثر الحاصل بالفعل[3]. وهذه الأمثلة الثلاثة ليس المقصود بها معنى مجردا، بل هي دالة على آثارٍ أحدثها فعل ما. وللمصدر من الثلاثي أوزان كثيرة، بعضها سماعي يستعمل ولا يقاس عليه، وبعضها الآخر قياسي[4]، وقد جمعنا أهمها بأمثلها وخصوصياتها مع ربط كل مصدر بفعله، وهو ما جرى الاستعمال اللغوي عليه، بحيث لا يسهل استخراج المصدر إلا إذا عرفت صيغة الفعل وذلك في الجدول التالي[5]:

الوزن	خصُوصيات فعْله	أمثلة
فَعْلٌ	مصدر الثلاثي المتعدي غير دالٍّ على صناعة	أخَذَ ← أخْذًا فَتَحَ ← فَتْحًا
فِعَالَةٌ	الثلاثي المتعدي الدالّ على صناعة	نجر ← نِجَارة خاط ← خِيَاطة
فَعَلٌ	الثلاثي اللازم غير دالّ على لون أو معالجة أو معنًى ثابت	تعب ← تعبًا أَسِفَ ← أَسَفًا
فِعَال	الأفعال الدالّة على امتناع	أبى ← إِبَاءًا جمح ← جِمَاحًا
فَعَلَان	ما دلّ على حركة أو اضطراب وتقلّب	جال ← جَوَلَان غلى ← غَلَيَانًا
فُعَال	ما دلّ على داء أو صوت	سعل ← سُعَالاً دارَ رأسه ← دُوَارًا
فَعِيل	الأفعال الدالة على صوت أو نوع من السير وقد يشاركه وزن فُعَال	صَهَل ← صهيلاً رحل ← رحيلاً صرخ ← صريخًا أو صراخًا

[1] فخر الدين قباوة: تصريف الأسماء والأفعال 136 وينظر: الشريف الجرجاني: التعريفات 277.
[2] عباس حسن: النحو الوافي: 3/187-188.
[3] مصطفى الغلاييني: جامع الدروس العربية:1/161.
[4] مصطفى الغلاييني: جامع الدروس العربية:1/162.
[5] ينظر: سيبويه: الكتاب 5/4 وما بعدها و أبو علي الفارسي: التكملة: 212-213 وكذا أبو القاسم الزجاجي: الجمل في النحو 383 وما بعدها وابن مالك: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد 205.

الوزن	خصُوصيات فعْله	أمثلة
فُعْلَة	الأفعال الثلاثية اللازمة الدالّة على الألوان	خضِرَ ← خُضْرَةً سمر ← سُمْرَةً
فُعُول	الثلاثي اللازم الدال على معالجة وهي المحاولة الحسية وبذل الجهد الحسّي للوصول إلى غاية واتخاذ الوسيلة لذلك	قدِم ← قُدُومًا صَعِدَ ← صُعُودًا
فُعُولَةٌ	الثلاثي اللازم على وزن فَعُلَ إذا كانت الصفة منه على وزن فَعْلٌ	سَهُلَ ← سهْلٌ ← سُهُولَةً عَذُبَ ← عذْبٌ ← عُذُوبَةً
فَعَالَةٌ	الثلاثي اللازم على وزن فَعُلَ إذا كانت الصفة منه على وزن فعيل	ظَرُفَ ← ظريف ← ظرافة ملح ← مليح ← ملاحةٌ

ولمصادر ما فوق الثلاثي أقيسة تجيء عليها وخلاصتها فيما يلي[1]:

1. الرباعي غير مبدوء بتاء زائدة: مصدره يأتي على وزن ماضيه بكسر أوّله وزيادة ألف قبل آخره مثل: أكرم إكرامًا، زلزل زلزالاً.
2. الخماسي والسداسي ← وزن ماضيه بكسر أوله وثالثه وزيادة ألف.

انطلق انطلاقا، اطمأن اطمئنانًا.

3. ما فوق الثلاثي مبدوء بتاء زائدة← وزن ماضيه مع ضمّ رابعه.

تكلَّمَ← تكلُّمًا. تساقط ←تسَاقُطًا.

وقد جاءت مصادر كثيرة تخالف هذه القواعد، وهي مصادر سماعية يقتصر فيها على النقل عن العرب[2]، فمنها ما جاء على وزن فاعل مثل فُلج← فالجًا وعُوفي← عافيةً

ومنها ما جاء على وزن مفعول مثل قولهم: رجل ليس له معقول أي عقل[3].

2- المصدر في المستوى النحوي:

يبدو المصدر في المستوى النحوي كنوع وسط بين أقسام الكلام، وقع بين الفعل والاسم، فهو يأخذ الخصائص الفعلية فيتحكم في عناصر معينة في الجملة، ويقبل كثيرا من الخصائص الاسمية فيقع فاعلا أو مفعولا أو مضافا.

---

[1] ينظر:مصطفى الغلاييني جامع الدروس العربية: 1/165-166 ويرى عبد الصبور شاهين أنّ كل أوزان المصدر سماعية، حتى ما كان منها كثير الوقوع ينظر: المنهج الصوتي للبنية العربية 109. وهذا الرأي يرد عليه عباس حسن بالقول "إنّ الضوابط والقواعد التي وضعها النحاة وحصروا بها أنواع المصادر وأوزانها ونسّقوا صُنُوفها ونظمُوا استعمالها مستنبطة من أكثر الكلام العربي فصاحة وصحة وشيوعا، فتطبيقها مباح لكل عارف بها، محسن لاستخدامها، من غير أن يلزمه الرجوع إلى أصولها الأولى التي استنبطت منها، فإن هذا الرجوع عبث واضح، وجهد ضائع... والواجب أن نعتمد على القاعدة في الوصول إلى المصدر القياسي للفعل، ولا نبالي بعد ذلك ألهُ مصدر سماعي آخر أم لا؟" النحو الوافي:3/188-189.

والحق أن رأي المنكرين لوجود المصدر القياسي نظرة تعوق للانتفاع باللغة، وتسلمها إلى الجمود والتخلف، ورأي الأخذ بالقياس والتوسع فيه هو رأي الكوفيين وقال به ابن جني في باب من الخصائص موسوم بـ "باب في ما أنّ ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب" الخصائص: 1/357.

[2] ينظر:مصطفى الغلاييني جامع الدروس العربية: 1/165-166.

[3] جلال الدين السيوطي، المزهر: 2/246.

وخصائص المصدر الفعلية تتجلى في عمله عمل فعله وذلك في حالتين:

أولا هما: أن يحذف الفعل و يكون المصدر نائبا عنه في تأدية معناه[1]، وعن أمثلة هذه الحالة يقول سيبويه "وذلك قولك سقيا ورعيا ونحو قولك خيبة وبؤسا وبعدا أو سحقا.... وإنّما ينتصب هذا وما أشبهه إذا ذكر مذكور فدعوت له أو عليه، على إضمار الفعل، كأنك قلت سقاك الله، ورعاك الله رعيا، وإنما اختزل الفعل ها هنا لأنهم جعلوه بدلا من اللفظ بالفعل كما جُعل الحذرَ بدلا من احْذَر"[2].والملاحظ أنّ هذه المصادرَ أكثر ما تجيء نائبة عن فعلها في الأساليب الانشائية الطلبية مثل قولنا: سعيًا في سبيل الخير بمعنى اسعَ.

والحالة الثانية التي يعمل فيها المصدر عمل فعله هي أن يكون صالحا في الغالب للاستغناء عنه، ويحل مَحَلهُ فعل في معناه، مسبوق بـــ أن المصدرية أو "ما" المصدرية[3]، مثل قولنا: طاعة الانسان ربَّهُ سر سعادته، وإذ يجوز أن تقول: أن يطيع الانسان ربه سر سعادته.

والمصدر إن أريد به الماضي أو المستقبل قدر بـــ "أن" وإن أريد به الحال أو مطلق الزمان قدر بـــ "ما"[4].

ويعمل المصدر مضافا أو منونا أو مقرونا بالألف واللام[5]، فمن إعماله مضافا قوله تعالى: ﴿فلولا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾[6]، فالمصدر "دفع" مضاف لاسم الجلالة الذي هو فاعله معنًى، ونصب مفعولا به وهو لفظ "الناس"[7]. ومن أمثلة إعماله منونا قوله تعالى: ﴿أَوِ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾[8] فقد عمل المصدر "إطعام" عمل فعله فنصب مفعولا به هو لفظ اليتيم[9]. ومن أمثلة إعماله مقترنا بالألف واللام قول الشاعر:

ضَعِيفُ النِّكَايَةِ أَعْدَاءَهُ يَخَالُ الفِرَارَ يُرَاخِي الأَجَلْ.

فقد عمل المصدر المقترن بالألف واللام "النكاية" عمل فعله فنصب مفعولا به وهو لفظ أعداءه[10].

---

[1] عبّاس حسن: النحو الوافي: 211/3.

[2] سيبويه: الكتاب: 311/1-312، والمصدر الذي يعمل في هذه الحالة هو ما التزمَ حذف فعله مثل هذه المصادر التي ذكرها سيبويه، أمّا المصدَر المؤكّد لفعله فلا يعمل لعدم تقديره بـ"أن" ينظر: جلال الدين السيوطي: الأشباه والنظائر: 305/1.

[3] عباس حسن: النحو الوافي: 22/3.

[4] مصطفى الغلاييني: جامع الدروس العربية: 277/3.

[5] الزمخشري: المفصّل في صنعة الإعراب 223.

[6] البقرة 251.

[7] ينظر: أبو البقاء العكبري: التبيان في إعراب القرآن:200/1.

[8] البلد 14.

[9] ينظر: أبو عبد الله الحسن بن خالويه: إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم 109

[10] ينظر: سيبويه: الكتاب: 192/1.

ويضاف المصدر إلى فاعله حينا وإلى مفعوله حينا آخر، والوجهان فيه جائزان[1]، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ﴾[2] فقد أضيف المصدر إلى فاعله ونصب بعده المفعول. ومن إضافته إلى المفعول قوله تعالى: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ﴾[3] فخشية مصدر مضاف إلى المفعول[4].

والسياق هو الكفيل بإيضاح معنى المضاف إلى المصدر، أهو فاعل أم مفعول، وكذا فإن المضاف إلى المصدر إذا جاء بعده اسم منصوب فلا محالة أنه فاعل معنى، وإن جاء بعده اسم مرفوع فهو مفعول به.

وإضافة المصدر إلى فاعله هي الأكثر استعمالا والأحسن[5].

ويشارك المصدرَ في العمل اسمُه، واسم المصدر هو "ما دلَّ على معنى المصدر وخالفه بخُلوّه لفظًا وتقديرًا دون عوض عن بعض ما في فعله"[6]، ومن أمثلة اسم المصدر العامل، البيت المتداول بين النحاة في الاستشهاد لعمله وهو قول الشاعر القطامي:

أَكَفْرًا بَعْدَ رَدِّ المَوْتِ عَنِّي وَبَعْدَ عَطَائِكَ المِئَةَ الرتاعَا

فقد عمل اسم المصدر عطاء عمل الفعل مثل المصدر تمامًا، وقد جاء في البيت مضافًا إلى فاعله وهو الضمير المتصل به، ناصبًا مفعولا به وهو لفظ المئة[7].

وبالاضافة إلى ماذكرنا، فهناك شروط عدمية لعمل المصدر، وهي الأمور التي لابد من عدم وجودها ليعمل عمل فعله وهي[8]:

1) ألاَّ يكون مصغرًّا
2) ألاَّ يكون ضميرا، فلا يجوز أن يُقال: حُبّي الأوطانَ عظيمٌ، وهو بلاَدًا أجنبيّةً أقلُّ. على إِرَادَةِ نيابة الضَّمير "هو" عن مصدره في العمل.
3) ألاّ يكون مختومًا بالتاء الدالّة على الوِحْدَة
4) ألاّ يتأخر عن معموله الذي ليس شبه جملة، فلا يصِحُّ أعجبتني المريضَ مساعدتك.

---

[1] ينظر: جلال الدين السيوطي: الأشباه والنظائر في النحو: 236/2.
[2] البقرة 251.
[3] الأنبياء 73.
[4] ينظر: أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط: 298/3.
[5] ينظر: أبو بكر بن السرّاج: الأصول في النحو: 130/1.
[6] شرح ابن عقيل بتحقيق حنا الفاخوري:110/2.
[7] ينظر: خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب: 136/8 وفي البيت شاهد آخر وهو: أكفرًا فهو مصدر نائب عن فعله والتقدير أأكفرُ كفرًا وحذفُ عامله واجب ينظر: أحمد بن الأمين الشنقيطي. الدرر اللوامع على همع الهوامع: 407/1.
[8] ينظر عباس حسن : النحو الوافي:215/3-216-217.

5) ألاّ يكون مفصولا من معموله – المفعول وغير المفعول- بفاصل أجنبي ولا بتابع.

6) ألاّ يكون مثنًى أو جمعًا.

7) ألاّ يكون محذوفا والمعمول غير شبة جملة، فإن كان شبه جملة جاز إعمال المصدر المحذوف

وبين المصدر واسم الفاعل فروق نحوية أهمُّها[1]:

1) أن اسم الفاعل يتحَمَّل الضمير ولا يتحمَّله المصدر.

2) الألف واللام في اسم الفاعل تفيد التعريف والموصولية، وهي في المصدر تفيد التعريف فقط.

3) يجوز تقديم معمول اسم الفاعل عليه، ولا يجوز هذا في المصدر.

4) يعمل اسم الفاعل لشبهه بالفعل، والمصدر قائم بنفسه لا يعمل بشبه شيء لأنّه الأصل*.

5) لا يعمل اسم الفاعل إلاّ في الحال أو الاستقبال والمصدر يعمل في الأزمنة الثلاثة.

6) يجوز أن يضاف المصدر إلى الفاعل أو إلى المفعول، وهو غير جائز في اسم الفاعل.

3- المصدر في المستوى الدلالي:

يدل المصدر على الحدث، ودلالته إنما هي على معنى ذهني مجرد، وهذا ما جعله يأتي في الثرات النحوي العربي بأسماء أخرى غير المصدر تعكس دلالته منها:

1- الحدث: في مثل قول سيبويه "والأحداث نحو الضَّرْب والحَمْد والقَتْل"[2].

2- اسم الحدثان: في مثل قول سيبويه : "واعلم أن الفعل الذي لا يتعدى الفاعل يتعدى إلى اسم الحدثان الذي أخذ منه لأنه إنّما يذكر ليدل على الحدث، ألا ترى أن قولك قد ذهب بمنزلة قولك قد كان منه ذهاب"[3].

3-اسم الفعل وجاءت هذه التسمية في حديث المبرد عن المصادر يقول مثلا : "الضرب اسم للفعل"[4] ويقول في موضع آخر "المصدر اسم الفعل"[5].

---

[1] ينظر جلال الدين السيوطي: الأشباه والنظائر:236/2.

* وذاكر هذه الفرق يرى رأيَ البصريين بأنّ المصدر أصل الاشتقاق.

[2] سيبويه: الكتاب: 12/1.

[3] نفسه: 34/1.

[4] المبرد: المقتضب: 214/3.

[5] نفسه: 68/3و 226/3.

ويؤدي المصدر وظيفة التوكيد في حالة المفعول المطلق ويأتي دالاًّعلى السببية في حالة المفعول لأجله، ويكون بمعنى ظرف المكان أو الزمان إذ جاء مع يدل على معناهما أو تقترب دلالته منهما في السياق اللغوي، مثل قول العرب في التعبير عن أوقات معيَّنة، طلوعَ الشمس وقدومَ الحاج وخفوقَ النجم.[1]

ويأتي المصدر دالاًّ على معنى الصفة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾[2] فالمصدر كذب صفة للدم بمعنى مكذوب فيه[3]، ومنه في قوله تعالى: ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا﴾[4] أي غائرا[5]، ويقال مثلا رجل زور، وفطر وصوم وعدل ورضا بمعنى زائر ومفطر وصائم وعادل وراض[6]. والوصف بالمصدر أبلغ وأقوى من الوصف بالمشتقات، لأنه يجعل الموصوف كأنه جنس الصفة كله ومنه جاء قول الخنساء":

تَرْتَعُ مَا رَتَعَتْ حَتَّى إِذَا ادَّكَرَتْ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ[7].

فقد وصف بالمصدرين إقبال وإدبار، وهما بمعنى مقبلة ومدبرة[8].

وقد يأتي المصدر دالا على معنى الفعل الماضي، في مثل قول لبيد بن ربيعة

عَهْدِي بِهَا الحَيَّ الجَمِيعَ وَفِيهِمْ قَبْلَ التَّفَرُّقِ مَيْسِرٌ وَنِدَامٌ.[9]

فالمصدر "عهد" على وزن "فَعْلٌ" دل على معنى فعل ماضي هو عهدت[10]. ويجيء المصدر دالا على الطلب أو الأمر، مثل قوله تعالى : ﴿وبالوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[11] فالمصدر إحسانا نائب عن فعل الأمر أحسنوا، مؤدٍ لمعناه[12]. وجاءت مصادر مثل حمدًا وشكرًا وعجبًا في أساليب خبرية وهي بمعنى المضارع. وللكثير من أوزان المصادر دلالات خاصة غالبا؛ مثل دلالة وزن فُعَال على داء مثل سُعَال، ودلالة وزن فِعال على امتناع ووزن افعيعال على المبالغة، ووزن فَعَلَان على الحركة والاضطراب، ويأتي وزن فُعَالة في معنى الفضلة أو البقية مثل نُفاية وحُثالة وحُشاشة وهي بقية الحياة في المحتضر، وقد يأتي وزن فُعالة للدلالة

---

[1] ينظر:مصطفى الغلاييني: جامع الروس العربية: 55/3.
[2] يوسف 18.
[3] ينظر جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن:38/2، وقد علل السيوطي ذلك بأن الكذب يكون من صفات الأقوال لا الأجسام.
[4] الملك 30
[5] ينظر: البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل 706.
[6] ينظر: أبو العباس ثعلب: الفصيح 106
[7] ديوان الخنساء 48 والكتاب: 337/1.
[8] ينظر: سيبويه: الكتاب: 337/1.
[9] ديوان لبيد بن أبي ربيعة 288.
[10] ينظر: صفية مطهري: الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، دراسة بموقع اتحاد الكتاب العرب
[11] الإسراء 23.
[12] ينظر: أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط: 25/6.

على ما يسقط من الشيء بعد معالجة مثل، نُشارة وقُراضة وقُلامة[1]، وهي ترجع إلى المعنى الأول وهو البقية.

ويدل وزن فَعَلَى على السرعة مثل الجَمَزَى وهي مشية الإسراع، وتدل المصادر الرباعية المضعفة على التكرير مثل الزعزعة والقلقة والجرجرة[2].

ولهذا فإن اختلاف أوزان مصادر مادة ثلاثية واحدة يعكس لنا اختلافا دلاليا بينها، ويفرق بين معاني أفعالها مثل ورود المصدرين دَوَرَان الدال على حركة واضطراب ودُوار الدال على مرض أو داء، وهما من مادة "دور".

ومن هذه الفروق التي يهدي إليها المصدر، أفْعَال مادة "وج د" إذ يقال "وجدتُ في الغضب مَوْجِدةً، ووجدت في الحُزنِ وَجْدًا ووجدت الشيء وُجْدَانًا ووجودًا وافتقر فلان بعد وُجْدٍ"[3]، وكذا من مادة "ح ص د" يأتي مصدران؛ حَصْدٌ دال على الحدث وحِصاد دال على انتهاء الغاية[4]. ومن مادة "ق و ل" جاء مصدران هما قيل وقول، فقولنا إنَّ الله واحدٌ قيل، والقولُ مصدر كالطَّحْنِ والذَّبْحِ، والقيلُ اسمٌ للمَقُولِ كالطِّحْنِ ومنه في القرآن قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً﴾[5]، أي من أصدق من الله حَديثًا مَقُولاً[6].

وتجيء المصادر المثناة مثل سَعْدَيْكَ وحَنَانَيْكَ ولبَّيْكَ، دَالَّة على معنى المبالغة في الاستجابة لأمر، كما تُوَظَّفُ في أساليبَ خاصّةٍ تعظيمًا للمخاطب بها وإجلالاً له[7].

والحدث أو المصدر إذا قُيِّدَ وقُوعُه بمرَّة واحدة فهو مصدر المرّة، وهو يُصَاغُ من مصدر الفعل على وزن فَعْلَة، ويوظّف هذا النوع من المصادر للدلالة على حدوث الفعل مرّة واحدة، ولدفع توهم المخاطَب حدوثه أكثر من ذلك؛ ومن أمثلته المصدر مَيْلَةً في قوله تعالى: ﴿فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾[8].

ومن أنواع المصادر ذات الدلالة الصرفية الخاصّة، مصدرُ النوعِ، وهو يُصاغ على وزن فِعْلَة للدلالة على نوع من أنواع الحدث مخصوصٍ وعنه يقول سيبويه "هذا باب ما يجيء فيه الفِعْلَةُ تريد بها ضربًا من الفعل وذلك قولَكَ:

---

[1] ينظر: رفاييل نخلة اليسوعي: غرائب اللغة العربية: 72-73.
[2] ينظر: ابن جني: الخصائص: 161/2.
[3] ابن قتيبة: أدب الكاتب 333 وينظر: ابن سيده: المخصص مجلد 4 سفر 14ص 224.
[4] ينظر: سيبويه: الكتاب: 12/4 وابن قتيبة: أدب الكاتب 584.
[5] النساء 122
[6] السهيلي:الروض الأنف،297/7.
[7] ينظر: ابن سيده المخصص مجلد 4 سفر 13 ص 231-232
[8] النساء 102

"حَسَنُ الطعْمَةِ"[1]، ويقول عنه ابن قتيبة : "وإن أردت الضربَ من الفعل كَسَرْتَ تقول هو حَسَنُ القِعْدَةِ والجِلْسَةِ"[2]، ويخلص المصدر على وزن فِعْلَة للدلالة على النوع بقرينة لفظية مثل الصفة، سابقةً له أو لاحقةً، وقد تكون القرينة حالية.[3]

أمّا دلالة المصدر الزمنية فهي مَحَلّ خلاف بين النحاة، إذ يرى سيبويه أن المصدر يأتي دالاً على الحال في مثل قولهم : "أقِيامًا يا فلان والناس جُلُوسَ، لا يريدُ أن يُخبِرَ أنّه يَجْلِسُ ولا أنّه قد جَلَسَ وانقضى جلوسه، ولكنه يخبرُ أنّه في تلكَ الحال في جلوس و في قيام"[4]. ويتوسع ابن السراج في نظرته إلى هذه الدلالة فيرى أن المصدر يدل على الأزمنة الثلاثة مثل الفعل، يقول معللا لعمل المصدر : "اعلم أن المصدر يعمل عمل الفعل لأنّه مشتق منه و بني مثله للأزمنة الثلاثة الماضي و الحاضر و المستقبل"[5]، و يرى ابن جني بعدهم أن زمان المصدر يبقى غير محدودٍ يقول معرفا المصدر: "اعلم أن المصدر كل اسم دل على حدث و زمان مجهول"[6]، وبعض تعاريف المصدر تبعد عنه أيّ دلالة زمنية، فهو حدث مجرد فحسب، و كأن ابن يعيش كان يرد على مثل هذه التعاريف حين قال:" إنّ المصدر يدل على زمان؛ إذ الحدث لا يكون إلاّ في زمان"[7].

و لنا أن نقول موفقين بين هذه الأقوال، أن المصدر لا يحمل دلالة صرفية على الزمن ببنيته، و هو بعد هذا صالح للدلالة على أيّ قسم من أقسام الزمن في ضوء القرائن اللفظية أو الحالية، و خلاف النحاة المذكورة حول دلالة المصدر و حول الأسماء العاملة عمل الفعل بصفة عامة، خلاف ناتج عن عدم تصور الحدود بين المستوى الصرفي والنحوي؛ فدلالة هذه الأسماء على الزمن دلالة نحوية تُكتسب من السياق، و تبقى خالية من دلالة الزمن خارجه[8]. و قد نجد المصدر غير دالٍ على زمن محدد، بل تكون دلالته عامة ومثله في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾[9]، فقد جاء المصدر "دفع" حاملا دلالة عامّة غير متعلقة بزمن، فدفع الله الناس شأن من شؤون رب العزة على مر العصور.

---

[1] سيبويه:الكتاب: 44/4
[2] ابن قتيبة:أدب الكاتب 564.
[3] ينظر رضيّ الدين الاسترأبادي: شرح الشافية 160/1.
[4] سيبويه: الكتاب: 338/1.
[5] أبو بكر بن السرّاج: الأصول في النحو:137/1.
[6] ابن جني: اللمع 131.
[7] ابن يعيش: شرح المفصل:2/07.
[8] ينظر: تمام حسان: اللغة العربية معنا ها و مبناها 102.
[9] البقرة 251.

سادسا: اسم التفضيل:

بالإضافة إلى الدلالة على الوصف بالحدث ثبوتا أو حدوثا في الصفة المشبهة و اسم الفاعل و اسم المفعول، فقد تقتضى بعض الموصوفات المقارنة أو المفاضلة لتميزها أو زيادها على غيرها في الاتصاف بالحدث، و قد خُصَّ معنى التفاضل هذا بأحد المشتقات في اللغة العربية، و هو اسم التفضيل أو أفعل التفضيل.

1- اسم التفضيل مورفولوجيا:

الفضْلُ لغة ضد النقص ورجلٌ فضّال كثير الفضل، والفضيلة الدرجة الرفيعة في الفضل، وفضّــلَهُ تفضيلا مزَّه وتفضل تمزّى، وأفضل عليه في الحسب وعنه زاد[1]، فالتفضيل مصدر فَضَّل يُفَضِّلُ.

أما اسم التفضيل في اصطلاح الصرفين فهو "اسم مشتق على وزن أفعل يدّل في الأغلب على أن شيئين اشتركا في صفة أو معنًى وزاد أحدهما على الآخرفي تلك الصفة أو ذاك المعنى"[2]، ومثاله في قوله تعالى: ﴿النبي أَوْلَى بالمؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِم﴾[3] فالولاية مشتركة بين النبي ﷺ والمؤمنين، ولكنها، عند النبي أقوى منها عند المؤمنين لأنفسهم.

وقد تحدث سيبويه عن التفضيل في سياق حديثه عن صيغتي التعجب، وذلك في "باب ما لا يجوز فيه ماأفعله"[4] وقد أشار إلى المشابهة بين اسم التفضيل والتعجب يقول : "ما لم يكن فيه ما أفعله لم يكن فيه أفْعِل به رجلاً، ولا هو أفعل منه، والمعنى في أفعل به وما أفْعَله واحد، وكذلك أفعل منه"[5]؛ فالسبب في الجمع بين التعجب والتفضيل هو التشابه الدلالي الكبير بينهما، و لهذا فشروط صياغة "أفعل" التفضيل هي نفسها تلك المشروطة للتعجب وهي[6]:

أ) أن يكون الفعل المصوغ منه ثلاثيا متصرفا مبنيا للمعلوم تاما مثبتا.

ب) ألا تكون الصفة المشبهة منه على وزن أفعل الذي مؤنته فعلاء مثل أحمر حمراء، وأكثر ما تكون هذه الأفعال دالة على الألوان و العيوب والحلى والأشياء الفطرية، ومما شذَّ قولهم: أسود من القار و أبيض من اللبن[7].

ج) وأن يكون الفعل المشتق منه قابلا لمعنى المفاضلة فلا يأتي التفضيل من الفعل فَنِيَ أو مات مثلاً. و يأتي التفضيل بصيغة "أَفْعَل"، وهي صيغة يشاركه فيها بناء"أَفَعَلَ"

---

[1] مجد الدين الفيروز أبادي: القاموس المحيط: 30/4

[2] عباس حسن: النحو الوافي: 395/3 وينظر: خديجة عبد الرزّاق الحديثي: أبنية الصرف في كتاب سيبويه: 284.

[3] الأحزاب 6.

[4] سيبويه:الكتاب : 97/4.

[5] نفسه : 97/4.

[6] ينظر: ابن جني: اللمع:199.

[7] ينظر: أبو حيان: البحر المحيط: 104/6 و عبد القادر البغدادي: خزانة الأدب: 230/8 و 238.

من أبنية الأفعال، فكلاهما مزيد بهمزة في أوله، وتبدو هذه الهمزة في هذا الموقع من اسم التفضيل أشبه باللاصقة التي هي العنصر الوحيد من عناصر ما دون الصيغة الذي ينفرد بالدلالة على معنى وظيفي عام.[1]

والحق أننا لا يمكن أن ننسب معنى التفضيل إلى هذه الهمزة منفردة، لأن اللغة العربية لا تعتمد نظام السوابق و اللواحق لإحداث معانٍ إضافية لأصول مادة لغوية ما، بل إن صيغة أفعل كلها قالبٌ صرفي يضفي على المادة اللغوية الداخلة فيه معنى اشتراك اثنين في صفة واحدة، مع زيادة أو تفوق الموصوف بها عن سواه.[2]

وأفعل "التفضيل المقترن ب"أل" يلتزم فيه المطابقة مع موصوفه، فيأتي مؤنثه على وزن فُعْلَى مثل الأصغر ← الصغرى، و يُجْمَعُ جمع مذكر سالم، أو جمع التكسير على وزن الأفاعل مثل الحسن ← الأحاسن، و يجمع مؤنثه على وزن فُعَل مثل صغرى ← صُغَر[3].

2- اسم التفضيل في المستوى النحوي:

يأتي اسم التفضيل في السياق اللغوي تحت ثلاث نماذج أساسية، تقتضي كل منها أحكاما نحوية[4] نلخصها فيما يلي:

أ) مجرد من أل والإضافة ← يكون مفردًا مذكرًا وتأتي بعده من جَارّةً للمفضّل عليه مثل قوله تعالى على لسان إخوة يوسف: ﴿لَيُوسُفُ وأخوه أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا﴾[5] فقد جاء اسم التفضيل "أحبّ" مفردًا مع أنه وصفُ لاثنين، وأتت بعده من جارّة للمفضل عليه وهو هنا الضمير العائد على إخوته المتكلمين.

ب) معرّفًا بالألف واللام ← المطابقة لموصوفه وأن لا يؤتى معه بـــ "من" ومِثَالُهُ في قوله تعالى: ﴿وجَعَلَ كَلِمَةَ الذين كَفَرُوا السُّفْلَى وكَلِمَةَ اللهِ العُلْيَا﴾[6] وفي قوله تعالى: ﴿ولَنُذِيقَنَّهُمْ من العَذَابِ الأَدْنَى دُونَ العَذَابِ الأَكْبَرِ﴾[7] فقد جاء اسْمَا التفضيل السفلى والعُلْيَا وصفَين لاسم مؤنث هو "كلمة" مطابقين له، وجاء اسما التفضيل الأدنى والأكبر وصفين لاسم مذكر هو العذاب مطابقين له.

---

[1] ينظر: تمام حسان: اللغة العربية معناها و مبناها 161.
[2] ينظر: د. صفية مطهري: الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، دراسة بموقع اتحاد الكتاب العرب.
[3] ينظر: المبرّد: المقتضب: 217/2 و عباس حسن: النحو الوافي: 413/3.
[4] تنظر: الزمخشري: المفصّل في صنعة الإعراب 233.
[5] يوسف 8.
[6] التوبة 40.
[7] الأنعام 123.

جـــ) أن يكون مضَافًا
- لنكرة: يُلْتَزَمُ فيه الإفراد ولتذكير، والمطابقة في المضاف إليه مثل: خالد أفضل قائدٍ، وفاطمة أفضل امرأةٍ.
- لمعرفة: تجوز المُطَابَقَةُ وعدمها، فمن أمثلة المطابقة قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا﴾[1] ومن أمثلة عدم المطابقة قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُم أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾[2].

أمّـــا عمل اسم التفضيل عمل الفعل؛ فالمتتبع لأقوال النحاة يجد أنه يقتصر على رفع الضمير المستتر، ولا يرفع ظاهرًا إلا في نموذج الجملة التي ترددت بين النحاة باسم مسألة الكحل، يقول ابن هشام في حديثه عن خصائص كلام العرب تحت عنوان: اشتراطهم الإضمار في بعض المعمولات والإظهار في بعض: "ومن ذلك مرفوع اسم التفضيل في غير مسألة الكحل فهذا شرطه مع الإضمار الاستتار"[3].

وهذه الجملة المتداولة في التمثيل لعمل أفعل التفضيل هي قولهم: "ما رأيت أحدًا أحسن في عينه الكحل منه في عين زيدٍ"[4]، والمستخلص من هذا النموذج ومن الأمثلة المشابهة له، أن أفعل التفضيل لا يرفع ظاهرا إلا بشروط ثلاث هي[5]:

أ- أن يسبقه نفي أو نهي.

ب- أن يكون مرفوعه أجنبيا مفضلا على نفسه باعتبارين أي يكون مفضلا في مكان ومفضولا في مكان آخر.

ج- أن يقع الظاهر بين ضميرين ثانيها له والآخر للموصوف.

وهو وبهذه الشروط الثلاث يكون واقعا موقع الفعل الذي صيغ منه، مفيدًا فائدته لذا يعمل عمله. وشرح هذه الشروط في مثال الكحل أن اسم التفضيل قد سبق بنفي بحرف النفي ما، ومرفوعه أجنبي وهو لفظ الكحل مفضل في عين زيد مفضول في عيون غيره، ولفظ الكحل واقع بين ضميرين الثاني وهو الهاء في "منه" تعود عليه، والهاء في عينه تعود على الموصوف وهو زيد[6].

---

[1] السجدة 21.
[2] البقرة 96.
[3] ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: 287/2.
[4] تنظر: سيبويه: الكتاب: 31/2 وكذا جلال الدين السيوطي: الأشباه والنظائر في النحو: 243/3.
[5] ينظر: عباس حسن: النحو الوافي: 428/3.
[6] ينظر: توفيق محمد الجوهري سبع: أفعل التفضيل في القرآن الكريم 288 مقال بمجلة كلية اللغة العربية – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عدد12 سنة 1406هـ- 1986م.

ويشرح ابن يعيش علة قصور "أفعل" التفضيل عن العمل بقوله: "إنه صار كالأسماء الجوامد التي لم تؤخذ من أفعال كقولك مررت برجل قُطنٍ جُبَّتُهُ، ألا ترى أن القطن لا يثنى ولا يجمع ولهذا بَعُدَ عن اسم الفاعل وصار كالجوامد"[1].

فاسم التفضيل أبعد المشتقات شبها باسم الفاعل الذي هو أصلها في العمل، وشبهه بالجوامد أكبر، لذا يقتصر عمله على رفع الضمير لما فيه من رائحة الدلالة على الحدث غالبا.

ويعمل اسم التفضيل في التمييز والحال فهو ليس أقلّ من الجوامد المبهمة التي تعمل فيهما[2]، ومنه في القرآن في قوله تعالى: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَ أَعَزُّ نَفَرًا﴾[3]، ويتعلق به الجار والمجرور[4] ومثله في القرآن قوله تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ﴾[5] فـ "بِكُمْ" متعلق بـ أعلم.

وبالاضافة إلى هذا فإن اسم التفضيل يَتعدّى بحروف الجَرّ؛ فإذا كان مصوغًا من فعل متعدٍّ بنفسه دال على حبّ أو بُغضٍ عُدّيَ باللام إلى المفعول به في المعنى، و"بإلى" إلى ماهو فاعل في المعنى[6]، فمثال الأول قولنا: المؤمن أحبُّ لله من نفسه أي يُحبُّ الله أكثره من نفسه، ومن الثاني قوله تعالى: ﴿السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾[7] وهي على لسان يوسف، وقد تعدى أفعل التفضيل أَحَبَّ بحرف الجَرّ على.

وإذا كان اسم التفضيل مصوغا من فعل متعدي بنفسه دال على علم عدي بالباء[8] مثل قوله تعال: ﴿رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾[9]، ويتعدّى بما يتعدى به فِعْلُهُ المشتق منه في باقي الحالات[10] ومثاله في قوله تعالى: ﴿وَلاَ أَدْنَى مِنْ ذلِكَ﴾[11] فقد تعدى أفعل التفضيل أدنى بما يتعدى به فعله دنا إذ يقال دَنا من الشيء.

---

[1] ابن يعيش: شرح المفصل: 94/6.
[2] عباس حسن النحو الوافي: 432/3.
[3] الكهف 34.
[4] عباس حسن:النحو الوافي: 432/3.
[5] النجم 32.
[6] عباس حسن:النحو الوافي432/3.
[7] يوسف 33.
[8] عباس حسن:النحو الوافي:433/3.
[9] الكهف 21.
[10] عباس حسن:النحو الوافي:433/3.
[11] المجادلة 07.

3- اسم التفضيل في المستوى الدلالي:

إنّ الدلالة الأصلية "لأفعل" التفضيل هي المفاضلة بين كمية الوصف لموصوفين مختلفين بحيث يكون أحدهما زائدًا عن الآخر في وصف من الأوصاف، وهنا ينبغي أن نشير إلى تلك القرابة التي تجمع أفعل التفضيل بأفعل التعجب*، وأولى الروابط بينهما هو اتحادهما صيغة وثانيهما دلالة كل منهما على الزيادة في الوصف، فقولنا ماأعلم فلانا وفلان أعلم من فلان، كلاهما يدل على كثرة العلم، مع اختلاف بينهما في كون التعجب أسلوبا إنشائيا انفعاليا إزّاء موصوف واحد، وكون التفضيل أسلوبا خبريا مقارنا لموصوفين غالبا.

وتختلف دلالة اسم التفضيل بحسب التركيب الذي يجيء فيه، فهو إن كان مجرّدا من الألف واللام تتلوه من جارة للمفضل عليه، دلّ على المقارنة بين موصوفين، وإن كان مضافا يكون فيه معنى التفضيل المطلق على كل جنس المضاف إليه، وإن كان مقترنا بالألف واللام دلّ على مطلق التفضيل دون ذكر مفضّل عليه.

وفي الحالتين الأخيرتين قد يكون اسم التفضيل خارجا عن معناه الأصلي إذا لم يذكر معه مفضول لا لفظا ولاتقديرا، ويكون بمعنى اسم الفاعل أو الصفة المشبهة ومثله في قوله تعالى: ﴿وخَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾[1] فالمعنى عملاً مغايرًا سيّئًا، وفي قوله تعالى: ﴿فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ﴾[2] إذ المعنى فئة مغايرة، فليس في آخر وأخرى معنى التفضيل. ومما جاء فيه أفعل التفضيل دالاًّ على الوصف، قوله تعالى: ﴿ولاَ تَقْرَبُوا مَالَ اليَتِيمِ إلاَّ بِالَتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[3]، فأحسن اسم تفضيل مسلوب المفاضلة، وهو بمعنى الحسنة فهو صفة[4]. ومن هذا الباب جاء قول إبراهيم بن هرمة:

وإنّي وتركي نَدَى الأكرمين وقدْحِي بِكفّي زَنْدًا شَحَّاحًا[5].

فاسم التفضيل المجموع جمع مذكر سالم "الأكرمين" لم يأت للدلالة على التفضيل، وإنما دلّ على أنّ صفة الكرم هي سجية هؤلاء القوم وطبيعتهم الثابتة والراسخة فيهم، ولا تقابلها أيُّ مفاضلة بينهم وبين غيرهم[6].

---

* وهذه القرابة هي التي دفعت تمام حسان إلى القول بأن ليس التعجب إلا أفعل تفضيل تتوسي فيه هذا المعنى وأدخل في تركيب جديد لإفادة معنى جديد يَمُتُّ إلى المعنى الأول بصلة، والمنصوب بعده هو المفضل أصلا بمعنى جديد مع ملاحظة اتحادهما في شروط الصياغة والقابلية للتصغير ينظر: تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها 114.

[1] التوبة 61.

[2] آل عمران 13.

[3] الأنعام 152.

[4] ينظرمحمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير: 163/8.

[5] ينظر البيت:أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة: 179/3.

[6] تنظر: صفية مطهري: الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية دراسة بموقع اتحاد الكتاب العرب.

وتقتضي المفاضلة بأفعل المشاركة في المعنى بين المفَّضل والمفَّضل عليه ولو تقديرا، مثل قولهم في البغيضين هذا أحب إلى الله من هذا وفي الصعبين هذا أهون من هذا[1].

وهناك مجموعة من أسماء التفضيل جاءت من صفات الله تعالى في القرآن الكريم وقد طرحت إشكالا دلاليا على المفسرين والنحاة أيضا، لأنَّه لا مُشارِكَ مع الله تعالى في صفاتِه من علم وحكمة ولا تتفاوت المقدورات بالنسبة إلى قدرته ومن ذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُم﴾[2] وقوله أيضا ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[3]، ومن خلال تأملنا لهذا الاشكال وجدنا العلماء يختلفون في هذا النوع من "أفعل" الذي يجيء ظاهره بمعنى الصفات التي لا تفضيل فيها، هل هو مجرّد تماما عن معنى التفضيل فيكون صفة ؟ أو أنَّ فيه رائحة تفضيل لا تخرجه عن معناه الأصلي، ويتردد أبو حيان الأندلسي مثلا في هذا الإشكال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً﴾[4] إذ يقول: "وأحسن هنا لا يُراد بها حقيقة التفضيل إذ صبغة غير الله منتفٍ عنها الحُسْنُ، أو يرادُ بها التفضيل باعتبار من يظنُّ أن في صبغة غير الله حُسنًا"[5] ثم يختم بالقول: "فالتفضيل هنا إنما يجري بين الصبغتين لا بين الصابغين،لأن الأصل ومن صبغته أحسن صبغة من الله؟ لأنّ التمييز محوّل عن المبتدأ"[6]، ويبدو أن الاحتمال الثاني هو الأقرب إلى الصواب إذ لو كان "أفعل" عاريا تماما عن معنى التفضيل لقيل في المثالين الأولين مثلا: وهو هيّنٌ عليه وربّكم عالم بكم.

ويدل اسم التفضيل في أغلب صوره على الاستمرار والدوام مثل الصفة المشبهة، مالم ترد قرينة تصرفه عن هذه الدلالة[7]، أما دلالته الزمنية فهي كباقي المشتقات، دلالة يأخدها من القرائن وعلاقات السياق، فمثلا حينما تدخل عليه كان في مثل: كان زيد أحْسَنَ الناسِ، فإنَّهُ يدُلّ على الماضي المنقطع.

سابعا: أسماء الأفعال:

هذه هي آخر مجموعة لغوية ندرجها في الأسماء العاملة عمل الفعل، وليست هذه الأسماء من المشتقات العشر المعروفة، بل هي أسماء جامدة ذات دلالات خاصة، وهي تشبه الفعل في الدلالة على الحدث والزمن وتعمل عمله من رفع ونصب.

---

[1] ينظر جلال الدين السيوطي: همع الهوامع: 104/2.
[2] النجم 32.
[3] الروم 27.
[4] البقرة 138.
[5] أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط: 412/1.
[6] نفسه: 412/1.
[7] ينظر عباس حسن: النحو الوافي: 395/3.

1- موقع أسماء الأفعال من أقسام الكلام العربي:

لقد اختلف النحاة في تحديد موقع أسماء الأفعال من الكلام، فمنهم من يعدها أفعالا ومنهم من يعدها أسماء، ومنهم من صنّفها قسما مستقلا بذاته؛ أما الكوفيون فيعتبرونها أفعالا صحيحة متصرفة وذلك لدلالتها على الحدث والزمان[1]، وعلى الرغم من قبولها لبعض علامات الأسماء فإنهم اعتمدوا في هذا الاعتبار على دلالتها الزمنية المتنوعة، واستعمالاتها المختلفة، فقد ترفع فاعلا كما قد تنصب مفعولا، وهذا حسب الفعل الموافقة له في المعنى.

أمّـــا البصريون فقد أنزلوها منزلة بين المنزليين، فهي أسماء دون أن تخلص في دلالتها على المعنى والذات، على الرغم من قبولها لبعض علامات الأسماء كالتنوين، وهي أفعال لكونها تنوب عن الأفعال فتؤدي معانيها التي وضعت لها مقرونة بالدلالة الزمنية من ماضٍ ومضارع ومستقبل، ولهذا سموها "أسماء الأفعال"[2]، وعلّل الرضى سبب هذا الاضطراب في التصنيف بالقول: "والذي حملهم على أن قالوا إنّ هذه الكلمات وأمثالها ليست بأفعال مع تأديتها معاني الأفعال أمر لفظيّ، وهو أنّ صيغها مخالفة لصيغ الأفعال وأنها لا تتصرّف تصرّفها ويدخلها اللام على بعضها والتنوين في بعض وظاهر كون بعضها ظرفا وبعضها جارا ومجرورا"[3]، أما الفريق الثالث فهو من اعتبرها قسما قائما برأسه بالإضافة إلى أقسام الكلام الثلاثة، ومن هؤلاء أبو جعفر أحمد بن صابر[4]، وهو ماذكره السيوطي أثناء حديثه عن مذاهب النحاة في أسماء الأفعال إذ يقول: "وزعمها الكوفية أفعالا لدلالتها على الحدث والزمان وزعمها ابن صابر قسما رابعا زائدا على أقسام الكلام سماه الخالفة"[5]، وقد نُسب مصطلح الخالفة إلى الفرّاء من أئمة الكوفيين.

ويرى بعض الدارسين المحدثين، وعلى رأسهم تمام حسان، إدراج أسماء الأفعال تحت قسم جديد من أقسام الكلام وهو "الخوالف" وهي عندهم كلمات يستعملها المتكلم للإفصاح عن مواقف انفعالية ذات تأثير عليه فهي من الأساليب الإنشائية وهي تشبه ما يسمى في اللغة الفرنسية L'exlamation، ويدرج تحت هذا القسم التعجب وفعلا المدح والذم، بالاضافة إلى أسماء الأفعال التي تدل باسم جديد هو خالفه الإخالة[6]. وهو تقسيم يراعي معنى أسماء الأفعال، إذ هي ليست موضوعة للدلالة على معنى فعلها كما يُفهم من

---

[1] ينظر جلال الدين السيوطي: همع الهوامع: 105/2.
[2] ينظر سيبويه: الكتاب 242/1 وكذا المبرّد: المقتضب: 202/3.
[3] رضي الدين الاسترأبادي شرح الكافية: 66/2.
[4] ينظر: جلال الدين السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة:311/1 وقد ذكر المقري التلمساني ابن صابر في أهل الأندلس، وأنه انتقل منها إلى مصر ولم يصفه بالنحوي أو اللغوي: ينظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: 655/2.
[5] جلال الدين السيوطي: همع الهوامع:105/2.
[6] ينظر: تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها 113-114.

تسميتها القديمة. والحق أن النحويين بتلك التسمية كانوا متعلقين بأحكام الألفاظ، فدققُوا النظر وبينوا حقيقتها وفسّروها بالفعل وسموها اسمًا، وإن اختلفت عنه في تفاصيل الدلالة.

ولقد حافظت أسماء الأفعال على حياتها في الاستعمال اللغوي لأسباب منها الاختصار والمبالغة[1]، وعن هذين السببين يحدثنا السيوطي في باب عقده لأنواع من الاختصار في اللغة يقول فيه عن أسماء الأفعال: "أمّـا الاختصار فإنها بلفظ واحد مع المذكر والمؤنث والمثنى والمجموع نحو، صَهْ يازَيْد وصَهْ ياهند... ولو جئت بمسمى اللفظ لقلت أسْكُتُ واسْكُتِي... أمّـا المبالغة فتُعلم من لفظها، فإن هيهات أبلغ في الدلالة على البعد من بَعُدَ وكذلك باقيها، ولولا إرادة الاختصار والمبالغة لكانت الأفعال التي هي مسماها تُغنى عن وضعها"[2] ولا يقتصر الاختصار في هذه الأسماء على لزومها حالة واحدة وعدم خضوعها للتصريف، بل يظهر في اكتفاء المتكلم بها وحدها في كثير من الأحيان للتعبير عن انفعال معيّن، قد يتطلّب جملة كاملة.

2- أسماء الأفعال في المستوى النحوي:

لقد قسم النحاة أسماء الأفعال باعتبار دلالتها إلى ثلاث أنواع[3]:

1) اسم فعل أمر، مثل آمين بمعنى استجب وحيّ بمعنى أقبل وعجّل.
2) اسم فعل مضارع مثل أف بمعنى أَتَضَجَّرُ، وَوَيْ بمعنى أعجبُ.
3) اسم فعل ماضٍ مثل: شتّان بمعنى افترق وسرعان بمعنى أسْرَعَ.

ولمّا كانت هذه الأسماء بمعنى أفعال معيّنة، فإنها كذلك تَبَعٌ لها في العمل، فما كان منها بمعنى فعل لازم كان لازما وما كان بمعنى فعل متعدٍّ تعدّى مثله.

وترفع هذه الأسماء فاعلا لها في جميع الحالات و نلخص أحكامها النحويّة في المخطّط التالي[4]:

---

[1] ينظر: محمود توفيق محمد سعد: صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم:38.
[2] جلال الدين السيوطي: الأشباه والنظائر في النحو:54/1.
[3] تنظر : الزمخشري: المفصل في صنعة الإعراب 151.
[4] تنظر عباس حسن: النحو الوافي: 144/4.

اسم فعل أمر ⟸ فاعله ضمير مستتر وجوبًا مثل قوله تعالى:﴿هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ﴾[1]، فَهَلُمَّ بمعنى أحضروا، وفي هلّم ضمير مستتر وجوبًا وهو فاعل وشهداء ومفعول به.

اسم فعل مضارع ⟸ فاعله ضمير مستتر وجوبًا.

اسم فعل ماضٍ ⟸ يكون فاعله ظاهرا وقد يستتر جوازا دالاعلى الغائب غالبا مثل قولنا شتان الأثَرَهُ والإيثَارُ، فالأثرة فاعل اسم الفاعل شتان. ومما جاء فيه الضمر مستترا قوله تعالى: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾[2] ففي هيهات ضمير مستتر فاعل.

3- أسماء الأفعال في المستوى الدلالي:

لقد أشَرنَا سابقًا إلى سببين لبقاء استعمال أسماء الأفعال؛ هما المبالغة والاختصار، ومعنى المبالغة هو الإبلاغ في الدلالة على معنى الفعل الذي ينوب اسمه منابه، والإبلاغ في أسماء الأفعال يُلحظ في أنواعها الثلاثة من أمر ومضارع وماضٍ، فاسم الفعل هيهات في قوله تعالى: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾[3]، وهو كلام على لسان الكفّار المنكرين للبعث بعد الموت، ليس معناه بَعُدَ أو بَعُدَ جدًّا، بل يحمل معنى ما أبعده، وفي اسم الفعل هيهات كذلك إعراب عمّا استقرّ في قلوب الكفّار من استحالة وقوع الحساب والبعث، وبُعده بُعْدًا لا يتأتّى تصوُّرُه[4]، ففي الكلام معنى التعجب.

وهذا ما يدفعنا للقول إنّ أسماء الأفعال تغلب عليها ملامح الأسلوب الانشائي وتبدو بعيدة في أحايين كثيرة عن الاخبار البسيط، وإن كان الأسلوب الإنشائي مسلّما به لأسماء أفعال الأمر، فإنّ هذا الأسلوب يمكن أن يشمل التعبير بأسماء أفعال الماضي والمضارع، فقولنا سرعان مثلا ليس معناه أسرع فقط كما يفسِّرُهُ النحاةُ، بل يتضمَّنُ في الوقت نفسه التعجب من السرعة فكأننا نقول ما أَسْرَعَهُ! ومثله اسم الفعل المضارع بخٍ بمعنى أستحسنُ فهو يتضمّن إبداء للاعظام والتقدير لشيء ينال الإعجاب والتعجب، واسم الفعل الماضي "دعدعًا" بمعنى انتعش من مكروهٍ أَصَابَهُ ونَهَضَ من عَثْرَةٍ، يتضمّن الدعاء بالسلامة أيضا[5]. فهو يحمل أسلوبا إنشائيا في دلالته.

---

[1] الأنعام 150.
[2] المؤمنون 36.
[3] المؤمنون 36.
[4] د محمود توفيق محمد سعد: صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم 36.
[5] ينظر عباس حسن: النحو الوافي:161/4.

ومما يعزّز هذا عندنا أن أسماء الأفعال لا تَرِدُ إلاّ تعبيرًا عن موقف انفعالي، فلا يمكننا بعد أن نسمعها أن نتصوّر صدقا أو كذبا، كما أنها ترد غالبا للتعبير عن الأمر والنهي[1]، واعتبارا لغلبة هذه الدلالة على أسماء الأفعال فقد جاءت منها مجموعة خاصة منقولة عن جار ومجرور أو عن ظروف لتؤدي معنى الأمر خاصّة، منها إليك بمعنى تنحَّى، ودونك بمعنى خذ، وعليك بمعنى الزم، كما جاز أ ن يصاغ اسم فعل الأمر قياسا على وزن فَعَالِ، مثل حَذَارِ ونَزَالِ وتَرَاكِ، بمعنى احذر وانزل واترك[2]، مع ملاحظة قوّة المعنى والمبالغة فيه، في أسماء الأفعال.

وتحمل أسماء الأفعال طاقات دلالية كبيرة في ألفاظها المختَصِرة لكمٍّ من المعاني، فاسم الفعل "دونك" الذي يكتفي النحاة بالقول فيه إنه بمعنى خُذْ، لا تقف دلالته عند هذا الحدّ، بل نراه في مثل قولنا دونك الكتاب، بمعنى دونك الكتاب فخده فقد أمكنك، ففيه دلالة على القُرب والتمكّن وطلب الأخذ في آن واحد[3].

ومن ذلك اسم الفعل صه الذي يقال أنّ معناه أسْكت، فهو منوّنا يفيد طلاقة الدلالة، وطلبا للسكوت عن أيّ حديث، وبدون تنوين يفيد طلب السكوت عن حديث معيّن[4]، مع الجزم في الطلب والقوّة في الدلالة على الأمر في كلتا الحالتين، وهذا التنوّع لا نلمسه في "اسْكتْ".

وبعد هذا الحديث المختصر عن الأسماء العاملة عمل الفعل بأنواعها الستّة من منظور صرفي ونحويّ ودلالي يمكننا أن نخلص إلى النتائج التالية:

1- لقد أولى النحاة واللغويون هذه المجموعة من الأسماء اهتماما كبيرا، فحدّدوا لها صيغا قياسية وحفظوا السماعية منها، وكان المعوّل عليه في تصنيف هذه الأسماء معطيات دلالية أكثر من أخرى شكلية، فهم يقفون على صيغة مفعول الواردة في معنى المصدر، ولا يقولون أنها اسم مفعول، ويشترطون لبعض هذه الأسماء الاعتماد لتعمل عمل الفعل، والاعتماد أمر معنويّ يكتسبه الاسم المشتق في التركيب، إذا سبق بما يقوي دلالة الحدث الفعلي فيه.

2- إنّ دراسة النحاة لهذه المجموعة اللغوية، دراسة لا تدع مجالا لفصل النحو عن الصرف، ولا مجال لفصل هذين عن الدلالة، وتبرز جليًّا

---

[1] ينظر سيبويه: الكتاب: 241/1.
[2] ينظر أبو القاسم الزجاجي: الجمل في النحو 228، ويقول الرضيّ "وفعَال بمعنى الأمر من الثلاثي قياس كنزال بمعنى انزل" رضي الدين الاستراباذي: شرح الكافية في النحو: 75/2.
[3] ينظر: عباس حسن: النحو الوافي: 161/4.
[4] ينظر: ابن هشام: شرح شذور الذهب 525.

دراسة تركيبية معتمدة على ما يقدّمه علم المورفولوجيا، وهي في نفس الوقت دراسة لم تخلُ من إشارات بلاغية أسلوبية.

3- لا يمكن تحديد الدلالة الدقيقة للأسماء العاملة عمل فعلها، إلاّ داخل سياق لغوي معيّن، وما كانت إشارتنا لبعض دلالاتها العامة إلاّ زلفى لدراستها داخل السياق القرآني.

4- إنّ دلالات هذه المجموعة من الأسماء، قد تتداخل أحيانًا، فلا يبقى من الاسم المشتق إلاّ صيغته، ويصبح في معنى اسم مشتق آخر، مثل مجيئ ألفاظ بصيغة اسم الفاعل أو بصيغة اسم المفعول، دالّة على الثبوت، فتصبح صفات مشبهة معنًى، وكذا ورود أسماء مشتقة بصيغة اسم المفعول وهي مصادر، ومجيئ المصادر وصفًا بمعنى اسم الفاعل أو اسم المفعول أو ظروفا للزمان أو المكان، وهذا ما يمكن أن يعبّر عنه بتعدد المعنى الوظيفي للمبنى الواحد.

الفصل الثاني

أسماء الفاعلين العاملة عمل فعلها، دلالاتها وسماتها البلاغية في القرآن الكريم.

تمهيد:

بعد حديثنا الموجز عن الأسماء العاملة عمل الفعل في مستويات لغوية ثلاث: الصرف والنحو والدلالة، يجدر بنا أن نعرض لدراسة نماذج منها داخل الأساليب اللغوية، للكشف عن بعض سماتها البلاغية.

ولقد آثرنا أن يكون القرآن الكريم مجالا لغويًّا نقطف منه نماذج للتحليل والدراسة، وبهذا نضع أنفسنا أمام الدقة في التعبير والمتانة في النظم، وأمام أسلوب يؤدي المعنى الوافر الثريّ في اللفظ القاصد النقيّ.

ونحن نعلم أنَّ وراء كل استعمال لكلمة في القرآن الكريم، بوضعها موضعها الأخصّ بها، سرًّا من أسرار الدلالة والبلاغة، ومن ذلك في المشتقات قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾[1]، فقد وصفت الآية قومًا باسم المفعول ووصفت آخرين باسم الفاعل، ونكتة هذه المخالفة تكمن في أن "أهل الغضب من غضب الله عليهم وأصابهم غَضَبُهُ فهم مغضوبٌ عليهم، وأما أهل الضلال فإنهم هم الذين ضَلُّوا وآثروا الضلال واكتسبُوهُ، وبهذا استحَقُوا العقوبة عليه، ولا يليقُ أن يقال ولا المُضَلِّينَ مبنيًا للمفعول لما في رائحته من إقامة عذرهم وأنهم لم يَكتَسِبُوا الضلال من أنفسهم بل فُعِلَ فيهم"[2].

كما أنه لا يأتي في لغة القرآن الكريم استعمال مشتق مكان آخر، قريب الدلالة منه إلاّ لأغراض دلالية وبلاغية جليلة، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾[3]، فقد استخدم لفظ فاعل مع الزكاة، والمعهود استخدام ألفاظ أخرى كالأداء أو الإعطاء أو الإيتاء، فيقال أدّى فلان الزكاة وأعطاها أو زكّى مَالَهُ، ولا يقال فعل الزكاة، "وجليلة الأمر أنَّ الألفاظ السابقة لا تؤدي المعنى المطلوب تمام الأداء، فهي لا تزيد عن الإخبار عن أدائها فحسب، في حين أنَّ المراد المبالغة في أدائها، والمواظبة عليه حتى يكون ذلك صفة لهم، فيصيرَ أداء الزكاة فعلاً لهم مضافًا إليهم يعرفون به، فهم له فاعلون، وهذا المعنى لا يستفاد على الكمال إلاّ بهذه العبارة، فهي إذًا أولى العبارات في هذا المعنىً."[4]

فقد جيء في هذه الآية باسم الفاعل "فاعل" للدلالة على ثبوت هذه الصفة لمن مدحهم الله تعالى من المؤمنين، واختير لفظ الفعل من بين أخوات له في الدلالة، نظرا لما يفيده هذا اللفظ من الشمول.

---

[1] الفاتحة:7.
[2] ابن قيّم الجوزية: بدائع الفوائد:33/2.
[3] المؤمنون:44.
[4] الخطابي: بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن 44-45.

فلا ريب إذا أن للأسماء العاملة عمل فعلها آثارها البلاغية في الكلام الجيّد، فهي تمكن من التعبير عن معان مختلفة تعبيرا دقيقا موجزا، ولا يخلو وضعها موضعها الأخصّ بها من التركيب من قيم بلاغية، تضفي على الأساليب رونقا وجمالا، إضافة إلى الوفاء بحقّ المعنى.

والحقّ أنّ هذه الأسماء كثيرة في القرآن الكريم، ويكفي أن نعرف أنّ عدد أسماء الفاعلين والصفات المشبهة يتجاوز الألف، وأنّ عدد صيغ التفضيل يتجاوز الأربعمئة بحساب المكرّر فيها.

فمن المثمر أن نقتصر على قدر منها في دراستنا لها، كما أننا سنركّز بحثنا على الأسماء التي جاءت عاملة عمل فعلها في السياق القرآني، محاولة منّا لبحث سماتها البلاغية في حال كونها مسندةً إلى غيرها.

وأول ما نبدأ به هو صيغ اسم الفاعل، المشتملة على أسماء الفاعلين من الثلاثي وأسماء الفاعلين من غير الثلاثي وصيغ المبالغة، وهذه الفئة من الأسماء العاملة عمل الفعل هي الأكثر ورودًا في القرآن الكريم من بين أخواتها، وهي كذلك الأكثر إعمالاً.

أوّلاً: أسماء الفاعلين من الثلاثي:

تنوّعت أسماء الفاعلين الواردة في القرآن الكريم تَنوُّعًا صرفيًّا كبيرًا، فجاء منها المشتق من الفعل الثلاثي والمشتق من غيره، ولا جَرَمَ أنَّ كُلاًّ وَفَّى في سياقه المعنى المقصود به، وأبعد عنه رُكامًا من حشوٍ لفظيّ قد ينوء بحَمْلِه.

ونبدأ فيما يلي حديثنا بنماذج من أسماء الفاعلين المشتقة من الثلاثي، مرتبة ترتيبا ألفبائيا حسب موادها اللغويّة.

آثم

الإثم لغةً الذنب "يقال أثم فلان يأثم إثما ومأثما، أي وقع في الإثم وعَمِل ما لا يحل له، فهو آثم وأثيم وأثوم".[1]

وقد ورد اسم الفاعل آثم في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم، منها في قوله تعالى: ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الآثِمِينَ﴾[2]، وفي قوله تعالى:﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾[3]،وواضح

[1] ابن منظور: لسان العرب: 5/12-6 مادة أثم.
[2] المائدة 106.
[3] الإنسان 24.

أنَّ اسم الفاعل آثم في الآيتين جاء وصفا حاملا دلالة الثبوت، فهو صفة مشبهة معنى كما أنه لم يعمل عمل فعله.

وقد جاء معملا في قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾[1]، فقد رفع لفظ القلب فاعلا له.[2]

وقد أتى هذا الاستعمال لاسم الفاعل في سياق آية الدَّيْن، وتضمنت الجملة التي ورد فيها وعيدًا شديدًا لمن عنده شهادة بدين وكتمها. وقد أُكد مضمون هذه الجملة بجملة من المؤكدات، فصدرت بحرف التوكيد "إنّ" إضافة إلى ضمير الشأن المتصل به[3]، وهو ضمير تستعمله العرب إذا أرادت أن تذكر جملة اسمية أو فعلية، تشتمل على معنى هام، أو غرض فخم، يستحق توجيه الأسماع والنفوس إليه، فيكون هذا الضمير بما فيه من إبهام وتركيز، مثيرا للشوق والتطلع إلى ما يزيل إبهامه، باعثا الرغبة فيما يبسط تركيزه، فتجيء الجملة بعده مفتاحا لغموضه[4]، ولا شك أن القارئ إذا سمع قوله تعالى "فإنه" ينتظر الحكم الذي يزيل إبهام ضمير الشأن.

وبهذا تكون بداية هذه الجملة مشتملة على مؤكدين مقويين للحكم الذي ستحمله؛ هما حرفا التوكيد وضمير الشأن.

وقد أتى استخدام اسم الفاعل آثم من مصدر الإثم الدالّ أصلاً على التقصير والتعمد في ارتكاب ما يوجب العقوبة، خدمةً لمعنى الوعيد الشديد الذي هو غرض الآية، وقد عدل عن مذنب ومخطئ لعدم إفادتها هذا المعنى الدقيق.[5]

كما جاء هذا الوعيد بالجملة الاسمية، وهي تفيد بأصل وضعها ثبوت شيء لشيء، وتفيد بالقرائن الدوام والاستمرار، وهي في جميع الحالات أفضل من الجملة الفعلية التي تقتصر بأصل وضعها إفادة حدوث شيء في زمن معيّن[6]، والغرض في هذه الآية هو وصف كاتم الشهادة بإثم القلب وصفًا ثابتًا مستقرًّا.

وأسند الإثم إلى القلب إسنادًا مجازيا، فالكاتم للشهادة هو الآثم جُمْلَةً، والمجاز في التعبير بالجزء عن الكل؛ فعلاقته الجزئية. ونكتة إسناد الإثم إلى القلب يشرحها الزمخشري بالقول: "كتمان والشهادة هو أن يضمرها ولا يتكلم بها، فلما كان إثما مقترفا بالقلب أُسْنِدَ إليه، لأن إسناد الفعل إلى الجارحة التي يعمل بها أبلغ، ألا تراك تقول إذ أردت التوكيد هذا مما

---

[1] البقرة 283.

[2] ينظر: أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط:357/2، وفي كلمة القلب وجوه أخرى من الإعراب، منها أنه بدل من آثم أو من الضمير فيه، أو أنه مبتدأ مؤخر وآثم خبر مقدم، ينظر: أبو البقاء العكبري: التبيان في إعراب القرآن:1/ 233.

[3] ينظر: أبو البقاء العكبري: التبيان: 233/1

[4] ينظر عباس حسن: النحو الوافي:250/1.

[5] ينظر الفرق بين آثم ومذنب ومخطئ أبو هلال العسكري: الفروق اللغوية 261.

[6] ينظر: عبد العزيز قليقلة: البلاغة الاصطلاحية 134.

أبصرت عيني ومما سمعته أذني ومما عرفه قلبي، ولأن القلب هو رئيس الأعضاء والمضغة التي إن صلحت صلح الجسد كلّه وإن فسدت فسد الجسد كُلُّهُ... ولئلا يظن أن كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان فقط، وليعلم أن القلب أصل مُتعلقة ومعدن اقترافه، ولأنّ أفعال القلوب أعظم من أفعال سائر الجوارح".[1]

وإلى هنا يمكننا أن نخلص إلى القول بأن رفع اسم الفاعل لفظ القلب فاعلا له، يعد بلاغة في الإسناد في هذه الآية، إذ أنّ القلب لما كان لبّ الإنسان وآلة عقله وشعوره؛ كان كتمان الشهادة عبارة عن حبس ذلك فيه، ولذلك جُعل هو الآثم، وهو تعبيرٌ مجازيّ آكد من الحقيقيّ في الدلالة على شناعة كتمان الشهادة.

باخع

اسم الفاعل باخع مشتقّ من البخع وهو قتل النفس غَمًّا، "يقال بَخَعَ نَفْسَهُ يبخعها بخعًا وبخوعًا،قتلها غيظًا وغمًّا، ويقال بخع بالحق أقَرَّ به و أذعن مع كراهة شديدة، وبخع الشاة بَالَغَ في ذبْحِهَا، وبخَع الأرض أجهدها بالزراعة".[2]

وقد ورد اسم الفاعل "باخع" في موضعين من القرآن الكريم، أحدهما هو قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهذَا الحَدِيثِ أَسَفًا﴾[3]، والثاني هو قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نفسكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[4].

وفي الآيتين خطاب للرسول ﷺ يَحُثُّهُ على ترك التأسف والتحسر على من تَوَلَّى عن دَعْوَتِهِ[5].

وقد عمل اسم الفاعل في الآيتين عمل فعله، فرفع الضمير المستتر فاعلاً له، ونصب لفظ "نفسك" مفعولا، وهذا الإعمال يجعله بمعنى الفعل المضارع دالاًّ على الحال أو الاستقبال، ويرشحه للدلالة على الحدوث ويبعده عن دلالة الثبوت.

ويكتفي جلّ المفسرين بالقول أن "باخع" في الآيتين هوبمعنىقاتل والحقّ أنّ الدلالة الدقيقة له هي إهلاك النفس إجهادًا،[6] وداخل دائرة هذه الدلالة جاء قولهم: بخع الأرض إذا أجهدها بالزراعة فذهبت خصوبتها، وقولهم في المجاز كذلك:

---

[1] الزمخشري: الكشاف 170/1-171 وينظر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن:415/3 وكذا جلال الدين السيوطي: معترك الأقران في إعجاز القرآن:38/3.

[2] ابن منظور: اللسان:5/8 مادة بخع وينظر الراغب الأصبهاني: معجم مفردات ألفاظ القرآن 35.

[3] الكهف 06.

[4] الشعراء 03.

[5] ينظر: أبو سعيد البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار والتأويل 398و 494.

[6] ينظر: أبو حيّان الأندلسي، تفسير البحر المحيط: 94/6 وكذا مجد الدين الفيروز أبادي بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز:229/2

"بخَعَهُ الوُجد إذا بلغ منه المجهود، وبخع لي بحقّي إذا أقَرّ إقرار مذعن بَالِغَ جُهْدِهِ في الإذعان به".[1]

وإذا تركنا جانب الدلالة الإفرادية لاسم الفاعل "باخع"، والتفتنا نحو التركيب الذي انتظم فيه نجد أن إسناد البخع إلى الرسول الكريم ﷺ جاء مقيّدًا بجملة مقيّدات منها:

الحرف الناسخ "لَعَلَّ"، وهو هنا مفيد للترجي وهو الطمع في الوقوع أو الإشفاق منه، وبهذا المعنى يكون في الكلام استعارة، إذ شُبه ظاهر حال الرسول الكريم، وهو يتأسف على عدم إيمان الكفّار، بحال من يتوقع منه الناس قتل نفسه غمًّا، وتقدير الكلام: يا محمد قد وصلت إلى حالة يتوقع منك الناس بخع نفسك، وذلك لما يشاهد من تأسفك على توليهم.[2]

ومن المفسرين من رأى أن لعلّ هنا موضوعة للنهي كأنه قيل: لا تبخع نفسك، وقيل كذلك أنها للاستفهام الإنكاري على معنى لا تكن كذلك.[3]

ثاني المقيّدات المفعول به وهو لفظ نفسك، وقد أفاد تخصيص البخع بنفس الرسول لا بغيره.

ثالثها المفعول لأجله: وهو لفظ أسفًا في آية الكهف[4] وألاّ يكونوا مؤمنين في آية الشعراء[5]، وقد جاء هذا التقييد محددًا للغرض الذي نُهي الرسول عن إهلاك نفسه لأجله، وهو الأسف على إعراض الكفّار.

ومن الواضح أن الإسناد بدون هذه المقيّدات يجعل الحكم بالبخع على الرسول كلاما فائت الفائدة.

وقد اشتملت كلتا الآيتين على استعارة تمثيلية، وذلك لأنّهُ "مُثِّلَ حاله ﷺ في شدة الوجد على إعراض القوم وتوليهم عن الإيمان بالقرآن، بحال من يتوقع منه إهلاك نفسه إثر فوات ما يحبه"[6].

والمشبه به هنا صورة منتزعة من متعدد، وهو هيئة المتأسف المقبل على قتل نفسه والغرض من وضع اسم الفاعل باخعُ في التركيب الاستعاري تنزيه الرسول الكريم عن توقع إهلاك نفسه حقيقة.

---

[1] الزمخشري: أساس البلاغة 16.
[2] ينظر: الألوسي البغدادي: روح المعاني:205/15.
[3] ينظر: فخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب المشتهر بالتفسير الكبير: 361/6.
[4] ينظر: أبو البقاء العكبري: التبيان في إعراب القرآن: 838/2.
[5] ينظر: سميع عاطف الزين: الإعراب في القرآن الكريم 405.
[6] الألوسي البغدادي: روح المعاني: 205/15.

باسط

البسط لغة نقيض القبض، "يقال بَسَطه يَبْسُطه بمعنى نشره، وبَسْطُ العذر قَبوله، ويأتي بَسْطُ اليد كناية عن إرادة الخير أو الشر، يقال بسط فلان يده بما يُحِبُّ ويكره وبسط إليَّ يده بما أُحِبُّ أو أكره".[1]

وقد ورد اسم الفاعل "باسط" في أربعة مواضع من القرآن الكريم، أحدهما هو قوله تعالى على لسان أحد ابني أدم: ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾[2] وجاءت هذه الآية في سياق الحديث عن قصة ابني آدم، إذ أراد هابيل قتل أخيه قابيل فكان جواب قابيل في هذه الآية، نافيًا لمقابلة الشر، بمثله.[3]

واستخدم بسط اليد في هذه الآية للكناية عن الصولة والضرب[4]،فالغرض من مدها هو العدوان والقتل، ومما جاء فيه البسط في القرآن بهذا المعنى قوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ﴾[5]، أي يبسطوها بالقتل والإهلاك، يقال بسط إليه يده إذا بطش به[6].

والملاحظ في الأسلوب الذي جاء على لسان قابيل أنه لم يُعَبّر عن نفسه بصيغة الفعل المضارع المنفيّ كما عَبَّرَ بالماضي المثبت عن عمل أخيه، وهذا هو المتبادر إلى الذهن من مقابلة الشيء بضدِّه، بل قال " ما أنا بباسط"، أي "لستُ بالذي يتّصفُ بهذه الصفة المنكرة المنافية لتقوى الله، ولا شك أنّ نفي الصفة أبلغ من نفي الفعل".[7]

فلم يأتِ جواب ابن آدم قابيل جملة فعلية مُوافقَة لما في الشرط، بل اسمية مصدّرة بـــ "ما" الحجازية المفيدة لتأكيد النفي بما في خبرها من الباء، وذلك "للمبالغة في إظهار براءته عن بسط اليد،ببيان استمراره على نفي البسط، فالجملة الاسمية الإيجابية كما تدل بمعونة المقام على دوام الثبوت كذلك السلبية تدُل بمعونته على دوام الانتفاء، وذلك باعتبار الدوام والاستمرار بعد اعتبار النفي لا قبله؛حتى يرد النفي على المقيّد بالدوام فيرفع قَيْدَهُ".[8]

ومن السمات البلاغية لاستعمال اسم الفاعل "باسط" في هذه الآية، أنّه لم يأت بلفظ "ما أنا بقاتل" وهو لازم معنى الكناية، بل قيل ما أنا بباسط"للتبرّي عن مقدمات القتل فَضْلاً

---

[1] ابن منظور: لسان العرب:112/8 مادة بسط.
[2] المائدة28.
[3] ينظر: أبو الفداء إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم 452.
[4] ينظر: الراغب الأصبهاني: معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم 44.
[5] المائدة11.
[6] ينظر: أبو سعيد البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل 173.
[7] محمد رشيد رضا: تفسير المنار: 343/6.
[8] أبو السعود محمد بن محمدٍ مصطفى: تفسير أبو السعود بحاشية التفسير الكبير للرازي:121/3.

عنه"[1]. فقد أتى اسم الفاعل باسط ليؤكد أن ابن آدم قابيل ليس ممن يوصف بمُجرّد مد اليد للبطش والعدوان.

وثاني المواضع التي ورد فيها اسم الفاعل "باسط" هو قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمْ﴾[2]. وقد صوّرت هذه الآية مشهد نزع روح الظالمين، وجاء بسط اليد هنا كناية عن الإلحاح والتشديد والإرهاق من غير تنفيس ولا إمهال، فهو موقف يفعل بالظالمين فعل الغريم المسلط يبسط يده إلى من عليه الحقّ ويعنّف عليه في المطالبة.[3]

وممّا ورد فيه اسم الفاعل باسط، قوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾[4]، وهذه الآية مشهد من مشاهد أصحاب الكهف وهم نيام، وقد جاء وصف حال كلبهم باسم الفاعل لغرض بلاغي يشرحه عبد القاهر الجرجاني بالقول: "إنّ أحدًا لا يشكُّ في امتناع الفعل ههُنَا، وإن قولنا كلبهم يبسط ذراعيه لا يؤدّي الغرض، وليس ذلك إلاّ لأنّ الفعل يقتضي مزاولة وتجدّد الصفة في الوقت، ويقتضي الاسم ثبوت الصفة وحصولها من غير أن يكون هناك مزاولة وتزجية فعل، ومعنًى يحدث شيئا فشيئا، ولا فرق بين وكلبهم باسط وبين أن يقول وكلبهم واحد مثلا، في أنّك لا تثبت مزاولةً ولا تجعل الكلب يفعل شيئا، بل تثبته بصفة هو عليها، فالغرض إذن تأدية هيئة الكلب".[5]

كما أنّ في وصف هذا الكلب باسم الفاعل المفيد لاستقرار الصفة، ومقابلة هذا بالفعل المضارع "نقلبهم" المفيد للتجدّد والمزاولة، إشارة إلى كرامةٍ لأصحاب الكهف بمنحهم حالة الأحياء عنايةً بهم، وهو ما لم يذكر للكلب الذي استمرّ باسطا ذراعيه شأن جلسة الحيوان، ولو كان تقليبهم من أسباب سلامتهم لكان الكلب مثلهم في ذلك.[6]

وبهذا يتّضحُ لنا جَلِيًّا كيف جاء اسم الفاعل في موقعه في هذه الآيات، محتفظًا بقوّة دلالته، قائمًا بقسط كبير من المعنى المقصود في جملته، ولو أُسْقِطَ أو أُسْتبدل بغيْرِه لسقطت معه دعامة المعنى المراد ،ولتهدّم ركنٌ من أركانه.

---

[1] الألوسي البغدادي: روح المعاني:113/6.
[2] الأنعام 93.
[3] ينظر: الزمخشري: الكشاف 28/2.
[4] الكهف 18.
[5] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز 174-175.
[6] ينظر: محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير:281/15.

تابع

الدلالة الحسّية لمادة تبعَ تفيد السيرَ في أثر الشيء، يقال تَبِعَ الشَّيْءَ تَبَعًا وتَبَاعًا في الأفعال، وتَبِعَ الشيءَ تُبوعًا سَارَ في إِثْرِهِ.[1]

وقد ورد اسم الفاعل "تابع" مرتين في القرآن الكريم في آية واحدة هي قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾.[2]

وفي هذه الآية إخبارٌ عن عناد اليهود ومكابرتهم، فلو أقام الرسول عليهم كل دليل على صحة ما جاءهم به لما تبعُوه ولما تركوا قبلتهم، كما أخبرت الآية أن الرسول مستمسك بما جاءه من الهدى وأنه لا يترك قبلته اتباعا لهم.[3]

وقد أعمل اسم الفاعل "تابع" في هذه الآية عمل فعله، فرفع الضمير المستتر ونصب لفظ القبلة مفعولا، وتنوينه يجعله يحتمل الدلالة على الحال أو الاستقبال.

كما أن وقوعه خبرًا لما الحجازية النافية، وجره بالباء الزائدة المؤكدة للنفي، حسم أطماع أهل الكتاب في اتباع الرسول لهم، "فالجملة الاسمية المنفية قد سيقت لتأكيد حقيّة أمر القبلة كل التأكيد، وقطعت تمني أهل الكتاب في اتباع الرسول لهم، وفي نفي اسم الفاعل إشارة إلى أنّ هذه القبلة لا تصير منسوخةً أبدًا".[4]

وتحتمل جملة " وما أنت بتابع قبلتهم" الخبرية المنفية، معنى الأمر، فتكون جملة إنشائية، ويكون معناها النهي، أي لا تتبع قبلة أهل الكتاب.[5]

وقد نفت الآية اتفاق أهل الكتاب على قبلة واحدة، بنفس الأسلوب المؤكد، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾.

وبهذا الحسم القاطع للاتباع، يكتسب اسم الفاعل تابع في هذا السياق دلالة على الثبوت والاستمرار، ويكون قريبا من دلالة الصفة المشبهة.

وتتضح بلاغة اسم الفاعل في أداء المعنى الذي حمله، إذا وُضِعَ بازّاء التعبير بالفعل في أول الآية وهو قوله تعالى: ﴿مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾، فالفعل المضارع يفيد الحدوث والتجدد، فكلما جاءهم الرسول بحجّة، قابَلُوه برفض الاتباع، ومع هذا فليس لهذا النفي حكم الاستمرار

---

[1] ابن منظور:اللسان: 27/8 مادة تبع وينظر ابن فارس: معجم مقاييس اللغة 362/1

[2] البقرة 145.

[3] ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم 144.

[4] الألوسي البغدادي: روح المعاني:11/2.

[5] ينظر : القرطبي: الجامع لأحكام القرآن المشتهر بتفسير القرطبي:162/2.

والدوام، فقد يهتدون فيتبعُون.[1] بينما يبقى اتباع الرسول لهم، واتباع بعضهم بعضًا منفيين أبدًا وهو نكته استخدام نفي اسم الفاعل فيما.

ثَانِيَ

تأتي مادة ثنى في اللغة بمعنى تكرير الشيء مرتين، أو جعله شيئين متواليين، فيقال ثنى الشيء ردَّ بعضه على بعضٍ، وفي التنزيل العزيز ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾[2] قال الفرّاء: نزلت فيمن كان يلقى النبيّ ﷺ بما يُحبُّ وينطوي له على العداوة والبغض، فذلك الثني أي الإخفاء.[3]

والملاحظ على معاني مادة ثني أن بعضها استعمل على سبيل الحقيقة مثل ثني الثوب، واستعمل الثني كذلك استعارة للإخفاء.

وقد ورد اسم الفاعل "ثاني" مرتين في القرآن الكريم، إحداهما في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾.[4]

وقد ذكر الله في هذه الآية حال الدعاة إلى الضلال من رؤوس الكفر والبدع، بلا عقل صحيح ولا نقل صريح، بل بمجرّد الرأي والهوى، وقوله "ثاني عطفه" أي مستكبرًا عن الحق إذا دعي إليه، معرضا عنه.[5]

واسم الفاعل "ثاني" في هذه الآية منتصب على الحالية، وهو مضاف إلى مفعوله إضافة في تقدير الانفصال فالتنوين فيه مقدّر؛ أي ثانيًا عطفَهُ.[6]

وبهذا فهو دال على الحال باعتبار وقت الجدال بغير علم.

ويتّضح من سياق الآية أن ثني العطف، وإن أمكن إيراده بمعناه الأصلي، ليس مقصودا لذاته، إنما هو كناية والمراد بها "الصفة بالإعراض عن سماع الرشد، وليّ العنق عن اتباع الحقّ، لأنّ المستقبل لسماع الشيء الذي لا يلائمه في الأكثر،يصرفّ دونه ويثني عنه عُنُقُهُ، والعطف جانب القميص وبه سُمِّيَ شقّ الإنسان عطفًا لأنه منه يكون ابتداء انعطافه".[7]

فالعلاقة الرابطة بين ثني العطف والإعراض عن الشيء هي علاقة تلازم، وهي العلاقة التي أسس عليها البلاغيون مفهومهم للكناية.

---

[1] ينظر: الألوسي البغدادي: روح المعاني:12/2.
[2] هود3.
[3] ابن منظور: اللسان 115/14 مادة ثنى وينظرابن فارس: معجم مقاييس اللغة:391/1.
[4] الحجّ 8-9.
[5] ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم 978.
[6] ينظر: أبو بكر أحمد بن الحسين الزجاج: إعراب القرآن المنسوب إليه:161/1.
[7] الشريف الرضيّ: تلخيص البيان في مَجَازات القرآن77.

ويمكننا أن نخلص إلى القول أن اسم الفاعل ثاني ومعموله شكّلاً تركيبًا كنائيًا أفاد المبالغة في الإعراض والنأي عن الحقّ.

جَازٍ

الجزاء لغةً المكافأة على الشيء وقيام الشيء مقام غيْره، يقال جَزَاهُ به وعليه وجَازاه مجازاةً وجزاءً، ويقال جزى عني هذا الأمرُ فهو جَازٍ أي قضَى وأغنى عَنّي.[1]

ولم يرد اسم الفاعل جَازٍ إلاّ مرّة واحدة في القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُم واخشَوْا يومًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾[2]،وفي هذه الآية ينذر الله الناس بيوم المعاد، ويخوفهم منه فهو يوم لا يفدي الوالد ولده ولو بنفسه وكذلك الولد لا يفدي أباه.[3]

واسم الفاعل جَازٍ مشتق من الثلاثي جَزَى وهو لازم لا يَتَعدّى إلاّ بحرف الجَرّ، وليس لفظ "شيئًا" مفعولا به لاسم الفاعل بل هو في حكم المصدر، لأنه وقع موقع جزاء.[4] فإعمال اسم الفاعل هنا اقتصر على التعدي بحرف الجرّ.

أمّا من الناحية التركيبية، فالملاحظ أن نفي الجزاء من الوالد عن ولده جاء بلفظ الفعل، في حين جاء نفي جزاء الولد عن الوالد بلفظ اسم الفاعل، فاختيرَ ما لا يفيد التأكيد في الجملة الأولى، وما يفيده في الجملة الثانية وهو اسمية الجملة، وقد شرح الزمخشري القيمة البلاغية لاختيار الجملة الاسمية للمعنى الثاني بالقول:"والسبب في مجيئه على هذا السنن أن الخطاب للمؤمنين، وغالبيتهم قبض آباؤهم على الكفر والدين الجاهليّ فأريد حسم أطماعهم وأطماع الناس فيهم أن ينفعوا آباؤهم في الآخرة وأن يشفعوا لهم وأن يُغْنُوا عنهم من الله شيئًا، فلذلك جيء به على الطريق الآكد."[5]

فقد جاء نفي اسم الفاعل أسلوبًا قطع الطريق أمام كلّ رجاء في شفاعة مولود لوالده، وإذ كان هو الرجاء الأكثر توقعا قُوبل بالنفي الأكثر جزمًا.

وقد ذكر الفخر الرازي[6] قيمة أخرى لهذه المقابلة بين الفعل واسم الفاعل؛ يقول: "إنّ الفعل يتأتّى وإن كان ممن لا ينبغي له ولا يكون من شأنه، لأن المَلِكَ إذا كان يخيط شيئا يقال إنه يخيط ولا يقال هو خيّاط، وإذا علمت هذا فنقول: الابن من شأنه أن يكون جَازيًا عن

---

[1] ينظر ابن منظور: اللسان: 14/143-144 مادة جزى وينظرابن فارس: المقاييس 455/1.
[2] لقمان33.
[3] ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم 1146.
[4] ينظر: أبو البقاء العكبري: التبيان في إعراب القرآن 60/1 في إعراب قوله تعالى "يَوْمَ لا تجزي نفسٌ عن نفس شيئا" البقرة48.
[5] الزمخشري: الكشاف:238/3 وينظر الألوسي البغدادي: روح المعاني:107/21.
[6] هو محمد بن عمر الحسين فخر الدين الرازي إمام مفسر متكلم، ولد في الريّ من قرى طبرستان عام 544هـ كان شافعيًا أشعريًا، اشتهر بتفسيره القرآن المسمى مفاتيح الغيب والمشتهر باسم التفسير الكبير وله أيضا كتاب "نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز" في علوم البلاغة وبيان إعجاز القرآن توفي 606هـ. ينظر: عادل نويهض: معجم المفسرين 596.

والده لما له عليه من الحقوق، والوالد يجزي لما فيه من الشفقة، وليس بواجب عليه ذلك فقال في الوالد لا يجزي وفي الولد ولا مولودٌ هو جَازٍ".[1]

والمستخلص من كلامه أن هذا الاستعمال جاء مفرّقًا بين مَنْ مِنْ شأنه القيام بالفعل وهو الوالد، ومَنْ مِنْ شأنه الاتصاف به وهو الولد.

جَاعِل

الجعل لغة التصيير، وهو لفظ عام في الأفعال كُلِّهَا، ويأتي بخمسة أوجه من الدلالة[2]:

أ- بمعنى صارَ وطفق.

ب- بمعنى أوجد فيعدى إلى مفعول واحد.

ج- بمعنى أوجد شيئًا من شيء وكونُهُ منه.

د- بمعنى الحكم بالشيء على الشيء حقًا كان أو باطلاً.

ه- بمعنى تصيير الشيء على حالة دون حالة.

وقد ورد اسم الفاعل "جاعل" في ستّ مواضع من القرآن الكريم، متراوحًا بين الإفراد والجمع،و بدلالات مختلفة.

من ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[3]، وفي الآية يخبر الله تعالى ملائكته بأنه سيخلق خَلْقًا ليس منهم، يسكن الأرض و يعمرها، وهم خلقٌ يَخْلُفُ بعضهم بعضًا.[4]

وقد شرح جلّ المفسرين الجعل في هذه الآية بأنّه التصييرُ فيكون متعديًّا لمفعولين أحدهما لفظ خليفة والثاني "في الأرض"، كما فَسَّرُوه بالخلق فيكون متعديًّا إلى مفعول واحد.[5]

والحَقُّ ما قَالُوهُ، لكنّ الجعل في هذه الآية بمعناه الأدقّ كان هو الحكم بالشيء على الشيء، وليس خلقا بمعناه البسيط، فالفرق بين الخلق و الجعل أن الخلق فيه معنى التقدير، وفي الجعل معنى التضمين كإنشاء شيء من شيء أو تصيير شيء شيئًا أو نقله من مكان إلى مكان[6].

و يتضّح فرق آخر بين "جاعل"و"خالق" من خلال استعمال لغة القرآن لكلّ منهما، فقد جاء الجعل مستعملا فيما يتجدّد و يتكرّر، وهو ما أفاده في الآية لفظ الخليفة فهم يخلف

---

[1] الفخر الرازي: التفسير الكبير:552/6.
[2] الراغب الأصبهاني: معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم 92.
[3] البقرة 30.
[4] ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم 60.
[5] ينظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن:263/1 و أبو سعيد البيضاوي. أنوار التنزيل و أسرار التأويل 25 و الألوسي: روح المعاني:220/1.
[6] ينظر: الزمخشري: الكشاف:3/2.

بعضهم بعضا، و ليس في لفظ خالق تلك الدلالة ؛فجاء في الاستعمال القرآني في ذكر خلق البشر و الأشياء مما لا دلالة فيه على تجدد و تكرر[1].

و إذا تركنا دلالة "جاعل" الإفرادية و التفتنا إلى قيمته البلاغية في التركيب نجد أنّه أفاد ثبوت الجعل في الحال أو الاستقبال، فهو أمرٌ لا صارفَ عَنْهُ. ومِمَّا رَشَّحَهُ لهذا الغرض تنوينه و إعماله عمل فعله و وقوعه خَبَرًا لحرف التوكيد "إنّ".

و قد حمل اسم الفاعل"جاعل" دلالة الصفة المشبهة في قوله تعالى:﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ﴾[2] فقد دل في هذه الآية على وصفٍ ثابت لله تعالى، فاسم الفاعل هنا بمعنى المضي ويؤيد هذا عطفه على فاطر وهو صفة ثابتة، وورود قراءة له بلفظ الفعل الماضي جَعَلَ.[3]

والغرض البلاغي من الوصف به في هذه الآية هو مدحُ الله تعالى نفسَه بخلق الملائكة بشكل بديع.

خارج

الدلالة الحسية لمادة خرج تفيد الظهور والبروز ونفاذ شيء من شيء آخر، ويعدي الفعل خرج بالهمزة وبحرف الجر الباء يقال: أخرجه وخرج به.[4]

ويأتي الإخراج في الاستعمال القرآني بوجهين :[5]

أولهما في الأعيان مثل قوله تعالى:﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ﴾.[6]

والثاني في التكوين الذي هو من فعل الله تعالى مثل قوله سبحانه: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾.[7]

وقد ورد اسم الفاعل المشتق من مادة "خرج" ست مرات في القرآن الكريم ثلاث منها مشتقة من المجرد خرج وثلاث من أخرج المتعدي.

ومن الثلاث الأُوَل جاء اسم الفاعل "خارج" في قوله تعالى: ﴿أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾[8].

---

[1] ينظر: مجد الدين الفيروز أبادي: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز:113/1.
[2] فاطر 1.
[3] ينظر: أبو منصور الأزهري: معاني القراءات: 372/1 وأبو حيان الأندلسي: البحر المحيط:298/7.
[4] أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة: 175/2.
[5] الراغب الأصبهاني: معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم: 145-146.
[6] المؤمنون 35.
[7] النحل 78.
[8] الأنعام 122.

وهذه الآية مثل ضربه الله تعالى للمؤمن الذي كان في الضلالة فأحيا الله قلبه بالإيمان، ومثل الكافر كمن وجد نفسه في ظلمة حالكة فلا يهتدي فيها إلى طريق.[1]

ولقد أفاد استعمال اسم الفاعل "خارج" منفيا مؤكدا نفيه بالباء الزائدة، دقيقة بلاغية وهي "أن الشيء إذا دام حصوله مع الشيء صار كالأمر الذاتي والصفة اللازمة له، فإذا دام كون الكافر في ظلمات الجهل والأخلاق الذميمة صار عدم الخروج من تلك الظلمات كالصفة الذاتية اللازمة له يعسر إزالتها عنه".[2]

فقد أتى اسم الفاعل في هذا السياق ليصف الكفار بصفة عدم الخروج من الجهل على سبيل الدوام والاستمرار، فهو دال على معنى الصفة المشبهة مفيد التيئيس من حال هؤلاء الضالين.

خاشع

تفيد مادة خشع في اللغة معنى التطامن والضراعة، يقال خَشَعَ خُشُوعًا واخْتَشَعَ وتَخَشَّعَ، إذا رمى ببصره نحو الأرض وغضّه وخفض صوته وطأطأ رأسه، وهو قريب المعنى من الخضوع، إلا أن الخضوع في البدن والخشوع في الصوتِ والبصر.[3]

وقد ورد اسم الفاعل خاشع في مواضع كثيرة في القرآن الكريم بصيغ مختلفة وفي تراكيب متنوعة، وجاء مسندا إلى لفظ "الأبصار" بصيغة الجمع في قوله تعالى: ﴿خُشَّعًا أَبصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُم جَرَادٌ مُنتَشِرٌ﴾[4]. وقد وصفت هذه الآية مشهدا من مشاهد البعث والنشور، يوم يخرج المنكرون للبعث ذليلة أبصارهم من هول ذلك الموقف.[5]

وخشوع الأبصار في هذه الآية هيئة النظر بذلة وخوف، وقد أفاد تركيب اسم الفاعل وفاعله وهو لفظ الأبصار، الكناية عن الذلة والانخزال، لأنّ ذلة الذليل وعزّة العزيز تظهران في عيونهما.[6]

ولقد انتظمت وهذه الكناية في سياق اشتمل على سبعة مظاهر من مظاهر الأهوال يوم القيامة[7] منها قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وانْشَقَ القَمَرُ﴾[8]، وقوله سبحانه ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ﴾[9]. ولقد ناسب مجيء اسم الفاعل بصيغة الجمع، مقدّمًا على موصوفه، هذا السياق

---

[1] ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم 542.
[2] الفخر الرازي: التفسير الكبير:140/4.
[3] ابن منظور: اللسان:71/8 مادة خشع وينظر أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة: 182/2
[4] القمر 07.
[5] ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم 1413.
[6] ينظر الزمخشري: الكشاف: 44/4 والألوسي البغدادي: روح المعاني:80/27.
[7] ينظر: محمد الطاهر بن عشور: تفسير التحرير والتنوير: 177/27.
[8] القمر 1.
[9] القمر6.

العاصف المليء بالأهوال والإنذار، ذلك أنّ "صيغة الجمع بما تفيد من معنى الكثرة، اُستُعيرت للدلالة على قوّة الصفة، وتمكنها منهم وبلوغها الغاية التي لا يتصوّر معها أقسى ولا أذلّ مما وَصَلُوا إليه، ثم كان لتقديم هذا الوصف على موصوفه أثره في التركيز عليه، وكأنّهم يوصفون به الآن، لا ما أُجّلَ لهم من العذاب، وقد تعانق هذا الجمع مع الكثرة التي نشرها التشبيه في قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ [1]، ليبث بشارات الخطر القريب".[2]

وتتضح القيمة البلاغية لاستخدام اسم الفاعل بصيغة الجمع في هذه الآية، إذا ما قورن بوروده مفردا في قوله تعلى:﴿خَاشِعَةً أَبصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلّةٌ ذلك اليَوْمُ الّذي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾[3]، فقد جاء هنا في سياق هادئ يأمر فيه اللهُ نبيّهُ بإمهال الكفّار إلى يوم يُسَاقون إلى حتفهم، وهو سياق يرخي العنان للتأمل والتدبّر، وهّذا الفرق بين السياقين هو الذي أوجب الجمع هناك والإفراد هنا، بحكم أن الجمع أقوى وأشدّ.[4]

ويمكنا أن نلخص إلى القول أن صيغتي اسم الفاعل "خاشع" و"خشّع" لما كانتا متقاربتين في الدلالة، فإن اختيار ما يتلاءم جرسها وإيقاعها مع سياقها هو ضرب من ضروب البلاغة.

ذائق

تفيد الدلالة الحسية لمادة "ذوق" اختبار الشيء من جهة تطعّم، فيقال "ذاق الشيء يذوقُهُ ذَوْقًا ومَذَاقًا، والمَذَاقُ طَعْمُ الشيءِ"[5]، ويستعمل الذوق في المعاني مجازًا فيقال "ذُقْتُ ما عند فلان إذا اخْتَبَرْتَهُ، وكُلّ ما نزل بإنسان من مكروه فقد ذاقَهُ".[6]

وقد ورد اسم الفاعل ذائق خمس مرّات في القرآن الكريم، أضيف في ثلاث منها إلى لفظ الموت، من ذلك قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾.[7]

والمعنى العام للآية أنّ كل نفس واجدَةٌ مرارة الموت، ومفارقة البدن، فتعود إلى الجزاء يوم القيامة.[8]

وقد قُرئ اسم الفاعل "ذائقة" في هذه الآية بوجهين، الأول قراءة الجمهور له بإضافته إلى ما بعده[9]، وهذه الإضافة تجعله بمعنى المضيّ، دالاً على الوصف الثابت، ويكون المعنى

---

[1] القمر 7.
[2] محمد الأمين الخضري: الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ 238.
[3] المعارج 44.
[4] ينظر: محمد الأمين الخضري: الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ 239.
[5] ابن منظور: لسان العرب: 111/10.
[6] نفسه : 111/10 وينظر ابن فارس: المقاييس 364/2.
[7] العنكبوت 54.
[8] ينظر: الألوسي البغدادي: روح المعاني: 10/21.
[9] ينظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن: 297/4 وأبو حيان الأندلسي: البحر المحيط: 133/3.

أن كلّ نفسٍ متّصفةٌ بذوق الموت، والوجه الثاني لقراءته هو تنوينه مع نصب لفظ الموت[1]، وهي قراءة تجعله دالاً على الاستقبال الزماني، فيكون اسمَ فاعل صيغةً ودلالةً، ويصبح المعنى، أن كل نفسٍ ستذوق الموت لا محالة، وهو نفس المعنى الذي ترجع إليه القراءة الأولى إذا كانت الإضافة فيها بنية الانفصال أو إضافةً لفظية.[2]

وبالتوفيق بين القراءتين، باعتبارهما تعكسان غنى الدلالة للفظ الواحد، يمكننا القول أن المعنى العام الذي يستفاد، هو أنّ كل نفس ستموت، وإذْ كان هذا متحقِقًا دائمًا، فهي في عداد الموتى، مُتّصفة بذوق الموت.

ولا يمكن إجراء ذوق الموت على ظاهره لأن الموت ليس من جنس ما يطعم، وفي إسناده استعارة؛إذ شُبّه الموت بأمر كريه الطعم مرّه[3]، ويحتمل أن يكون الذوق نفسه قد استعير لمطلق الإحساس الباطني، وحقيقته للإحساس باللسان.[4]

وتطالعنا صورة أخرى لاسم الفاعل ذائق في قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا العَذَابِ الأَلِيمِ﴾[5]، إذ أضيف إلى لفظ العذاب، وهذه الآية من كلام الله تعالى يوم القيامة الموجه إلى المشركين عقب تساؤلهم وتحاورهم عن مصيرهم، فخوطبوا بما يقطع طمعهم في النجاة[6].

ولقد وقع اسم الفاعل ذائق في الآية خَبَرًا لـــ"أنّ" مؤكدًا باللام، وهو تركيب أفاد استحقاق العذاب للمشركين كأنه وصفٌ لهم، وتحتمل دلالة اسم الفاعل الحال، فيكون تحقق العذاب في المستقبل أُنزل منزلة وقوعه، وقد يكون دالاً على الاستقبال فيكون وعيدًا، وهو الأنسب للسياق.[7]

ومن القيم البلاغية لاستعارة اسم الفاعل "ذائق" خاصّة، للموت والعذاب، فيما ذكرنا، أنّ الذوق من أبلغ أنواع الإدراك والمباشرة، فحاسّته متميزة جدًا،[8] كما أنّ الوصف بذوق العذاب يقتضي أن يكون الإحساس به في كل حال كإحساس الذائق لا ينقص ولا يزول[9]؛ فيشعر المعذّب دائمًا شعور أوّل ما يُسلط عليه العذاب، فليس هناك مجال للتعود عليه.

---

[1] ينظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن: 297/4 وأبو حيان الأندلسي: البحر المحيط: 133/3.
[2] ينظر الفخر الرازي: التفسير الكبير: 104/6.
[3] ينظر: الألوسي البغدادي: روح المعاني: 10/21.
[4] ينظر: محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: 63/17.
[5] الصافات 38.
[6] ينظر: البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل 585.
[7] ينظر: محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير:109/23.
[8] ينظر: أبو حيان الأندلسي: تفسير البحر المحيط: 130/3.
[9] ينظر: الفخر الرازي: التفسير الكبير: 239/3.

ضائق

الضيق لغة نقيض السعة، "يقال ضاق الشيء يضيق ضِيقًا وضَيقًا، نقيض اتّسَعَ، والضِّيقُ المصدر، ومكان ضَيِّقٌ وضَيْقٌ وضَائِق".[1]

وقد ورد اسم الفاعل "ضائق" مرّة واحدة في القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾[2]، وفي هذه الآية خطابٌ للرسول عليه الصلاة والسلام والمعنى العام؛ "لعلّك يا محمد تترك تبليغ القرآن مخافة ردّهم له وتهاونهم به، وعارضٌ لك ضيقُ صدرٍ بتلاوته عليهم وتبليغه إليهم أثناء الدعوة والمحاجّة".[3]

وقد اشتملت هذه الآية على اسمي فاعل عاملين عمل فعلهما، هما "تاركٌ" و "ضائقٌ"، وتنوينهما يرشحهما للدلالة على الحال أو الاستقبال، ويجعلهما بعيدين عن دلالة الثبوت، فهما بمعنى الفعل المضارع "تترك" و "يضيق" دالاّن على الحدوث والتجدد، ونستأنس لهذه الدلالة بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾[4] ، فقد عبّر عن الضيق في حق الرسول ﷺ بالفعل المضارع؛ بنفس دلالة اسم الفاعل.

وإذا التفتنا إلى التركيب الإسنادي الذي وقع فيه اسما الفاعل "تارك" و"ضائق" نجد أنهما وقعَا خبرًا لـــ "لعّل" وهي هنا للتّرجي، وهو ما يقتضي توقع الترك أو الضيق، ولا يلزم من توقع شيء حُصُوله، وقد تكون "لعل" للتبعيد ويكون المعنى لا تترك ولا يضِقْ صدرك،[5] وقد تكون للاستفهام الإنكاري، ويكون الغرض منه تحريك همة المخاطب لدفع الفتور عنه، ومعناه تحذير الرسول من التأثر بعناد الكفار.[6]

ولقد أصبح المعنى أكثر دقة، بتعليق باءٍ سببية وضمير مجرور بها، باسم الفاعل ضائق وتقديم هذا المتعلق على فاعل اسم الفاعل وهو لفظ "صدرُك"، وسبب هذا التعليق والتقديم، هو الاهتمام بسبب صدور الضيق ودفعُ توهم عروض الضيق للرسول لسبب آخر غير قول المشركين المذكور في الآية، أو عروض الضيق له بدون سبب.[7]

وإذا تأملنا أثر الدلالة الإفرادية لاسم الفاعل في المعنى المراد، نجد أنّ الإخبار به والعدول عن الصفة المشبهة ضيّق، جاء ليفيد أنّ ضيق الرسول ﷺ من كلام المشركين

---

[1] ابن منظور: لسان العرب 208/10 مادة "ضيق".
[2] هود 12.
[3] الزمخشري: الكشاف: 209/2 وينظر: محمد بن يوسف أطفيش: تيسير التفسير:372/5.
[4] الحجر 97.
[5] ينظر: الألوسي البغدادي: روح المعاني: 18/12-19.
[6] ينظر: محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: 16/9.
[7] نفسه: 17/9.

ضيق عارض غير ثابت، فالرسول أفسح الناس صدرًا ولا يمكن أن يوصف بالضيق الدائم المستمر.[1]

ومجمل القول عن هذا الأسلوب الذي شكل اسم الفاعل محور قيمته البلاغية، أنه استبعد عن الرسول ﷺ وصف الضيق الثابت، بالعدول إلى صيغة اسم الفاعل الدالة على الحدوث، وتقييد الإخبار بها بما يفيد التوقع وهو "لعل"، كما سارع التركيب إلى ذكر وجود سبب للضيق، بتعليق الباء السببية ومجرورها باسم الفاعل وتقديمهما على فاعله أو موصوفه.

ظالم

الظلم لغة "وضع الشيء في غير موضعه تعديًّا، والظلم كذلك الميل عن القصد والعدل، يقال ظَلَمَه ظُلْمًا، فهو ظَالِمٌ وظَلُومٌ وظَلاَّمٌ"[2].

وقد ورد اسم الفاعل ظالم في أكثر من مئة موضع من القرآن الكريم، دلَّ في أكثرها على الوصف الثابت بالظلم، فكان صفة مشبهة معنًى.

وقد جاء معملا عمل فعله في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَاهُم الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِم قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾.[3]

ونزلت هذه الآية فيمن أسلم بدار الكفر ولم يهاجر إلى دار الإسلام، وقد وُصف هؤلاء بظلم النفس.[4]

وإذا نظرنا إلى اسم الفاعل "ظالم" في المستوى النحوي، نجده قد وقع حالاً من المتوفين، وتقدير المعنى: الذين تتوفاهم الملائكة وهم ظالموا أنفسهم، وإضافة اسم الفاعل هنا إلى مفعوله لفظية، إذ التقدير ظالمين أنفسَهم.[5] وبهذا فاسم الفاعل دالّ على زمن الحال باعتبار وقت التوفي.

والغرض البلاغي من تقييد اسم الفاعل بمفعول به، وهو لفظ أنفسهم، هو تأكيد اكتساب هؤلاء القاعدين الظلم بأنفسهم ورجوع عاقبته إليهم، وفيه استبعاد لإعذارهم، كما أنه أفاد الإشارة إلى أن توفيّ الملائكة إياهم ملابسٌ لغلظة وتعذيب.[6]

---

[1] ينظر أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم بحاشية التفسير الكبير للرازي: 553/4 وأبو زكرياء الأنصاري: فتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن 260.

[2] ابن منظور: لسان العرب: 373/12 مادة ظلم وينظر: أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة: 468/3.

[3] النساء 97.

[4] ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم 384.

[5] ينظر: أبو البقاء العكبري: التبيان في إعراب القرآن 384.

[6] ينظر: محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير:139/14.

وظلم النفس في هذه الآية كناية عن الشرك أو المعصية، ومن بلاغة هذه الكناية أنها تبيّن أن اكتساب الإنسان المعصية إنما يعود ضررُه عليه، وهو بالسيّئة كأنما يظلم نفسه إذ يعرضها للعقاب والهلاك.[1]

عابد

العبادة لغة الطاعة "يقال عَبَدَ اللهَ يَعْبُدُه عِبَادَةً فهو عَابِد أي مُتَأَلِّهٌ لِلّهِ طائع له، و التَّعَبُّد التَّنَسُّكُ و التَّذَلُّل"[2]

و قد ورد اسم الفاعل "عابد" اثنتي عشرة مرة في القرآن الكريم، وجاء معملا عمل فعله في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَ لاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَ لاَ أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ وَ لاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾[3] والخطاب في هذه السورة للرسول ﷺ وفيها أمر له أن يتبرأ من دين كفار قريش الذين بلغ بهم الجهل أن قالوا للرسول نعبد إلٰهك سنة وتعبد آلهتنا سنة، فنزلت السورة آمرة بالإخلاص.[4]

و لقد حدّد المفسرون الدلالات الزمنية لاسم الفاعل "عابد" في هذا السياق، أثناء شرحهم لأسرار التكرار في هذه السورة، على النحو التالي:[5] قوله ﴿لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ أي لا أفعل ذلك فيما أستقبله من زماني؛ ﴿وَ لاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ أي و لا أنتم تفعلونه فيما يستقبل، وهذا إخبار منه سبحانه عن أولئك العصبة أنهم لا يؤمنون.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾،أي و لا أنا متّصف فيما مضى من عمري إلى الآن بعبادة آلهتكم، " وَ لاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ" أي ولا كنتم أنتم فيما مضى متصفين بعبادة الله سبحانه. فقد أفاد هذا التنويع في استعمال اسم الفاعل، الإخبار عن أربعة أحوال متباينة ؛هي حاله ﷺ فيما مضى و فيما يستقبل، وحالهم فيما مضى وفيما يستقبل.

وقد جاء استعمال اسم الفاعل "عابد" في هذه الآية موافقا لدلالات و أغراض بلاغية خاصة، إذ لم يأت النفي في حق الكفار إلاّ به، و جاء النفي به و بالفعل في حق الرسول ﷺ.

---

[1] ينظر: الفخر الرازي: التفسير الكبير: 298/3، والملاحظ أنّ كل ما جاء من اسم الفاعل ظالم في القرآن معدّى إلى مفعول به مذكور، فتعديته كانت إلى لفظ النفس، وهو التركيب الكنائي الذي يفيد ما ذكرناه في هذه الآية.

[2] ابن منظور: لسان العرب: 272/3 مادة عبد.

[3] الكافرون: 1، 2، 3، 4، 5 .

[4] ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: 1622.

[5] ينظر: ابن خالوية: إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم 228-229 ومحمود بن حمزة الكرماني: أسرار التكرار في القرآن 256. وأحمد بن إبراهيم الغرناطي: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد و التعطيل في توجيه متشابه اللفظ من آي التنزيل 1150 و مجد الدين الفيروزأبادي: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: 548/1.

فالغرض من نفي الفعل ونفي اسم الفاعل إفادة"براءة الرسول من معبوديهم بكل وجه وفي كل وقت، ودل على أن هذه العبادة لغَير الله لا يقع فعلها من الرسول و ليست وصفا له"[1].

أما النفي في حق الكفار فإنما أتى باسم الفاعل دون الفعل"ليدل أن وصف العبودية لله منتف عنهم، فهم وإن كانوا يعبدون الله، فقد عبدوا غيره، فلا ينتفي عنهم الفعل لوقوعه منهم؛ وينتفي الوصف لأن من عبَد غير الله لم يكن ثابتا على عبادة الله موصوفا بها"[2]. ولقد أظهرت هذه السورة جليّا القيمة البلاغية لتلك المقابلة بين اسم الفاعل والفعل، وهي مقابلة بين الوصف الثابت و الفعل الحادث المتجدد.

عالم

العلم لغة نقيض الجهل "يقال عَلِمَ يَعْلَمُ عِلْمًافهو عَالِم، و إذا أريدت المبالغة في الصفة قيل عليم و عَلاَّم و عَلاَّمَة، و العالم و العَلاَّمُ و العليم من صفات الله تعالى"[3]

و قد ورد اسم الفاعل "عالم" ثمانية عشرة مرة في القرآن الكريم، و جاءت كل صيغه المفردة وصفا لله تعالى، مضافة إلى لفظ الغيب، و بهذا لا يكون لها من اسم الفاعل إلا صيغته، و هي صفات مشبهة معنى؛ دالة على كمال الاتصاف بالعلم بُلْهَ دوامه و ثبوتَه.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلْ لَهُ رَبِّي أَمَدًا عَالِمُ الغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾[4].

والمعنى العام للآيتين أن الرسول ﷺ لا يعلم عن وقت الساعة شيئا، فالله وحده العالم بالمغيبات، لا يطلع عليها أحدًا.[5]

وقد أضيف اسم الفاعل"عالم" في هذه الآية إلى مفعوله و هو لفظ الغيب، وهو مصدر مُعرّف تعريفَ جنس دال على كل ما غابَ و استتر من الأمور؛وأفادت هذه الإضافة معنى شمول علم الله بالغيب و إحاطته به.[6]

كما جاء تعريف المسند وهو اسم الفاعل "عالم" بالإضافة، وتعريف المسند إليه وهو المبتدأ المحذوف المقدر بـــ "هو"، مفيدًا القصر، أي الله هو عالم الغيب وحده، ولا يشاركه في هذه الصفة أحد.[7]

---

[1] ابن قيم الجوزية: بدائع الفوائد:137/1.
[2] نفسه : 137/1.
[3] ابن منظور: لسان العرب: 416/12-417 مادة علم.
[4] الجن 25-26.
[5] ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم 1530.
[6] ينظر: محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير:247/29.
[7] نفسه: 247/29.

وبهذا يتبين لنا أن اسم الفاعل قد شكل في هذه الآية لبنة أساسية في تركيبٍ أفاد علم الله بكل المغيبات ،علما ينفرد به عن خلقه.

فالق

الفلق لغة "شق الشيء و إبانة بعضه عن بعض، يقال فَلَقَهَ يَفْلُقُه فَلْقًا شَقَّهُ، وفَالِقُ الحَبِّ والنوى الّذي يَشُقُّ حَبَّ الطعَامِ ونوى التمر للإنبات وهو الله، والفَلْقُ الخَلْقُ، ومنه فالق الإصْبَاح أي خَالِقُه".[1]

وقد ورد اسم الفاعل فالق مرتين في القرآن الكريم، في آيتين متواليتين هما قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ فَالِقُ الْحَبِ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيّتِ وَمُخْرِجُ الميّتِ مِنَ الحَيِّ ذَلِكُمْ اللهُ فَأَنَّى تُوفَكُونَ، فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللّيْلَ سَكَنًا﴾.[2]

وفي الآيتين يخبر الله تعالى أنه فالق الحب والنوى، أي يشقه في التراب فتنبُتُ منه الزروع على اختلاف أصنافها، وهو سبحانه يفلق ظلام الليل عن غرَّة الإصباح، فيضيء الوجود ويستنير الأفق.[3]

وإذا غادرنا المعنى العام للآية وركّزنا النظر على اسم الفاعل فالق، نجد أنه يحتمل في التركيب الأول ﴿فَالِقُ الحَبِّ وَالنَّوَى﴾ دلالتين؛فهو إمّا وصف بمعنى أن الله فَلَقَ حَبَّ النباتات وبذورها ونوى التمر بشق مخلوق فيها يكون مبدأ انقسامها عند زرعها[4]، فيكون اسم الفاعل بمعنى المضيّ دالا على معنى الصفة المشبهة فهو فلق ثابت مستمر في الأزمنة المختلفة.

والدلالة الثانية المحتملة هي أن فالق بمعنى الفعل المضارع، والمعنى أن الله مُذ خلق الشجر لا يزال يفلق حبّات بذوره بالنبات[5]، فاسم الفاعل هنا دال على الحدوث والتجدد.

وما قلناه عن دلالات فالق الحبّ، يقال عن فالق الإصباح فهو إما فلق دال على مجرد وجود شق للإصباح على الصورة التي وجد عليها لأداء الوظيفة التي خلق لها؛أي أن اسم الفاعل بمعنى المضي، وإمّا أنه فَلَقٌ متجدد بِتجدد الصباح في كل يوم، واسم الفاعل هنا بمعنى الفعل المضارع.

وتبدو الدلالة على التجدد لاسم الفاعل أقرب إلى تصوير مشهد الحياة المتجددة، فليس الذي يُفْلق هو الصباح بل هو الإصباح وهو يتجدد كل يوم، ويتجدد كل يوم في كل مكان من

---

[1] ابن منظور: لسان العرب:10/309-310 مادة فلق وينظر:الراغب الأصبهاني: معجم مفردات الفاظ القرآن: 399.
[2] الأنعام 95-96.
[3] ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم:532.
[4] ينظر: البيضاوي: أنوار التنزيل و أسرار التأويل 210.
[5] ينظر: الزمخشري: الكشاف: 28/2.

الأرض، وليس الذي يُفْلق هو قشر الحب والنوى، بل هو الحب والنوى نفسه، فهو يُفلق ولا يزال يُفلق باستمرار وتجدد.[1]

وتتضح القيمة البلاغية لاسم الفاعل فالق أكثر، ونحن نجد فرقًا شاسعًا بين النظم الذي جاءت عليه الآية، وبين التعبير بالفعل مثلا فليس في "فَلَقَ الإصباح" إلا صبح واحد يطل على الحياة، يغيب ثم يظهر، ويظهر ثم يختفي، وهو هو لا يتغير وجهه ولا يتغير الزمان حوله".[2]

وكذلك نلاحظ أن اسم الفاعل "فالق" جاء مستعملا بالمعنى الحقيقي للفلق عندما أضيف للحب والنوى وهو مجاز في فلق الإصباح "فمعنى فلقه هو إخراجه من الظلمة".[3]

وهذه المزاوجة بين الحقيقة والمجاز هي من أحسن وسائل البيان لإيضاح المعنى[4]، إذ يخرج فيها المعنى المجازي متّصفاً بصفة حسية تكاد تلمس.

كاظم

تُفيد الدلالة الحسية لمادة "كظم" الغلقَ والسدَّ بإحكام،"يقال كَظَمَ الباب وكَظَمَ القِرْبَة إذا سَدَدْهُما بإحكام، ومن المجاز قَوْلُهم كَظَمَ الغَيْظَ يَكْظِمُه كَظْمًا بمعنى رَدَّهُ وحَبَسَه".[5]

وقد ورد من مشتقات مادة "كظم" في القرآن، اسم الفاعل "كاظم" والصفة المشبهة "كظيم" واسم المفعول "مكظوم".

وجاء اسم الفاعل "كاظم" معملا عمل فعله ناصبًا المفعول به، في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[6].

وهذه الآية مَسوقة لذكر صفات المُتّقين وهم أهل الجنّة، ومن هؤلاء الكاظمون الغيظ، وهم الممسكون ما في أنفسهم من الغيظ بالصبر، فلا يظهرون له أثرًا.[7]

والملاحظ أن مدح هؤلاء المؤمنين جاء في أوّل الآية بالفعل المضارع ينفقون، ثم عدل عنه إلى اسمي الفاعل "الكاظمين" و "العافين"، الغرض من هذا التبدّل هو إفادة التجدد والحدوث في الإنفاق، والدلالة على الاستمرار والثبوت في كظم الغيظ والعفو عن الناس.[8]

---

[1] ينظر: عبد الكريم الخطيب: الإعجاز في دراسات السابقين 215.
[2] عبد الكريم الخطيب: الإعجاز في دراسات السابقين : 215.
[3] جلال الدين السيوطي: معترك الأقران في إعجاز القرآن: 62/3.
[4] ينظر السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة 249.
[5] ابن منظور: لسان العرب: 519/12-520 مادة كظم وينظر الزمخشري: أساس البلاغة 390.
[6] آل عمران 134.
[7] ينظر: أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط: 58/3.
[8] ينظر: أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، بحاشية التفسير الكبير للرازي:396/2.

وبما أن ثبوت وصف كظم الغيظ والعفو عن الناس هو موقع المدح للمتقين، فإنّ اسمي الفاعل "الكاظمين" و "العافين" تقترب دلالتها أكثر من الصفة المشبهة، ولا يكاد يكون لهما من اسم الفاعل إلاّ صيغته اللّفظية.

وقد أوثر لفظ الكظم دون غيره، لقوّة دلالته على كتم الغمّ والغضب وردّهما إلى الجوف، فهو مستعارٌ من كظم القربة وغيرها مما يسدّ بإحكام.[1]

ولهذه الاستعارة قيمتها البلاغية في تجسيم الظاهرة النفسية، وإعطائها الصورة الحسيّة.

مانع

المنع لغة أن تحول بين الرجل والشيء الذي يريده، وهو خلاف الإعطاء، يقال مَنَعَه يَمْنَعُه مَنْعًا فهو مَانِعُه، ويقال في الحماية مكان منيع، ومَنَع فيه بمعنى أَحَاطَ ونَصَرَ وحَمَى.[2]

فالمنع إذًا يتراوح بين الدلالة على خلاف الإعطاء ،وبين الدلالة على الحماية والإحاطة والحصانة، وهما معنيان متقاربان.

وقد ورد في القرآن الكريم من مشتقات مادة "منع" اسم الفاعل واسم المفعول وصيغتا المبالغة فعول وفعّال.

وجاء اسم الفاعل "مانع" مشتقا من المنع الدال على الحماية الإحاطة في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا من أَهْلِ الكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِم لأَوَّلِ الحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللهِ﴾.[3]

وقد أخبرت هذه الآية عن نُصْرَةِ اللهِ رسولَه على اليهود، الّذين وثقوا في حصانة قلاعهم، فلم تغنِ عنهم من الله شيئًا.[4]

وبنظرة نحويّة، نجد أنّ اسم الفاعل "مانع" قد أضيف في هذه الآية إلى مفعوله وهو الضمير العائد على أهل الكتاب، ورفع فاعلاً له هو لفظ الحصون، ويجوز في هذا التركيب أن يُعرب اسم الفاعل خبرًا مقدّمًا، ويعرب لفظ الحصون مبتدأ مؤخّرًا.[5]

وقد انطلق الزمخشري من الوجه الثاني لإعراب هذا التركيب، فبيّن القيمة البلاغية لمجيء اسم الفاعل "مانع" بالنظم الذي في الآية، يقول: "فإن قلت: فأيّ فرقٍ بين قولك و"وظنُّوا أنَّ حصونهم تمنعهم" أو "مانعتهم"، وبين النظم الذي جاءت عليه؟ قلت: في تقديم المبتدأ دليل على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها إياهم، وفي تصيير ضميرهم اسمًا لـــ"أنّ"،

---

[1] ينظر: الفخر الرازي : التفسير الكبير:52/3.
[2] ابن منظور: اللسان: 278/8 مادة منع و ينظر أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة: 420/5.
[3] الحشر2.
[4] ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم 1460.
[5] ينظر: أبو البقاء العكبري: التبيان في إعراب القرآن:1215/2 وسميح عاطف الزين :الإعراب في القرآن الكريم:452.

وإسناد الجملة إليه، دليل على اعتقادهم في أنفسهم أنّهم في عزّة ومنعة لا يُبَالي معها بأحد يتعرَّضُ لهم أو يطمع في مُعَازّتهم، وليس ذلك في قولك وظنُّوا أنَّ حصونهم تمنعهم".[1]

وفي ضوء كلام الزمخشري النفيس هذا، يمكننا أن نتبيّن أن أسلوب الآية قد ارتقى في درجات من بلاغة النظم، فعدل عن الفعل المضارع "تمنعهم" إلى اسم الفاعل مانعتهم، للدلالة على وصف الحصون بالمنع وثباته فيها، في أذهان اليهود، ولو قيل تمنعهم لكان المعنى أنها تمنعهم في تلك المناسبة فقط، ثمّ قُدِّم المسند وأُخِّر المسند إليه، لتأكيد هذا الاعتقاد، وإفادة قصر المنع على الحصون، في اعتقاد اليهود وظنّهم، فلم يكن لهم شيء يتحصنون به غيرُهَا.

ناظر

تدور معاني مادة "نظر" حول تأمل الشيء ومعاينته، يقال نَظَرْتُ إلى الشيء أنظر إليه إذا عاينته، ويقال نَظَرْتُ الشيءَ بمعنى انتظرته وترقبت وَقْتَ مجيئه، وهذا المعنى راجع إلى المعنى الأصلي للنظر، فالمُنْتَظِر كأنه يَنْظُر إلى الوقت الذي يأتي فيه ما يَنْتَظِرُه.[2]

وقد جاء اسم الفاعل "ناظر" معملا عمل فعله في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾[3].

وفي هذه الآية نهي للمؤمنين أن يدخلوا بيوت الرسول ﷺ بدون إذن، كما نُهُوا عن ترقب إنى الطعام أو استواءه للتعرض للدخول.[4]

والملاحظ من خلال المعنى العام للآية أن اسم الفاعل "ناظر" مشتق من النظر بمعنى الانتظار والترقب، وليس من النظر بمعنى الرؤية.

وقد انتظم اسم الفاعل ناظر ومفعوله وهو لفظ إناه في تركيب كنائي، كُنِّي به عن مبادرة الحضور قبل إبّان الأكل والتعرض للدعوة إليه، والغرض من هذه الكناية تشويه وذم السبق بالحضور نهمًا وجشعًا.[5]

فَتَرَكُّب اسم الفاعل ومفعول قد أفاد في هذا السياق التعبير عن خلق ذميم وفعل محرج؛ هو انتظار أوان الطعام للدخول إلى بيت النبي، وذلك في كناية بديعة.

---

[1] الزمخشري: الكشاف: 80/4 و ينظر: البيضاوي: أنوار التنزيل و أسرار التأويل 688.
[2] أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة: 444/5 مادة نظر.
[3] الأحزاب 53.
[4] ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم 1182.
[5] ينظر: محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير:22/82-83.

ناكس

تدور مادة "نكس" حول معاني القلب والخفض، يقال "نَكَسَ الشيءَ إذ قَلَبَهُ على رأسه والنَّكْسُ السّهم الذي ينكسر فيجعل أعلاه أسفله، والمنكس من الخيل الذي إذا جرى لم يَسْمُ برأسه ولا هاديه من ضعفه"[1]

وقد ورد اسم الفاعل "ناكس" المشتق من مادة نكس في موضع واحد في القرآن الكريم، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾.[2]

وتضمنت هذه الآية إخبارًا عن حال المشركين يوم القيامة، فهم يومئذ حقيرون أذلاء ناكسوا رؤوسهم من الحياء والخزي.[3]

وواضح من المعنى العام للآية أنّ موقف المجرمين عند الله ونكسهم رؤوسهم أمرٌ مستقبليّ سيحدث لهم يوم القيامة.

ولكن أسلوب الآية نزّل هذا الأمر المستقبلي منزلة الماضي، واستخدم ظرف الزمان "إذ" المختص بالماضي[4]، وجِيء باسم الفاعل المضاف إلى مفعوله إضافة حقيقية،وهو دالّ أيضا على المضيّ وعلى معنى الصفة المشبهة.

ويبدو أن الغرض من هذا الأسلوب التعبير عن حال الكفار كأنّها وقعت وكأنّ خزيهم قد تحقق، وفي هذا مبالغة في تحقق ما وُعدوا به، حتى جُعلوا موصوفين بنكس الرؤوس.

وقد جاء في القرآن الكريم وصف آخر لحال المجرمين يوم القيامة بنقيض النكس، وذلك باسم الفاعل "مقنع" في قوله تعالى: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾[5]، فمعنى مقنعي رؤوسهم هو رافعيها[6] وهو ضد نكسها.

ونكتة مجيء اسم الفاعل "مقنع" هنا هي تمثيل حال الكافرين في ذلك اليوم بأبلغ تمثيل وأشده وقعًا في نفس السامع، ذلك أنّ المعتاد فيمن يشاهد البلاء أن يطرق رأسه عنه لكي يراه، فبيّن تعالى أن حالهم بخلاف هذا المعتاد وانّهم يرفعون رؤوسهم[7].

ولقد وصفت الآيتان السابقتان موقفين من مواقف الكفار يوم القيامة بوصفين متضادين، هما اسما الفاعل "ناكس" و"مقنع"، وقد حقق كل واحد منهما الإئتلاف مع سياقه،

---

[1] أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة: 444/5 مادة نكس
[2] السجدة 12
[3] ينظر: البيضاوي: أنوار التنزيل و أسرار التأويل 550.
[4] ينظر: سيبويه: الكتاب: 60/3.
[5] إبراهيم 43.
[6] ينظر: البيضاوي: أنوار التنزيل و أسرار التأويل351.
[7] ينظر: الفخر الرازي: التفسير الكبير:248/5.

والمناسبة لغرضه؛ فصوّر اسم الفاعل "ناكس" موقف الوقوف أمام الله بذلٍّ وانكسار، وصوّر اسم الفاعل "مقنع" موقف رفعٍ الرأس لرؤية أهوال القيامة.

ثانيا: أسماء الفاعلين من غير الثلاثي:

بالإضافة إلى أسماء الفاعلين المشتقة من الثلاثي، فقد اشتملت لغة القرآن الكريم على أسماء فاعلين من غير الثلاثي، أكثرها مشتق من الرباعي المزيد بهمزة التعدية، وهو وزن "أفعل".

ولاشكّ أنّ أسماء الفاعلين هاته، كسابقتها، وككل لفظ في القرآن الكريم، لها قيمتها البلاغية في التراكيب التي وردت فيها، وفيما يلي النماذج المختارة للدراسة مرتبة ترتيبا ألفبائيًا حسب موادها اللغوية.

مبصر

تأتي مادة "بصر" في اللغة بمعنيين متقاربين، "أحدهما العلم بالشيء يقال هو بصير به، ومنه اشتقت البَصِيرَة، والثاني الرُّؤية، يقال أَبْصَرْتُه وبَصُرْتُ بِهِ إِذَا رَأَيْتَه، والمعنى الجَامِع لكليهما هو الوضوح"[1].

وقد ورد اسم الفاعل "مبصر" في سبعة مواضع من القرآن الكريم، ثلاث منها جاءت وصفًا للنهار، ومنها قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾[2]، وتبيّن هذه الآية كيف أنّ النهار وقتٌ ينتشر فيه النور فيناسب المشاهدة، وذلك أنّ الناس يحتاجون في حركاتهم وأعمالهم إلى البصر، ووصف النهار بمبصر مجاز عقلي للمبالغة في حصول الإبصار فيه، حتى جُعِلَ هو المبصر، والمراد مبصرًا فيه الناس.[3]

وتظهر القيمة البلاغية لهذا المجاز إذا قارنا بين لفظ الآية وهو "مبصرا" ولفظ "لتبصروا فيه"، وهو المتوقع في مقابلة أولها، الذي وصف الليل بوصف "لتسكنوا فيه" والفرق بينهما هو فرق بين الظرف المجرّد والظرف الذي هو سبب[4]؛ فالنهار ليس ظرفا زمنيا للإبصار فحسب، بل هو سبب للإبصار لما فيه من النور.

وجاء اسم الفاعل "مبصر" وصفا محتملا للمعنيين الحقيقي والمجازي، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾[5].

---

[1] أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة: 1/253-254.
[2] يونس 67.
[3] ينظر: محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: 9/226.
[4] ينظر: البيضاوي: أنوار التنزيل و أسرار التأويل 296.
[5] الإسراء 12.

فآية النهار هنا هي الشمس، معنى كونها مبصرة هو أن ضوءها سبب إبصار الناس الأشياء، فاسم الفاعل مشتق من أبصر المتعدي، أي جعل غيره باصرًا.[1]

كما يُحتمل المعنى المجازي هنا أيضا، فيكون معنى مبصرة أنها مضيئة، وذلك لأنّ الإضاءة سبب لحصول الإبصار، فأطلق اسم الإبصار على الإضاءة، إطلاقا لاسم المسبَّب على السبب.[2]

وواضح من هذين المثالين كيف أنّ الوصف باسم الفاعل "مبصر" قد أكسب التركيب دقّة في المعنى، وألبس الأسلوب حلّة البيان.

محيط

تدل الإحاطة على معنى إطافة شيء بشيء، فيقال حَاطَهُ يَحُوطُه حَوْطًا، ومن ذلك الحائط الذي يطيف بالمكان[3].

وتأتي الإحاطة في الاستعمال القرآني بوجهين[4]:

أحدهما: في الأجسام، نحو أحطتُ بمكان كذا، أو تستعمل في الحفظ، نحو ﴿وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شيءٍ مُحيطًا﴾[5] أي حافظا لكل شيء.

الثاني: في العلم، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ بِمَا يَعْلَمُونَ مُحيطٌ﴾[6]، والإحاطة بالشيء علمًا هي أن تعلم وجوده وجنسه وكيفيته وغرضه المقصود به وبإيجاده وما يكون به ومنه، وليس ذلك إلاّ لله تعالى.

والملاحظ أن استعمال الإحاطة في الوجه الأوّل استعمال حقيقيّ، وهي في الوجه الثاني مجاز.

وقد ورد اسم الفاعل "محيط" أحد عشر مرّة في القرآن الكريم، أُجري في تسع منها وصفًا لله تعالى، وجاء خبرًا للفظ جهنَّم في الموضعين الباقيين.

فمن الأول قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَ اللهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾[7]. وهذه الآية مثل ضربه الله تعالى لبيان حال

---

[1] ينظر: محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير:124/15.
[2] ينظر: الفخر الرازي: التفسير الكبير: 377/5.
[3] أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة : 120/2.
[4] الراغب الأصبهاني: معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم: 135-136.
[5] النساء 126.
[6] آل عمران 120.
[7] البقرة 19.

المنافقين، فهم في ظلام الشك والنفاق، والبرقُ مثلٌ لما يلمح في قلوبهم أحيانا من نور الإيمان،وحذرهم لا يجدي عنهم، لأن الله محيط بهم بقدرته وهم تحت مشيئته[1].

وإحاطة الله بالكافرين، مجاز في هذه الآية، والمعنى أنّهم لا يفوتونه كما لا يفوت المُحاط المحيطَ حقيقة[2].

وقد جاء اسم الفاعل "محيط" ومعموله المجرور بالباء، في تركيب شَبَّه شمول قدرة الله تعالى الكفّارَ، بإحاطة المحيط بما أحاط به، ووجه الشبه هو امتناع الفوات، واللفظ المستعار هنا هو اسم الفاعل محيط، وبما أنّه اسم مشتقّ فالاستعارة تبعيّة بالإضافة إلى كونها مكنيّة.[3]

ويمكننا أن نخلص إلى القول، أنّ اسم الفاعل "محيط" في هذه الآية، شكل محورًا لأسلوب بياني نقل الحقيقة إلى المجاز ليُبلغ في تطويق المنافقين، و ذلك بصورة ذهنية جديدة تخيّل لنا الكفّار و المنافقين في حائط من قدرة الله و آياته و براهينه على الحقّ.

ولقد استخدمت لغة القرآن اسم الفاعل "محيط" في تعبير مجازي آخر، و ذلك في قوله تعالى:﴿وَ إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[4]. وتصف هذه الآية عداوة المنافقين للمؤمنين، و ترشد المؤمنين إلى الصبر مع التوكل على الله الذي هو محيط بأعدائهم فيعاقبهم على أعمالهم.[5]

وقد انتظم اسم الفاعل محيط في أسلوب شبّه القدرة على الأشياء و العلم بها بالإحاطة بالشيء من جميع جهاته، و هو تشبيه للمعقول بالمحسوس، و المعنى المراد؛ محيط جزاؤه.[6]

وقُدّم معمول اسم الفاعل في هذه الآية على عامله، فقيل بما يعملون محيط ولم يُقل محيط بما يعملون؛ لأن من سنن اللغة العربية تقديم الأهمّ بتقديم اللفظ الدالّ على المعنى المراد الاعتناء بشأنه، وليس المقصود في هذه الآية بيان كون الله عالمًا، بل بيان أنّ جميع أعمالهم معلومةٌ لله تعالى وهو مجازيهم عليها[7].

وكما ذكرنا سابقا، فقد جاء اسم الفاعل "محيط" مسندا إلى لفظ جهنم، ومثاله في قوله تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالكَافِرِينَ﴾[8]والمعنى العام للآية أن جهنّم ستكون محيطةً بالكافرين، جامعة لهم يوم القيامة، وقد عبّر عن هذا المعنى باسم الفاعل الدال على

---

[1] ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم:49.
[2] ينظر: الزمخشري: الكشاف: 218/1 والبيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل 16.
[3] ينظر: السيد الشريف الجرجاني: حاشية على كشاف الزمخشري:219/1.
[4] آل عمران 120.
[5] ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم 283.
[6] ينظر: أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط: 43/3.
[7] ينظر: الفخر الرازي: التفسير الكبير: 40/3.
[8] العنكبوت 54.

الحال لإفادة تحقق ذلك كأنه واقع مشاهد، أو لأنّ المعاصي التي توجبها محيطة بهم لا محالة[1].

وبالإضافة إلى الدلالة على زمن الحال المفيد لتحقق الوقوع، يحتمل اسم الفاعل الدلالة على الاستقبال، ويكون المعنى أنَّ جهنّم ستحيط بالكافرين في الآخرة[2]، وبهذا الاعتبار الثاني للدلالة الزمنية لاسم الفاعل، يتغير الغرض من إفادة حصول الإحاطة وتحققها، إلى الوعيد بها.

وقد أفادت الإحاطة في هذه الآية معناها الحقيقي وهو التطويق والجمع.

مخرج

إضافةً إلى اسم الفاعل "خارج" المشتق من الثلاثي، والذي سبق الحديث عنه[3]، نجد في لغة التنزيل اسم الفاعل "مخرج" المشتق من أخرج المزيد بهمزة التعدية، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِءُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾[4].والمعنى العامّ للآية هو أنّ الله سينزّل على رسوله ما يفضح به المنافقين ويبيّن أمرهم[5].

وقد دلّ اسم الفاعل "مخرج" في سياق الآية على الاستقبال الزماني، ورشَّحَهُ لهذه الدلالة قرينتان إحداهما نحويّة هي التنوين، والثانية معنوية تُفهم من المعنى العامّ للآية.

وقد استعمل اسم الفاعل "مخرج" بمعنى "مظهر" مجازًا، ذلك أنّ الشيء إذا حَصَلَ بعد عدمه فكأنّ فاعله أخرجه من العدم إلى الوجود[6].

وإذا التفتنا إلى التركيب الذي جاء فيه اسم الفاعل "مخرج"، نجد أنّ إسناده قد قُيّد بمفعول به، هو اسم الموصول "ما"؛ وقد عدل إلى اسم الموصول هذا دون أن يقال "مخرج سورةً تنبئكم بما في قلوبكم"؛ لأن الأهمّ من تهديد المنافقين هو إظهار سرائرهم لا إنزال سورة، فذكر اسم الموصول وصلته وافٍ بالأمرين، إظهار سرائرهم وكونه في سورة تنزل[7].

---

[1] ينظر: الزمخشري: الكشاف: 210/3 ومحمد رشيد رضا: تفسير المنار:478/10.
[2] ينظر: الألوسي البغدادي: روح المعاني: 9/21.
[3] ينظر الصفحة 74 من هذه المذكرة.
[4] التوبة 64.
[5] ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم 674.
[6] ينظر: الفخر الرازي: التفسير الكبير: 468/4.
[7] ينظر: محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير:249/10.

ويتّضح لنا الآن أنّ دلالة اسم الفاعل في هذه الآية على الاستقبال أفادت التهديد والوعيد، فأخوف ما يخاف المنافقون إظهار سرائرهم في زمن آتٍ غير محدّد، كما أبلغ تقييد اسم الفاعل بمفعول هو اسم الموصول "ما" في النكايةِ بالمنافقين بإيجاز بديع.

مخلف

تأتي مشتقات مادة خلف لثلاث معان رئيسة؛ أولاها أن يجيء شيء بعد شيء يقوم مَقامَه، ومن هذا قولهم اخْتَلَفَ الأَمْران أي لم يَتّفِقَا وكل ما لم يَتَساوَ فقد اخْتَلَفَ، كأَنَّ أَحَدَ الشيئين خَلَفَ الآخَرَ، والمعنى الثاني هو التغيير، ومنه إخْلافُ الوَعْدِ وهو أن يقولَ المَرْءُ شيئا ولا يفعله،وهو في المستقبل كالكذب في الماضي، والمعنى الثالث هو الظرف خَلْفَ خِلاَف قُدّام[1].

وقد جاء اسم الفاعل في القرآن مشتقا من" أخلف" المتعدي إلى مفعولين، ومثاله في قوله تعالى: ﴿فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾.[2]

وقد تضمنت هذه الآية تثبيتا للرسول ﷺ على ما هو عليه من الثقة بالله سبحانه والتيقن بإنجاز وعده تعالى بتعذيب الظالمين ونصرة الرسل[3].

وإذا نظرنا إلى اسم الفاعل من وجهة نظر نحوية نجد أنه عمل عمل فعله، فأضيف إلى المفعول الثاني وهو لفظ الوعد، ونصب الأول وهو لفظ الرسل، وأصل التركيب مخلف رُسُلِه وَعْدَهُ[4].

وقد شرح الزمخشري نكتة تقديم المفعول الثاني على الأول بالقول: "قُدِّم الوعد لِيُعْلم أنه لا يخلف الوعد أصلا، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُخْلِفُ الميعَادَ﴾[5]، ثم قال "رُسَلَهُ" ليؤْذِنَ أنّه إذا لم يخلف وَعْدَهُ أحدًا، وليس من شأنه إخلاف المواعيد، فكيف يخلف رُسُلَه الذين هم خِيرَتُه وصَفْوَتُه"[6].

كما أن من الوجوه البلاغية لهذا التقديم العناية بأمر الوعد؛فهو وعد ورد في سياق الإنذار والتهديد للظالمين، فالمهم ذكر هذا الوعيد، أما كونه على ألسنة الرسل فأمر لا يقف التخويف عليه، ولو جاء الوعيد على غير ألسنة الرسل لكان حريًّا بأن يُخاف يُتقى، وهذا سبب تأخير لفظ الرسل[7].

---

[1] أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة: 208/2 وينظر ابن منظور: لسان العرب: 82/9-83 مادة خلف
[2] إبراهيم 47.
[3] ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم 796 و الألوسي البغدادي: روح المعاني: 252/13.
[4] ينظر: ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن 193 وأبو البقاء العكبري: التّبيان في إعراب القرآن 774/2.
[5] آل عمران9.
[6] الزمخشري: الكشاف: 384/2 وينظر جلال الدين السيوطي: معترك الأقران في إعجاز القرآن: 505/2.
[7] ينظر: العلامة أحمد بن المنير الاسكندري:الإنصاف في ما تضمنه الكشاف من الإعتزال بحاشية كشاف الزمخشري: 384/2.

وبالإضافة إلى هذه القيم البلاغية التي اكتسبها التركيب بتقديم أحد مفعولي اسم الفاعل فقد أفادت الجملة كلها دوام انتقاء إخلاف الله وعده، ذلك أن النهي في هذه الآية خرج عن دلالته الأصلية وأفاد الدوام[1]، بالإضافة إلى الاستمرار المستفاد من اسم الفاعل "مخلف" الذي اكتسب دلالة الصفة المشبهة.

مرسل

الإرسال لغة التوجيه، "يقال أرسل إليه بمعنى وجَّه وبعث، وأرسل الشيء كذلك أطلقه وأهمله، وإرسال الأنبياء بعثتهم والاسم الرسالة والرسول"[2].

وقد ورد اسم الفاعل مرسل في بضع مواضع من القرآن الكريم، بصيغ مختلفة، منها صيغة الجمع في قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَ اصْطَبِرْ﴾[3]، و الخطاب في هذه الآية لصالح عليه السلام والمعنى أنّ الله مُخْرِجُ ناقةً و باعثها لقومك، فانتظر ما يصنع المنكرون.[4]

وقد دل اسم الفاعل "مرسل" على زمن المستقبل؛إذ لم تكن الناقة مُرْسَلَةً حال وقوع هذا الخطاب، وأفاد تحقق هذا الإرسال.

ولم يستعمل الإرسال في هذه الآية بمعناه الحقيقي، بل فيه استعارة لجعل الناقة آية لصالح، وقد عُرف خلق خوارق العادات لتأييد الرسل،باسم الإرسال في لغة القرآن الكريم، فقد شبهت الناقة بشاهد أرسله الله لتأييد رسوله، وفي لفظ الإرسال إشارة إلى كون هذه الناقة معجزة.[5]

ويحتمل أن يكون الإرسال هنا كناية لإمكانية إيراد المعنى الحقيقي، ويكون كناية عن الإخراج والمعنى إنّا مخرجوا الناقة التي سألوها.[6]

و سواء أكان في تركيب اسم الفاعل "مرسل" و معموله استعارة أم كناية، فإنه تركيب رفع الناقة من الحيوان البسيط إلى الآية المعجزة التي تستحق أن توصف بالإرسال.

مسمع

الدلالة الحسية لمادة سَمِع تفيد إيناس الصوت بالأُذُن، يقال سَمِعَ سَمْعًا و سَمَاعًاورَجُلٌ سَمَّاعٌ كثير الاستماع، و يُعدّي الفعل سَمِعَ بالهمزة فيقال أَسْمَعْتُ غيري فأنا مُسْمِع.[7]

---

[1] ينظر: السيد أحمد االهاشمي: جواهر البلاغة 76.
[2] ابن منظور: لسان العرب: 283/11 مادة رسل
[3] القمر 27.
[4] ينظر: البيضاوي: أنوار التنزيل و أسرار التأويل 673.
[5] ينظر: محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير:199/27.
[6] ينظر: الألوسي البغدادي: روح المعاني: 89/27.
[7] ابن منظور: لسان العرب: 162/8-163 مادة سمع وينظر أحمد بن فارس: المقاييس: 102/3.

وقد ورد في القرآن الكريم من مشتقات مادة السمع اسم الفاعل و صيغة المبالغة منه، فمثال اسم الفاعل قوله تعالى: ﴿وَ مَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَ لاَ الأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَ مَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي القُبُورِ﴾.[1]

والمعنى العام للآية أن الله يهدي من يشاء إلى سماع الحجة و قبولها، أما المشركون فهم كالأموات في القبور، لا تستطيع يا محمد هدا يتهم.[2]

وقد أُكِدَ نفي إسماع من لا تنفع فيه النذر، بإيقاع اسم الفاعل خبرا لـــ"ما" الحجازية النافية، و جره بالباء الزائدة المؤكدة للنفي.

واُستُعير الأموات في هذه الآية للذين لم تنفع فيهم النذر و أصروا على الكفر، بجامع عدم السمع فيهما، ثم جاءت جملة "و ما أنت بمسمع من في القبور" ترشيحًا لهذه الاستعارة، مفيدة تحقيق المبالغة في إقناط الرسول ﷺ من إيمانهم.[3]

معجز

العجز لغة الضعف ،"يقال عَجَزَ عن الأَمْرِ يَعْجَزُ عَجْزًا فهو عَاجِزٌ أي ضعيف، ويقال أَعْجَزَنِي فلان إذا عَجَزْتَ عن طلبه و إدراكه".[4]

وقد ورد في القرآن الكريم اسم الفاعل معجز المشتق من أعجز، و اسم الفاعل مُعَاجز من عَاجَزَ، و مثال الأول في قوله تعالى: ﴿وَ مَا أَنْتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَ لاَ فِي السَّمَاءِ وَ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لاَ نَصِيرٍ﴾.[5]

والمعنى العام للآية أن الله لا يعجزه أحد من أهل سمواته وأرضه فهو القاهر فوق عباده.[6] و قد استعمل اسم الفاعل معجز مجازا في معنى الإفلات، فيصير المعنى في الآية؛ ﴿وما أنتم بمعجزيّ﴾ أي بمفلتين من وعيدي أو بخارجين عن قدرتي.[7]

والملاحظ أن مفعول اسم الفاعل محذوف؛ إذ تقدير الكلام؛ وما أنتم بمعجزين ربّكم عن إدراككم.[8]

ويبدو أن سبب حذفه هو دلالة القرائن المقالية و الحالية عليه، كما أنه هذا الحذف قد وَسّع المجال الدلالي لاسم الفاعل"معجز" إذ يحتمل أن يكون ضمّن معنى "مفلت" اللازم، أو هو

---

[1] فاطر 22.
[2] ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم 1215.
[3] ينظر: أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم بحاشية التفسير الكبير للرازي: 397/7.
[4] أحمد بن فارس: المقاييس: 232/4.
[5] العنكبوت : 22.
[6] ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم 1116.
[7] ينظر: محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير و التنوير: 89/8.
[8] ينظر: البيضاوي: أنوار التنزيل و أسرار التأويل 533.

على أصل دلالته، كما أنه وَسَّع المعنى المراد من نفي القدرة على الإعجاز، إذ يمكن أن يكون المقصود؛ وما أنتم بمعجزين قدرة الله أو سُننه في الكون، و ما أنتم بمعجزين ملائكته أو جنوده إذا أراد تسليطهم عليكم.[1]

و بهذا يكون حذف المفعول قد جعل عجز البشر مطلقا، إن أرادهم الله بشيء. و قد جاء بعد النفي، اسم الفاعل، فلم يُقَلْ لا تعجزون بصيغة الفعل، لأن "نفي الفعل لا يدل على نفي الصلاحية، و المعنى المراد في الآية، ليس من صفاتكم أيُّ قدرة على الإعجاز في كل وقت، و ليس من شأنكم أن تستطيعوا الإعجاز".[2]

فمجيء الجملة الاسمية باستخدام اسم الفاعل يفيد الثبات والدوام في نسبة المسند إلى المسند إليه، وهي هنا نسبة نفيه عن المسند إليه، فالخصوصيات التي تعتبر في حالة الإثبات تعتبر في حالة النفي، إذ النفي إنما هو كيفية للنسبة أو تقييد للإسناد.

مقيم

تدور معاني مادة "قوم" الحسيّة حول النهوض والاعتدال، يُقَال قَامَ أَيَّ نَهَضَ، أمّا الدلالات المعنوية لمادة "قوم" فتفيد التَّدْبِيرَ والحِفْظَ يقال قام بالأمر إذا تَوَلَّاهُ بِعَزِيمَةٍ، وَقَامَ على أَهْلِه رَعَاهُم.[3]

وقد ورد من بين مشتقات مادة "قوم" في القرآن الكريم، اسم الفاعل "مقيم" من الفعل أقام المتعدي، وصيغة المبالغة "قوّام".

فمثال اسم الفاعل في قوله تعالى: ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ مِنْهُمْ وَالمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالمُؤْمِنُونَ بِاللهِ واليَوْمِ الآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[4].

وفي هذه الآية مَدَحَ الله المؤمنين المتّصفين بصفات العلم والعمل، ومن بين هذه الصفات جاء اسم الفاعل "المقيمين" عاملا عمل فعله ناصبًا لمفعوله به هو لفظ الصلاة.[5]

ومما يلاحظ على اسم الفاعل "المقيمين" أنه جاء منصوبا وسط مجموعة من المرفوعات،ويذكر النحاة أن نصبه في هذا الموقع إنما هو نصب على الاختصاص أو المدح على تقدير أعني[6].

ويبدو أن انفراد اسم الفاعل "المقيمين" بإعراب مميز قد اكسبه قيمة بلاغية، ذاك أنّ تغيير الإعراب في كلمة من بين أمثالها "ينبه الذهن إلى التأمل، ويهدي الفكر إلى استخراج

---

[1] ينظر: أحمد محمد قاسم: من الظواهر النحوية في القرآن الكريم 139، مقال بمجلة المنهل السعودية عدد 491- 1413هـ.
[2] الفخر الرازي: التفسير الكبير: 480/6.
[3] أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة:43/5.
[4] النساء 162.
[5] ينظر: سميح عاطف الزين: الإعراب القرآن الكريم: 409.
[6] ينظر: أبو البقاء العكبري: التبيان في إعراب القرآن:407/1.

مزيتها، وهو من أركان البلاغة ونظيره في النطق أن يُغير المتكلم جرس صوته وكيفية أدائه للكلمة التي يريد تنبيه المخاطب لها"[1].

واعتمادا على ما سبق يمكننا القول أن الصلاة لما كانت عماد الدين وبرهان الرسوخ في الإيمان، مُدح الذين يؤدونها على وجه الكمال باسم الفاعل، الذي اكتسب معنى الثبوت من السياق فصار بمعنى الصفة المشبهة، كما مُيِّز إعرابه عن باقي الكلمات في سياقه للتنبيه على تميز المتصفين به.

ملاقٍ

اللقاء لغة مقابلة الشيء ومصادفته معًا، يقال لقيه يلقاه لقاءًا، ويقال ذلك في الإدراك بالحس وبالبصر وبالبصيرة، وملاقاه الله عز وجل عبارة القيامة وعن المصير إليه.[2]

ولم يرد في القرآن الكريم اسم الفاعل المشتق من الفعل "لقي" اللازم، وجاء المشتق من "لاقي" المزيد في سبعة مواضع، إحداها قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[3]، وقد جاء الكلام في الآية على لسان العَالِمِينَ بأن وعد الله حق من جنود طالوت، مشجعين من كان معهم من المؤمنين على القتال.[4]

ومن أوصاف هؤلاء التيقن من ملاقاة الله، وهي ملاقاة ثوابه والحشر إليه، والنكتة في استعمال الظن، المبالغة في إيهام أن من ظن ذلك لا يشق عليه ما تقدم ذكره من قتال، فكيف من تيقنه، وقد جعل خبر "إن" اسما، وهو اسم الفاعل "ملاقوا"، والغرض من هذا الأسلوب الدلالة على تحقق اللقاء والرجوع وتقررهما عندهم.[5]

ومن الوجوه البلاغية لاسم الفاعل "ملاقو" المضاف إلى مفعوله، أنه جاء جامعًا لغرضين، إذ أتى وصفا لبعض من جنود طالوت المؤمنين تشريفا لهم، وأفاد في نفس الوقت أن هذا الوصف هو سبب إقدامهم وشجاعتهم، فمن تيقن لقاء الله هان عليه الموت[6].

فاستخدام اسم الفاعل "ملاق" وإضافته إلى لفظ الجلالة من بديع إيجاز القرآن الذي أخْبَرَ عن هؤلاء القوم بوصف لإفادة أنه السبب في الفعل الذي سيق الكلام لتقريره.

---

[1] محمد رشيد رضا: تفسير المنار 64/6.
[2] الراغب الأصبهاني: معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم 473.
[3] البقرة249.
[4] ينظر ابن كثير: تفسير القرآن العظيم 218.
[5] ينظر الألوسي البغدادي: روح المعاني: 249/1.
[6] ينظر محمد رشيد رضا: تفسير المنار: 488/2.

منزل

الدلالة الحسية لمادة "نزل" تفيد هبوط الشيء أو وقوعه، يقال نزل نزولا إذا هبط من علو إلى أسفل[1].

وقد اشتملت لغة القرآن الكريم على اسم الفاعل "منزل" المشتق من "أنزل" واسم الفاعل "مُنَزِّلُ" المشتق من نزّل، ومثال هذا الأخير في قوله تعالى: ﴿قَالَ اللهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لاَ أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ العَالَمِينَ﴾[2].

وقد تضمنت الآية جواب الله تعالى للحوار يبين الذين طلبوا من عيسى عليه السلام أن يدعوا الله لهم بإنزال مائدة من السماء آية لهم[3].

وجاءت هذه الإجابة باسم الفاعل منزّل المشتق من نزّل وفيه دلالة على التكثير، مع أنهم دعوا عيسى عليه السلام بصيغة الإفعال، والغرض من هذا إظهار كمال اللطف والإحسان من الله سبحانه وتعالى.[4]

كما أتت جملة هذا الجواب مصدّرةً بحرف التوكيد "إن" وجُعل خبره اسم فاعل، وذلك بغرض تأكيد تحقيق الوعد، وإيذانا بأنه تعالى منجز لهذا الإنزال لا محالة من غير صارف، كما أفاد اسم الفاعل في هذا السياق الاستمرار، فقد أُنزلت المائدة مرات كثيرة[5].

والذي يمكن أن نخلص إليه من خلال ما سبق، أن اسم الفاعل قد أفاد في سياق الآية تكثير الإنزال وتقرير الوعد بوقوعه، ليكون آية ظاهرة يستحق من لم يؤمن بعدها العقاب الأشدّ.

مهلك

الدلالة الحسية لمادة "هلك" تفيد الكسر والسقوط والموت، يقال هَلَكَ يَهْلَك هَلاَكًا، وهلَكًا، مات، والاسم "هالك"، وأَهْلَكَهُ غَيْرُه قَضَى عليه وأَمَاتَهُ[6].

وقد اشتملت لغة القرآن الكريم على اسم الفاعل "هالك" المشتق من اللازم "هلك" واسم الفاعل "مهلك" المشتق من المتعدي أهلك، ومثال هذا الأخير في قوله تعالى: ﴿وما كان رَبُّكَ مُهْلِكَ القُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِم آيَاتِنَا وَ مَا كُنَّا مُهْلِكِي القُرَى إِلاَّ وَ أَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾[7].

---

[1] أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة: 302/5.
[2] المائدة 115.
[3] ينظر: البيضاوي: أنوار التنزيل و أسرار التأويل 196.
[4] ينظر : أبو السعود : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم بحاشية التفسير الكبير للرازي:263/2.
[5] نفسه : 263/2.
[6] ابن منظور: لسان العرب:503/10 مادة هلك وينظر أحمد بن فارس: المقاييس: 62/6.
[7] القصص 59.

وقد تضمنت هذه الآية إخبارًا عن عدل الله تعالى وأنه لا يهلك أحد ظالما له، وإنما يهلك من أهلك بعد قيام الحجة عليهم.[1]

وقد ورد في الآية اسما فاعل أضيفا إلى مفعولها، و هو لفظ "القرى" لكليهما. ولنتبين بعض قيمهما البلاغية في هذا السياق، يحسن بنا أن نذكر سياقا قرآنيا، مشابها لهذه الآية، وقد ورد فيه نفي الإهلاك بلفظ الفعل المضارع، وهو قوله تعالى:﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾[2].

فالغرض من مجيء نفي الإهلاك بالفعل هنا، هو التعبير عن معنى التكرر، فقد تكرر الفساد وعمّ كل زمان، فتكرر عليهم الجزاء والأخذ، ولم يكن لاسم الفاعل أن يعطي هذا المعنى، واستخدامه في الآية الأولى قُصد به ذكر الاتصاف بعدم الإهلاك ظلما ولم يقصد به التكرار[3]، فهو بمعنى الصفة المشبهة، و أفاد في هذا التركيب نفي ثبوت صفة الإهلاك ظُلْمًا.

و بالإضافة إلى هذا، فقد جاء النفي بالفعل المقترن بلام الجحود أبلغ، لأن السياق في الآية الثانية اشتمل على ذكر ظلم صريح هو إهلاك المصلحين، فنفي الله تعالى الظلم عن نفسه بـــ "ما كان" بالإضافة إلى الفعل المضارع المقترن بلام الجحود، ليشمل النفي الأزمنة الثلاثة و المعنى المراد؛ ما ظلم و لا يظلم و لن يظلم، أما سياق الآية الأولى التي هي محور حديثنا فلم يشتمل على ذكر ظلم صريح، فالإهلاك من الغفلة ليس صريحا في الظلم، فاكْتُفِي فيه بذكر اسم الفاعل، وهو دال على أحد الأزمنة الثلاثة من غير تعيين، ثم نُفي.[4]

وبهذا يتضح لنا أن استعمال اسم الفاعل في الآية المدروسة، إنما أتى موافقا للسياق الذي ورد فيه، و هو سياق لم يقتضي نفيا للإهلاك في الأزمنة الثلاثة، و إنما اقتضى نفي الصفة من غير تعيين لوقتٍ.

ومن أمثلة اسم الفاعل "مهلك" الواردة في القرآن في قوله تعالى :﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[5].

والأمة القائلة في هذه الآية هي جماعة من صلحاء قوم رأوا نفع الوعظ منعدمًا في حق من قضى الله عليهم بالهلكة أو العذاب.[6]

---

[1] ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: 1107.
[2] هود 117.
[3] ينظر: احمد بن إبراهيم الثقفي الغرناطي: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد و التعطيل في توجيه متشابه اللفظ من آي التنزيل: 671/2-672.
[4] ينظر: محمود بن حمزة الكرماني: أسرار التكرار في القرآن: 147.
[5] الأعراف 164.
[6] ينظر: محمد رشيد رضا: تفسير المنار: 376/9.

و قد جاء في هذه الآية اسما فاعل هما "مهلك" و "معذّب"، وهما مستعملان في معنى الاستقبال الزماني، بقرينة المقام، و بقرينة التردد بين الإهلاك أو العذاب، و هو تردد يؤذن بأن أحد الأمرين غير معيّن الحصول لأنه مستقبل.[1]

و قد أوثرت صيغة اسم الفاعل لوصف هؤلاء القوم، للدلالة على تحقق الإهلاك أو العذاب و تقرّره، حتى جاز أن يصفهم القائلون بهذه الوصفين كأنهما واقعان بهم.[2]

ومن هنا يستبين لنا كيف وضعت لغة القرآن صيغة اسم الفاعل "مهلك"، في مواضع تتجلى فيها بلاغة المعنى، وقوة البيان، و مناسبة السياق.

موفٍ

تدور معاني مادة "وفى" حول التمام، فكلّ شيء بلغ تمام الكمال فقد وفى، و يقال وفى بعهده يفي وفاءً و أوفى إذا تمّمَ العهد و لم ينقُضْهُ، و توفَّى المدَّةَ بلغها و استكملها، و تَوْفِيَةُ الشيء بذله وافيًا.[3]

و قد اشتملت لغة القرآن على أسماء فاعلين مشتقّة من "أوفى" و من "وفّى" و من "توفّى"، و كلها أفعال متعدّية.

و مما ورد فيه اسم الفاعل المشتق من الفعل الرباعي أوفى، قوله تعالى:﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ وَ لَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ الْمَلَائِكَةِ وَ الْكِتَابِ وَ النَّبِيِّينَ وَ آتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَ الْيَتَامَى وَ الْمَسَاكِينَ وَ ابْنَ السَّبِيلِ وَ السَّائِلِينَ وَ فِي الرِّقَابِ وَ أَقَامَ الصَّلَاةَ وَ آتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَ الصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَ الضَّرَّاءِ وَ حِينَ الْبَأْسِ﴾[4]

وقد تضمّنت هذه الآية جملة من قواعد الإيمان والعقيدة الصحيحة والأخلاق الحميدة.[5]

وقد انتقلت الآية من ذكر البر في الأعمال إلى ذكر البرّ في الأخلاق، وكان هذا الانتقال بصيغة اسم الفاعل"الموفون"، فقد ذُكرت الأعمال من صدقة و زكاة و صلاة بصيغة الفعل، وجاء ذكر الأخلاق بصيغة الوصف، وسبب هذا التغيّر الأسلوبي هو أنّ الأعمال أفعال والأخلاق صفات، فعبّرت الآية عن كُلٍّ بما يلائمُهُ.[6]

---

[1] ينظر: محمد الطاهرين بن عاشور: تفسير التحرير و التنوير: 151/9.
[2] ينظر: الألوسي البغدادي: روح المعاني: 215/5.
[3] ابن منظور لسان العرب: 398/15-399 مادة وفي و مجد الدين الفيروز أبادي: القاموس المحيط: 403/4.
[4] البقرة 177.
[5] ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم:153.
[6] ينظر محمد رشيد رضا: تفسير المنار:119/2.

ونكتة استعمال اسمي الفاعل "الموفون" و "الصابرين"، التنبيه على أنَّ مَنْ أوفى وصَبَرَ تكلُّفًا لا يكون بارًّا حتى يَصيرَ الوفاء و الصبر من أخلاقه و صفاته الثابتة.[1]

وفي ضوء ما سبق، يمكننا القول أنّ اسم الفاعل قد دلَّ في سياق الآية على معنى الصفة المشبهة، و جاء الانتقال إليه بعد مجموعة من الأفعال، ليحدث الأسلوب بهذا الانتقال حركة جديدة في الذهن، فينتبهَ إلى معاني هذه الكلمات، و إلى أنّها أوصاف مقصودة، تختلف عمّا سلف ذكره، يؤمر المؤمن بالاتّصاف بها و ليس مجرّد فعلها.

مُوفٍّ

لقد ورد اسم الفاعل "موّفي" المشتق من وفّى، معملاً عمل فعله في قوله تعلى:﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم مِنْ قَبْلُ وَ إِنَّا لَمُوَفُّوهُم نَصِيبَهُم غَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾[2]، والخطاب في هذه الآية للرسول ﷺ والمعنى: لا تكن في شكٍّ من مآل أمر الناس الذين كفروا، فهم مشركون كآبائهم، وسيوفيهم الله حظّهم من العذاب أو من الرزق[3].

وقد دلّ اسم الفاعل "مُوَفٍّ" في هذه الآية على وعدٍ بالتوفية، وجاء استخدامه في هذا السياق لإفادة تحقق هذا الوعد عاجلاً أو آجلاً[4].

وبعبارة أخرى، فقد أفاد اسم الفاعل تأكيد التوفية الحالية أو المستقبلية للكفّار، لكونه شكّل أساس بناء جملة اسمية تعتبر آكد وأبلغ من الجملة الفعلية في الدلالة على الثبوت والاستقرار، بالإضافة إلى تأكيدها بحرفي تأكيد هما إنَّ ولام التأكيد المزحلقة.

ثالثا: صيغ المبالغة :

كما ذكرنا في الدراسة النظرية، فإن صيغ المبالغة هي صيغ ملحقة ببناء اسم الفاعل، فهي محوّلة من بنائه للدلالة على تكثير الحدث، وبما أن هذه الصيغ هي إحدى مظاهر الاختصار في اللغة العربية، فقد جاءت في لغة القرآن الكريم منتقاة لإيجاز وجوه من معاني المبالغة. وفيما يلي نماذجها المختارة للدراسة مرتبة ترتيبا ألفبائيا حسب موادها اللغوية.

---

[1] ينظر محمد رشيد رضا: تفسير المنار:119/2.
[2] هود 109.
[3] ينظر: البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل:318-319.
[4] ينظر: الألوسي البغدادي: روح المعاني: 148/12.

سمّاع

لقد اشتملت لغة القرآن الكريم على صيغ المبالغة لاسم الفاعل "سامع" على وزن فعّال، وقد جاءت كلّها بصيغة الجمع، واستعملت كلها في سياق ذم للموصوفين بها، ومنها في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا. سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ﴾[1]، ونزلت هذه الآية نهيًا للرسول عن الحزن على صنيع الواقعين في الكفر من المنافقين واليهود، وهو المستجيبون للكذب، المنفعلون عنه[2].

وقد عبرت لغة القرآن الكريم عن هذه الاستجابة للكذب والانفعال السريع عنه، بصيغة المبالغة "سمّاع"، لموافقتها لهذه المعاني. وعُدل عن اسم الفاعل سامع، لعدم إفادته المبالغة في السمع، وهي مبالغة شكّلت في سياق الآية محور الذمّ.

ويحتمل التركيب المكون من صيغة المبالغة ومعمولها المجرور باللام، دلالتين كلتاهما تخدم الغرض العام للآية، وذلك حسب تقدير اللام الجارّة[3].

فإن كانت هذه اللام للتقوية[4]، يكون المعنى أنهم يسمعون الكذب كثيرا سماع قبول، فالكذب في هذه الحالة مفعول به لصيغة المبالغة سمّاع.

وإن كانت اللام للتعليل يصير المعنى أنهم كثيرو الاستماع لكلام الرسول والإخبار عنه لأجل الكذب عليه، ويكون في الكلام محذوف هو معمول صيغة المبالغة والتقدير: سَمَّاعون كلامك للكذب، فالكذب في هذه الحالة له دلالة المفعول لأجله.

ظلّام

لقد اشتملت لغة القرآن الكريم على صيغتي المبالغة ظلّام وظلوم، وقد أعملت الصيغة الأولى عمل فعلها في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[5].

والخطاب في هذه الآية لليهود الذين قتلوا الأنبياء واقترفوا الجرائم الشنيعة، وقد أفادت جملة "وأنَّ اللهَ لَيْسَ بظلاّمٍ للعبيد" سببيّة العذاب ضمنيا، فنفي الظلم يقتضي إثابة المحسن ومعاقبة المسيء.[6]

---

[1] المائدة 41.
[2] ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن الكريم العظيم 462.
[3] ينظر: البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل 180 ومحمد رشيد رضا: تفسير المنار:389/6.
[4] ينظر الصفحة 24 من هذه المذكرة.
[5] آل عمران 182.
[6] ينظر : البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل 127.

ولقد طرحت دلالة فعّال في هذه الآية إشكالا كبيرا على المفسرين، إذ لو أخذت بدلالتها الأصلية وهي المبالغة والتكثير لانصب النفي على المبالغة وحدها، فيكون المعنى: وما ربك بكثير الظلم، ولا يلزم من نفي الظلم الكثير نفي القليل.

وقد اهتدوا إلى إجابات تخلّص المعنى من هذا الإشكال أهمها:

أ- أنّ صيغة ظلاّم المقتضية المبالغة في الظلم معتبرة قبل دخول النفي على الجملة، إذ أن النفي إذا توجه إلى كلام مقيد، قد يكون النفي نفيًا للقيد وقد يكون القيد قيدًا في النفي، وفي هذه الآية جاء نفي الوصف المصوغ بصيغة المبالغة من تمام عدل الله، أنْ جعل كل درجات الظلم في رتبة الظلم الشديد[1].

ب- أنّ المبالغة هنا في الكمية لا في الكيفية، أي أن المبالغة هنا لكثرة العباد لا لكثرة الظلم[2].

ج- أنّه إذا انتفى الظلم الكثير انتفى القليل لأن من يظلم، يظلم للانتفاع بالظلم، فإذا ترك كثيرة، مع زيادة نفعه في حق من يجوز عليه النفع والضر، كان لقليله مع قلة نفعه أكثر تركا[3].

د- أنّ صيغة فَعّال هنا ليست للمبالغة، وإنّما دلّت على النسبة والمعنى أن الله ليس بمنسوب إلى الظلم[4].

ويبدو الرأي القائل يكون صيغة فَعّال للنسبة أبعد الآراء عن التكلف، وله من كلام العرب شواهد كثيرة[5]. كما أن الرأي القائل بأنها للمبالغة في الكمية أيّده الاستعمال القرآني فلم يرد لفظ ظلام إلا مع الجمع وهو لفظ العبيد.

وفي ضوء ما سبق يمكننا الخلوص إلى القول؛ بأن هذه الآراء قد أفادت بذكر الكثير من السمات البلاغية لاستعمال صيغة المبالغة في الآية، وأكّدت ثراء الصيغ الصرفية والتراكيب النحوية بالمعاني الدقيقة.

علاّم

لقد وردت صيغة المبالغة علاّم في مواضع من القرآن الكريم، منها في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قالوا لاَ عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ علاّمُ الغُيُوبِ﴾[6].

---

[1] ينظر: محمد الطاهر بن عاشور : تفسير التحرير والتنوير:319/24.
[2] ينظر: الفخر الرازي: التفسير الكبير:110/3.
[3] الألوسي البغدادي: روح المعاني:144/4.
[4] ينظر: أبو زكريا الأنصاري: فتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن 101.
[5] وقد ذكرها سيبويه في باب بعنوان "هذا باب من الإضافة تحذف فيه ياءي الإضافة" وهو باب خصصه للنسبة بدون ياءيها، وذكر منها ثوّاب وجمّال وعطار: ينظر الكتاب: 381/3.
[6] المائدة 109.

وفي هذه الآية إخبار عما يخاطب الله به الرسل يوم القيامة، إذا سئلوا عما أجيبوا به من أممهم[1].

وقد قرنت لغة القرآن نفي العلم عن الرسل بإثبات المبالغة في علم الله، وواضح أنّ نفي الرسل للعلم ليس نفي إطلاق، بل هو نفي لعلم الإحاطة الذي يختص بالله، لهذا فإنّ صيغة المبالغة علاّم قد دلّت في هذه الآية على كثرة المعلومات لله تعالى؛ إذ لا يمكن المبالغة في علم الله فهو علم واحد محيط إحاطة كاملة[2].

وقد أفادت صيغة المبالغة علام كثرة وتعددا في المفعولات، وليست فيها دلالة على المبالغة في الصفة أو في الفعل، وقد صدّق الاستعمال القرآني هذه الدلالة، فلم يأت لفظ "علاّم" في القرآن إلا مضافا للفظ "الغيوب" بصيغة الجمع في مقابل عالم الذي لم يضف إلا إلى المفرد.

وفي ضوء ما سبق يمكننا القول أن صيغتي اسم الفاعل والمبالغة منه، قد انتظمت كل واحدة منهما في السياق الذي يوافق دلالتها، وهي موافقة أكسبتها قيمتها البلاغية، لخدمة أغراض معنوية دقيقة.

قوّام

لقد وردت صيغة المبالغة قوّام ثلاث مرات في القرآن الكريم، ومنها في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾[3]. وفي هذه الآية أمرٌ من الله للمؤمنين بأن يكونوا قوّامين بالعدل، والقوّامون به هم الّذين يقيمونه بالإتيان به على أتمّ الوجوه وأكملها وأدومها.[4]

وبنظرة نحوية، نجد أن صيغة المبالغة "قوّام" قد عملت عمل فعلها اللازم "قام" الذي يعدى بحرف الجر الباء، ومعمولها هنا هو لفظ القسط.

وهذا التركيب الذي انتظمت فيه صيغة المبالغة أبلغ ما يمكن أن يقال في تأكيد أمر العدل والعناية به، "فالأمر بالعدل والقسط مطلقا يكون بعبارات مختلفة بعضها آكد من بعض، تقول: اعدلوا أو أقسطوا وتقول كونوا عادلين أو مقسطين، وهذه الأخيرة أبلغ لأنها أمر بتحصيل الصفة لا بمجرد الإتيان بالقسط الذي يصدق بمرّة، وتقول أقيموا القسط، وأبلغ منه كونوا قائمين بالقسط، وأبلغ من هذا و ذاك كونوا قوّامين بالقسط، أي لتكن المبالغة

---

[1] ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم 502.
[2] ينظر: محمد رشيد رضا: تفسير المنار: 242/7.
[3] النساء 135.
[4] ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم 400.

والعناية بإقامة القسط على وجهه صفة من صفاتكم، بأن تتحرَّوه بالدقة التامة حتى يكون ملكة راسخة في نفوسكم"[1].

ويمكننا الآن أن نقول أنَّ الآية قد ارتقت في درجات من التراكيب اللغوية، لتصل إلى أدق وأبلغ أسلوب يمكن أن يعبر عن الأمر بإقامة العدل، وهو أسلوب الأمر بالاتصاف بما دلت عليه صيغة المبالغة قوّام.

مشّاء

الدلالة الحسية للمشي تفيد حركة الإنسان أو غيره من الحيوان وانتقاله من مكان إلى مكان، يقال مَشَى يَمْشِي مَشْيًا والاسم المشية[2].

ولم يرد من الأسماء المشتقة من المشي في القرآن الكريم، إلا صيغة المبالغة مَشَّاء، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾[3]. وفي هاتين الآيتين نهي عن اتباع أصحاب الحلف الكاذب، والذين يمشون بين الناس بالنميمة، ويسعون في فساد ذات البين[4].

وقد جاء وصف "مشّاء" ضمن مجموعة من صيغ المبالغة والصفات المتعلقة بسوء الأخلاق، والمشي المقصودة المبالغة فيه ليس هو المشي المعروف للانتقال والحركة، بل هو استعارة لتشويه حال النّمام، فهو يتجشّم المشقة لأجل النّميمة؛ وبلاغة هذه الاستعارة هو إبرازها السّعي بالنّميمة باسم شيء محسوس، هو المشي، ليكون المعنى أشدّ وقعا في تصوّر السامع من أسماء المعقولات[5].

وعلى هذا يمكن القول أن صيغة المبالغة مشّاء ومعمولها المجرور بالباء، وهو لفظ النّميمة، قد انتظما في أسلوب صوّر حال النّمام فبالغ في تشويهه، فالنّمام ببذله قصارى جهده، كأنه يمشي جيئة وذهابا، صعودا ونزولا ليفسد بين الناس.

وبعد حديثنا الموجز عن بعض صيغ أسماء الفاعلين الواردة في القرآن الكريم يمكننا أن نخلص إلى النتائج التالية:

1) إنّ أسماء الفاعلين العاملة عمل فعلها تتراوح بين الدلالة على الحدوث وهي الدلالة الأصلية لاسم الفاعل، وبين الدلالة على الاستمرار والثبوت في الصفة وأمثلة هذه الدلالة تصنف كصفات مشبهة معنًى.

---

[1] محمد رشيد رضا: تفسير المنار: 455/5-456.
[2] ابن منظور: لسان العرب: 281/15 مادة "مشي"
[3] القلم 1، 2.
[4] ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: 1510.
[5] ينظر: محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير:72/29.

2) يتميّز اسم الفاعل بقدرات دلالية كبيرة، نظرا لالتقاء الخصائص الاسمية والفعلية فيه، لهذا لم يجيء الإخبار به بدل الفعل إلا حاملا لدلالات وأغراض بلاغية خادمة للمعنى.

3) لقد وجدنا من خلال النّماذج المدروسة، أنّ القيمة البلاغية لاسم الفاعل، أمر يكتسبه من دلالة لفظه الخاصة، ومن النظم الذي توضع لبنته فيه، فهو مقدما غيره مؤخرا، وعاملا النصب غيره مكتفيا بفاعله، وهو واقعا في خبر الناسخ غيره مجردًا عنه، ومعطوفا على الفعل غيره معطوفا على الاسم.

4) لقد جاء إسناد اسم الفاعل إلى فاعله، في القرآن الكريم، في أساليب الحقيقة والمجاز، وفي استعارات وكنايات وجاء إسناده مقيّدا بحروف التوكيد، وبالمفعول به، وبالنفي أكثر من باقي المقيّدات.

5) تبدو صيغ المبالغة في موقع دلالي وسط بين اسم الفاعل والصفة المشبهة؛ إذ تدل هذه الصيغ على الاتصاف بحدث يتكرّر ويتجدّد، فدلالة التجدّد تربطها باسم الفاعل، ودلالتها على تكرار الحدث أو المبالغة فيه تقربها من معنى الثبوت والدوام، المستفاد من الصفة المشبهة.

الفصل الثالث

المصادر وأسماء التفضيل وأسماء الأفعال وأسماء المفعولات والصفات المشبهة، دلالاتها وسماتها البلاغية في القرآن الكريم

لقد حفلت لغة القرآن الكريم، فضلا عن اسم الفاعل، بأسماء أخرى عاملة عمل فعلها، وهي المصادر وأسماء التفضيل وأسماء الأفعال وأسماء المفعولات والصفات المشبهة، ولكلّ اسم من هذه الأسماء دلالاته وسماته البلاغية في السياق الذي ورد فيه، وهو ما سنحاول بحثه في بعض النماذج.

أولا: المصادر:

ومن المعروف نحويا وصرفيا، أن المصدر لا يدل إلا على الحدث المجرد، لكنه يكتسب دلالات أخرى في سياقات لغويّة خاصة، ومن ذلك المصدر على وزن فِعال فقد ورد في القرآن الكريم بدلالات سياقية كثيرة، إضافة إلى دلالته على الحدث[1]، ومنها الدلالة على ما يقوم به الحدث كالقيام في قوله تعالى: ﴿ولَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾[2]، أي أمرا تقوم به حياتكم، ومعنى انتهاء الغاية كالنكاح في قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾[3]، ومعنى ما يحدث به الشيء كالختام في قوله سبحانه: ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾[4] أي ما يختتم به، ومعنى اسم المفعول كالبناء في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾[5].

ويقابل هذا التعدد في الدلالات السياقية للمصدر، تنوعٌ وثراء في الأغراض التي يخدم بها المعنى داخل التراكيب المختلفة.

ويمكننا الحديث عن المصادر الواردة في القرآن الكريم تحت صنفين صرفيين رئيسيين، هما مصادر الثلاثي ومصادر غير الثلاثي، ونبدأ حديثنا بمصادر الثلاثي.

1- مصادر الثلاثي:

إنّ مصادر الفعل الثلاثي كثيرة في القرآن الكريم، ولا يتّسع هذا البحث لدراستها كلها، لذا اقتصرنا منها على ستة نماذج للتحليل والدراسة، وهي فيما يلي مرتبة ترتيبا ألفبائيا حسب موادها اللغوية.

باطل

يدور البطلان في اللغة حول معنى العدم، إما بعدم الشيء في ذاته أو بعدم فائدته، فيقال بَطَلَ الشَّيْءُ يَبْطُل بُطُولًا إذا ذهب ضَيَاعًا وخُسْرًا فَهُوَ بَاطِلٌ، وَالبَاطِلُ نَقِيضُ الحق[6].

---

[1] ينظر: د محمد المختار محمد المهدي عبد الله: اسم المصدر بين أقوال النحاة واستعمال القرآن الكريم 122 مقال بمجلة كلية اللغة العربية - جامعة أم القرى- مكة المكرمة ، العدد الأول 1401هـ- 1402هـ.

[2] النساء 5.

[3] النساء6.

[4] المطففين.

[5] غافر64.

[6] ابن منظور: اللسان: 56/11 مادة بطل والراغب الأصبهاني: معجم مفردات ألفاظ القرآن 48.

وقد ورد المصدر "باطل" بصيغة اسم الفاعل في ستة وعشرين موضعا من القرآن الكريم، جاء أكثرها مقترنا بالألف واللام، بمعنى الاسم وهو الباطل نقيض الحق، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[1]، وجاء المصدر "باطل" كذلك وصفًا في موضعين من القرآن الكريم، أحدهما هو قوله تعالى: ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2].

والمعنى في هذه الآية، أنّه في الآخرة يظهر حبوط ما صنع المشركون من الأعمال، التي كانت تؤدي إلى الثواب لو كانت معمولة للآخرة، وسبب هذا الحبوط هو بطلان تلك الأعمال[3].

والملاحظ أنّ التعبير عن المعنى الأول في الآية وهو معنى حبوط أعمال الكفار، جاء بالجملة الفعلية، ثم عُدل عنها في المعنى الثاني وهو معنى بطلان الأعمال، إلى جملة اسمية مصدّرة بالمصدر "باطل".

والغرض البلاغي لاستعمال الجملتين، الفعلية والاسمية في هذه الآية يشرحه العلامة أبو السعود[4]بالقول: "ولأجل أنّ الأوّل من شأنه استتباع الثواب والأجر وأنّ عدمه لعدم مقارنته الإيمان والنية الصحيحة، وأن الثاني ليس له جهة صالحة قَطّ، علّق بالأول الحبوط المؤذن بسقوط أجره بصيغة الفعل المنبئ عن الحدوث، وبالثاني البطلان المفصح عن كونه بحيث لا طائل تحته أصلا، بالاسمية الدالة على كون ذلك وصفا لازما له ثابتا فيه"[5]

وبالإضافة إلى معنى الثبوت المستفاد من الجملة الاسمية، فقد جاء الإخبار بالمصدر مفيدا المبالغة في البطلان، لأن المقام مقام التوبيخ، والمبالغة في الإنكار[6].

ومن هنا، فقد أفاد المصدر في سياق هذه الآية، المبالغة في بطلان أعمال الكفار، فلم توصف بالبطلان بل جعلت كأنها هي الباطل بعينه.

دفع

الدفع لغة الإزالة والتنحية؛ يقال دَفَعَهُ يدفعه دفعًا، و دافع عنه دفاعًا بمعنى واحد.[7]

---

[1] الإسراء 81.
[2] هود16.
[3] ينظر: الفخر الرازي: التفسير الكبير: 275/4.
[4] أبو السعود هو محمد بن محمد مصطفى العمادي، مفسر وأصولي وشاعر، ولد سنة 898هـ بإحدى القرى قرب القسطنطينية، اشتهر بتفسيره للقرآن المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، والذي تميز بأسلوب مشرق وتذوق سليم للبلاغة القرآنية، وقد توفي سنة 982هـ. ينظر: عادل نويهض معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر 625-626.
[5] أبو السعود: تفسيره المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم بحاشية التفسير الكبير للرازي: 559/4.
[6] ينظر: محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير:83/9.
[7] ابن منظور: لسان العرب: 87/8 مادة دفع و ينظر أحمد بن فارس: المقاييس: 288/2.

وقد جاء المصدر دفع، معملا عمل الفعل في موضعين من القرآن الكريم، أحدهما هو قوله تعالى: ﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ وَ لَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى العَالَمِينَ﴾[1]. والمعنى أنّه لولا أنّ الله يدفع بعض الناس ببعض، و ينصر المسلمين على الكفار، ويكُفّ بهم فسادهم، لغلبوا و أفسدوا في الأرض.[2]

وإذا نظرنا إلى المصدر "دفع" نظرة نحوية، نجد أنه قد جاء مضافًا إلى فاعله، وهو لفظ الجلالة، فالله هو الذي يدفع بعض الناس ببعض، و نَصَبَ هذا المصدر مفعولا أوّلاً هو لفظ الناس، وعدي إلى الثاني بحرف الجر في قوله ببعض.[3]

والحق أنّ المصدر وإنْ أشبه الفعل في العمل النحوي، فقد حمل مالا يحمله الفعل من الدلالة، ولا أيٌّ من المشتقات الاسمية الأخرى، ذلك أنه أفاد دفعا أو دفاعًا،[4] في الأزمنة المختلفة، فهو سنة من سنن الله في خلقه مستمرة شاملة لكل عصر.

ولو جيء بالفعل في هذا الموضع مثلا، لانحصرت دلالة الدفاع في زمن محدود، ولفات معنى العموم المستفاد من المصدر.

وقد فُسّر الدفاع في هذه الآية بعدّة وجوه، منها أن الله سبحانه وتعالى يدفع بالنبيين عن المؤمنين وبالمجاهدين على القاعدين ،أو يدفع بالمحسن عن المسيء، كما قيل أن التعبير بالدفاع تضمن إذنا من الله لأهل دينه بمجاهدة الكفار.[5]

و بهذا التعدد في الأغراض المقصودة "بالدفع"، يمكننا أن نقول أن استخدام المصدر في هذا السياق قد أفاد العموم و الشمول، فالدفع ليس محددا بزمان و لا بكيفية محدّدة.

ذِكْرُ

الذكْرُ لغةً نقيضُ النسيان، يقال ذَكَرَ الشيءَ خِلَافُ نَسِيَهُ، و الذِّكْرُ يأتي بمعنى استحضار المحفوظ من المعرفة، و يأتي بمعنى حضور الشيء القلْبَ أو القول، و من هذا الأخير ذكرُ الله.[6]

وقد ورد المصدر "ذكر" في مواطن كثيرة من القرآن الكريم، و جاء معملا عمل فعله في قوله تعالى في أوّل سورة مريم: ﴿ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾[7].

---

[1] البقرة 251.
[2] ينظر: البيضاوي: أنوار التنزيل و أسرار التأويل 85.
[3] ينظر: أبو البقاء العكبري: التبيان في إعراب القرآن: 200/1.
[4] فقد قرىء المصدر في هذه الآية بلفظ دفع مصدر " دفع" الثلاثي،و بلفظ دفاع مصدر "دافع" الرباعي،هما متقاربان معنًى، ينظر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن: 259/3.
[5] ينظر: الفخر الرازي: التفسير الكبير:163/2.
[6] ينظر: أحمد بن فارس: المقاييس 358/2 و الراغب الأصبهاني: معجم مفردات ألفاظ القرآن 181.
[7] مريم: 02.

وجاءت هذه الآية افتتاحًا للكلام عن نبي الله زكريا، و تقدير الكلام: هذا ذكرُ رحمة ربّك عبْدَهُ، وهو بمعنى اذكُرْ، و يجوز أن يكون "ذِكْر" أصله مفعول مطلق نائبا عن عامله بمعنى الأمر، أي اذكر ذكرًا ثم حوّل إلى الرفع للدلالة على الثبات.[1]

ويحتمل التركيب في هذه الآية دلالتين مختلفتين، وذلك بحسب اعتبار إضافة المصدر؛ فباعتباره مُضافًا إلى مفعوله يكون الذكر واقعًا على الرحمة، وهي بدورها واقعة على عبد الله زكريا، ويكون في السياق مصدران عاملان.

وباعتبار المصدر مضافًا إلى فاعله؛ تكون رحمة الله هي القائمة بفعل الذكر، و معنى ذكر الرحمة في هذا الاحتمال بلوغها و إصابَتُهَا.[2]

وهذا التعدد في الاحتمال، أمرٌ يُوزن بميزان غنى الدلالات للمصدر. وبالإضافة إلى صيغة المصدر، فقد قرىء لفظ ذِكْر، بلفظ الماضي ذَكَرَ، و بصيغة الأمر اذْكُرْ.[3]

وكُلُّ واحدة من هاتين القراءتين تُصوِّرُ وجهًا من وجوه الدلالة، فالمصدر هنا يحتمل معنى الإخبار عن ذكرِ حَصَلَ أو الأمر به، أي أنّه صالحٌ لمَعْنَيَيْ الخبر و الإنشاء.

وقد نظم مجيء المصدرين "ذكر" و"رحمة" الكلام نظمًا محكمًا و أوجَزَاهُ إيجازًا بديعًا، فقد كان أصل الكلام في الأسلوب المتعارف للإخبار: هذا ذكرُ عبدنا زكريا إذ نادى ربّه فقال ربِّ، فرحِمَه ربُّك، فكان تقديم الخبر بأنّ الله رحمهُ اهتمام بهذه المنقبة لَه، وفيه إشارة إلى أن الله يرحم من التجأ إليه، مع ما في إضافة "ربّ" إلى ضمير النبي ﷺ وضمير زكريا عليه السلام من تنويه بهما[4].

ومن خلال هذا يمكن القول أن استخدام المصدرين "ذكر" و "رحمة" قد طوى الكلام طيًّا بليغا، ليصل الكلام إلى هدفه وصولا سريعا، وغرض الكلام هو استحضار وتذكّر رحمة الله لأنبيائه على مر العصور والتعزّي بها.

ضربه

الدلالة الحسية لمادة "ضرب" تفيد إيقَاعَ شَيْءٍ على شَيْء، يقال ضَرَبَهُ يَضْرِبه ضَرْبًا، ويأتي الضرب كناية عن القتل في قولهم ضرب عنقَه، وكناية عن الحركة في الأرض، ومنه قوله تعالى: ﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ﴾[5] أي يسيحون فيها[6].

---

[1] ينظر: محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير و التنوير:61/16.
[2] ينظر: الالوسي البغدادي: روح المعاني: 58/16.
[3] ينظر: أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط:170/6
[4] ينظر: محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: 62/16.
[5] المزمّل20.
[6] أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة: 397/3-398 والراغب الأصبهاني: معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم303.

وقد ورد المصدر "ضَرْب" في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم، ودلّ على الأمر في موضع واحد هو قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾[1].

وقد تضمنت الآية أمرا من الله بقتال الكفار، وتقدير الكلام عند النحاة، فاضربوا الرقاب ضربًا؛ فحذف الفعل الطلبي وقُدّم المصدر وأنيب منابه مضافا إلى مفعوله[2].

وقد جاء الأمر بالمصدر ضرب مفيدا للتأكيد والاختصار، كما أنّه مضافا إلى مفعوله شكّل تعبيرا كنائيا صوّر القتل بأشنع صورة[3].

وتظهر القيمة البلاغية للمصدرفي الآية،في كونه صوّر بالإضافة إلى لفظ الرقاب، مشهدا حسيا أبلغ في الدلالة على النكاية بالكفار، وهو ما يقصر دونه الأمر المباشر بصيغة الفعل اقتلوهم مثلا.

وما زاد من قيمة المصدر البلاغية في هذا التركيب، مجيئه بعد الفاء الرابطة لجواب شرط "إذا"، فجعل ضربُ الرقاب كأنه هو النتيجة الحتمية للقاء الكفار في المعركة.

فكّ

تفيد الدلالة الحسية للفكّ التفتح والفصل، يقال فككتُ الشيء فانفكّ، أي خَلَّصْتُهُ فتخلَّصَ وانفصل، من المجاز جاء قولهم: فَكَّ الرَّهْنَ إِذَا خَلَّصَهُ، وَفَكَّ الرَقَبَةَ إِذَا خَلَّصَهَا من إِسَارِ الرِّقِّ[4].

ولم يرد المصدر "فكّ" إلا في موضع واحد من القرآن الكريم، هو قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ﴾[5]، وقد بيّنت الآية إحدى طرق النجاة من اقتحام النار، هي إعتاق الرقبة المؤمنة[6].

والفكّ في هذه الآية مصدر أضيف إلى مفعوله[7]، ومعناه أخذ الشيء من يد من احتاز به، والرقبة مراد بها الإنسان، من إطلاق اسم الجزء على الكل[8].

وقد استخدم الفكّ هنا مجازا مرادا به تخليص المأخوذ من أسر أو ملك، لمشابهة تخليص الأمر العسير للنزع من يد القابض الممتنع[9].

---

[1] محمد 4.
[2] ينظر: أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط: 72/8 وجلال الدين السيوطي: معترك الأقران في إعجاز القرآن:127/3.
[3] ينظر: البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل 647.
[4] ابن منظور: لسان العرب: 475/10 مادة فك وينظر أحمد بن فارس: المقاييس: 433/4.
[5] البلد 12-13.
[6] ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم 1587.
[7] ينظر: ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم 108.
[8] ينظر: البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل 742.
[9] ينظر: محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير:358/30.

وبهذا يكون التركيب المكوّن من المصدر ومفعوله المضاف إليه، قد صوّر صورتين مجازيتين؛ إحداهما صورة العبد الأسير كأنه مشدود الوثاق والأغلال في عنقه، والثانية صورة فكّه من اليد المالكة له، وتخليصه منها؛ وواضح بلاغة هاتين الصورتين الحسيتين في التعبير عن المعنى المراد، وواضح كذلك إيجاز هاتين الصورتين في كلمتين هما المصدر ومفعوله، ولو جِيءَ بغيرهما، لَلَبِسَ المعنى ثوبا فضفاضا من الألفاظ قد يتعثر في أذياله.

مقت

يدل المقتُ لغةً على الشَّنَاءَةِ والقبح، يقال مقته بمعنى أبغضه، والمصدر مَقْت والوَصْف مَقِيتٌ ومَمْقُوت[1].

ولم يأت في القرآن الكريم من مشتقات مادة "مقت"، إلاّ المصدر "مَقْت" وذلك في ستة مواضع، وجاء هذا المصدر معملاً عمل فعله في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللهِ أَكْبَرُ مِنَ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذ تُدْعَوْنَ إِلى الإِيمَانْ فَتَكْفُرُونَ﴾[2].

وقد أضيف المصدر "مقت" الأول إلى فاعله، وهو لفظ الجلالة، وجاء المصدر "مقت" الثاني مضافا إلى فاعله، وهو الضمير العائد على الكفّار، ونَصَبَ لفظ "أنفسكم"[3].

وأخبرت هذه الآية أن الكفّار إذا باشروا العذاب، يبغضون أنفسهم غاية البغض، بسبب ما أسلفوا من الأعمال، فتخبرهم الملائكة عندئذ أن مقت الله لهم في الدنيا حين كانوا يعرضون عن الحقّ أكبر من مقتهم الآن لأنفسهم[4].

ويتّضح من هذا التفسير أنّ في الآية مقتين باعتبار الزمن، أحدهما في الدنيا والآخر في الآخرة.

وقد فُسِّرت هذه الآية بقلب زمن كل واحد من المقتين، ليصير المعنى: لمقتُ الله لكم الآن؛ أي يوم القيامة، أكبر من مقتكم أنفسكم في الدنيا بالأعمال السيّئة[5].

وبهذا المعنى الأخير يكون مقت الله للكفّار أو بغضه لهم مجازً مرسلاً، أطلق على المعاملة بآثار البغض من التحقير العقاب، ويكون مقت الكفّار أنفسهم في الدنيا، هو أنّهم فعلوا لها ما يشبه المقت، إذ حرموها من فضيلة الإيمان ومحاسن شرائعه؛ ففعلهم هذا

---

[1] أحمد بن فارس: المقاييس: 341/5.
[2] غافر 10.
[3] ينظر: أبو البقاء العكبري: التبيان في إعراب القرآن: 1116/2.
[4] ينظر: الزمخشري: الكشاف: 363/3.
[5] ينظر: الفخر الرازي: التفسير الكبير:39/6.

لأنفسهم شبيهة بفعل المرء لبغيضه من الضرّ، فمقت الكفّار أنفسهم مستعار لقلة التدبر فيما يضرّ[1].

ويتّضح لنا من هنا، أنّ استعارة المقت لعقاب الله، أفادت تهويل هذا العقاب والتخويف به، كما أنّ استعارة المقت لحرمان الكفّار أنفسهم من الإيمان فيه تشنيع وتقبيح لأفعالهم، وكذا فإن المصدر "مقت" قد وصف حال الكفّار أحسن وصف، فهم بين مقتين أحدهما في الدنيا، وآخر في الآخرة؛ فقد مقتوا أنفسهم في الدنيا مجازًا بإبعادها عن الخير، وهم يمقتونها يوم القيامة حقيقةً إذا رأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب، وكذلك مقتهم الله في الدنيا على أفعالهم الشنيعة، ويمقتهم يوم القيامة بتسليط العذاب عليهم.

وواضح أن المصدر كان وحده الكفيل بحمل دلالتي البغض الدنيوي والأخروي في آنٍ معًا، لتفرده بالدلالة الزمنية المطلقة، كما جاء التعبير به مصوِّرًا لعمل الإنسان الشرَّ كأنّه مقتٌ لنفسه، ومفيدًا أن الله لا يمقت أحدًا إلاّ إذا مقت هو نفسه بسيّء الأعمال.

2- مصادر غير الثلاثي:

اشتملت لغة القرآن الكريم على مادة غزيرة من مصادر الفعل غير الثلاثي، وقد جاءت بصور مختلفة وفي تراكيب متنوعة، وفيما يلي ما اخترناه منها للدراسة مرتبا ترتيبًا ألفائيًا.

اتّباع

ذكرنا سابقا أن الدلالة الحسية لمادة "تبعَ" تفيد السير في أثر الشيء[2]، والملاحظ أن أكثر ما ورد من الأفعال المشتقة من مادة "تبع" في القرآن، قد جاء بصيغة افتعل في مقابل صيغة المجرد تَبِعَ والمزيد اتَّبَعَ، ويبدو أن الزيادة فيها أفادت دلالة صرفية هي المبالغة.

وجاء المصدر "اتّباع" من الفعل اتّبع في موضعين من القرآن الكريم، أحدهما هو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾[3].

وقد بيّنت هذه الآية أحكام القصاص، ورغّبت في المصالحة على الدماء، فمن عفى عن أخيه، فليكن اتباعه بالمعروف في طلب الدية، ولْيُؤدها المعفوُّ عنه بلا مماطلة وبلا إبخاس[4].

---

[1] ينظر: ممد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير:96/24.
[2] ينظر الصفحة 70 من هذا البحث.
[3] البقرة 178.
[4] ينظر: البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل 62.

ومن وجهة نظر نحوية، فقد وقع المصدران "اتباع" و"أداء" في هذه الآية عوضا عن فعلين، وتقدير الكلام فليتبع اتباعًا وليؤد أداءً[1]؛ لكن الأسلوب القرآني قد عدل عن نصبهما مفعولين مطلقين إلى الرفع لإفادة معنى الثبات والتحقيق الحاصل بالجملة الاسمية[2].

ذلك أن الأمر بالمصالحة في القتل أمر عظيم لا تكاد تذلّ النفس العربية له سريعا، ومعالجتها له جِدٌّ عظيمة، فلا تكون صيغة الأمر "افعل أو لتفعل" قائمة بالغرض المراد؛ فعدل إلى المصدر المرفوع لدلالته على الثبات[3].

وقد ذكر السيوطي قاعدة عامة للمصادر المرفوعة والمنصوبة النائبة عن فعلها في القرآن الكريم، مفادها أن المصادر المرفوعة تفيد الأمر الوجوبي، والمصادر المنصوبة تفيد الأمر على سبيل الندب[4].

ويبدو أن سبب هذه التفرقة هو أن نصبها يقتضي كونها جزءًا من جملة فعلية محذوفٍ فعلُها، وهي أقلُّ تأكيدا بالمقارنة مع الجملة الاسمية المفيدة للثبوت، وهي الجملة المقدرة في حالة رفع المصدر؛ إذ يكون فيها خبرًا لمبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره محذوف، كما أنّ المصدر إذا كان مرفوعا فهو أحد أركان الإسناد ومحطّ الفائدة، أمّا في حالة نصبه، فلا يكون إلاّ قيدًا للإسناد، بوصفه مفعولاً مطلقًا.

والاتباع في هذه الآية ليس مقصودًا به السير في أثر الشيء كما هو ظاهر معناه، بل جاء كناية عن معنى القبول والرضا وعدم الإرهاق في المطالبة[5].

وفي ضوء ما سبق يمكننا أن نقول، أنّ المصدرين "اتباع" و "أداء" قد أفادا تأكيد الأمر، ذلك أنهما يدلان على حصول الحدث أو وجوده كأنّه محقّق، ويبقى قولنا: "فليتبع" أو "فليؤدّ" قاصرا عن هذا، ذلك أنه قول معناه في المستقبل، معلّق لم يحصل بعد، بينما يجعل التعبير بالمصدر الاتباع والأداء أمرين حاصلين لا مجال لردّهما.

وكذلك فإن الأمر بالمصدر في الآية، استغنى عن مخاطبين مذكورين في الكلام، وعن ضمائرهم البارزة، فلم يُقَل "يا أيها الذين آمنوا اتبِعُوا القاتل بالمعروف"، أو غير ذلك من أساليب الأمر المباشر، بل أتى المصدر بعد الفاء الرابطة لجواب الشرط، كأنه جوابٌ خبريّ، جعل وقوع العفو مستلزِمًا لوقوع الاتّباع بالمعروف والأداء بالإحسان، ولا يخفى ما في هذا التركيب من شدٍّ لحبل الكلام، وسرعة في بلوغ الغرض منه.

---

[1] ينظر: سميح عاطف الزين: الإعراب في القرآن الكريم 702.

[2] ينظر: محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير:141/2.

[3] ينظر: محمود توفيق محمد سعد: صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم 55.

[4] ينظر: جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن:199/1.

[5] ينظر: محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتوير:142/2.

إحسانًا

الحسن لغة كل مبهج مرغوب فيه، والإحسان الإنعام على الغير، لكنّه أعمُّ من الإنعام وهو فوق العدل، ويأتي الإحسان بمعنى أداء العمل بوجه حسن[1].

وقد ورد المصدر "إحسان" منصوبا في ست مواضع من القرآن الكريم، وأفاد في خمس منها الدلالة على الأمر بالإحسان بالوالدين، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَاهُ وبالوالدين إحسانًا﴾[2]، وقد اشتملت الآية على الأمر بعبادة الله وحده، وقرن هذا، بالأمر ببرّ الوالدين.

وانتصب المصدر إحسانا في الآية، من وجهة نظر نحوية، مصدرا نائبا عن فعله، والتقدير وأحسنوا إحسانا بالوالدين[3].

وإذا التفتنا إلى الدلالات والسمات البلاغية للمصدر في هذه الآية، فإن أوّل ما ينتبه له أنّ استخدام لفظ الإحسان دون غيره، قد أتى مفيدا الدلالة على ما يتجاوز العدل والإنعام، فليس المطلوب هو معاملة الوالدين بالعدل، أو بردّ الجميل، بل بما يسمو عن هذه الدرجة، وهو الإحسان، كما أفاد الأمر بالإحسان، النّهي عن الإساءة ضمنيا[4].

وقد أفاد تنكير المصدر "إحسانا" الدلالة على التعظيم، فيصير المعنى المراد: أحسنوا بالوالدين إحسانا عظيما كاملا، كما أفاد تقديم معمول المصدر، عليه الدلالة على شدّة الاهتمام بأمر الوالدين[5].

وجاءت تعدية المصدر إلى هذا المعمول المقدّم ،بحرف الجرّ الباء، وسرّ هذه التعدية أن الباء أبلغ؛ لإشعارها بإلصاق الإحسان بمن يوجّه إليه، من غير إشعار بالفرق بينه وبين المحسِن، في حين أن التعدية بإلى ، مع جوازها هنا، تشعر بطرفين متباعدين، يصل الإحسان من أحدهما إلى الآخر[6].

كما أنّ الأمر بالمصدر دون الفعل، قد أفاد العموم أي ليحسن كلٌّ لوالديه، ذلك أن المصدر لا يحدّد مجال المأمورين، بل يطلقه لعدم إسناده إلى ضمير، وكذلك فقد أفاد الأمر بلفظ الإحسان الأمر بكل ما يصدق فيه هذا الجنس من الأقوال والأفعال والبذل والمواساة.

---

[1] ينظر: الراغب الأصبهاني: معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم 118.

[2] الإسراء 23.

[3] ينظر: أبو البقاء العكبري: التبيان في إعراب القرآن 84/1 وسميح عاطف الزين: الإعراب في القرآن الكريم 508 وهذا التقدير هو قول النحاة في إعرابه، ويبدو أنهم ينسبون العمل للفعل المحذوف المقدّر، وكذا سار على نهجهم البلاغيون، فلم ينُصُّوا على المصدر في باب الأمر، والحقّ أن المصدر يحمل دلالة الطلب بنفسه، وقد تتوسى الفعل الذي يقدّره النحاة في التراكيب العربية الفصيحة: ينظر: د محمود توفيق محمد سعد: صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم 55.

[4] ينظر: محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير التنوير:158/8.

[5] ينظر: الفخر الرازي: التفسير الكبير:388/5.

[6] ينظر: محمد رشيد رضا: تفسير المنار: 84/5.

تصديق

الصدق نقيض الكذب، يقال صَدَقَ يَصْدُقُ صِدْقًا، وصَدَّقَهُ قَبِلَ قَوْلَهُ ونَسَبَهُ إلى الصِّدْقِ[1]. وقد ورد التصديق مصدر صَدَّقَ، في موضعين من القرآن الكريم، أحدهما هو قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[2].

وفي الآية إخبار عن إعجاز القرآن، وأنه لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله، فمثله لا يكون إلا من عند الله، وهو كتاب مصدِّق للكتب السماوية المتقدمة[3].

وانتصب المصدر تصديق في هذه الآية على أنه مفعول لأجله، أي ولكن أنزل للتصديق[4]؛ فقد بيّن المصدر سبب إنزال القرآن.

وكذلك، يحتمل المصدر "تصديق" دلالتين[5]؛ فهو إما بمعنى مصدِّق، ويكون المعنى المراد أن القرآن مُصَدِّقٌ للكتب السالفة مبين للصّادق منها مميّز لما زيد فيها، أو يكون بمعنى مصدَّق، والمعنى المراد أن القرآن مُصَدَّقٌ بشهادة الكتب السالفة، فيما أخذت من العهد على أصحابها، أن يؤمنوا به إذا أُنزل.

أي أن المصدر صالح هنا لمعنيي اسم الفاعل واسم المفعول، وعلى كل واحد من هذين الاعتبارين فهو مستعمل مجازا مرسلا علاقته التعلق الاشتقاقي.

وواضح أن مجيء المصدر هنا قد أفاد المبالغة، إذ جُعل القرآن كأنه هو حدث التصديق عينه، لا متعلق من متعلقاته أو وصف من أوصافه.

استعجال

العَجَلُ والعَجَلَةُ لُغَةً السرعة خلافُ البُطْءِ، أو طَلَبُ الشيء قبل أَوَانِهِ، واستعجل الرّجُلَ استعجالا حَثَّهُ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْجَلَ في الأَمْرِ[6].

وقد ورد مصدر الفعل "استعجل" في موضع واحد في القرآن الكريم، هو قوله تعالى: ﴿ولو يُعَجِّلُ اللهُ لِلنَاسِ الشرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِم أَجَلُهُم فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِم يَعْمَهُونَ﴾[7].

والمعنى العام لهذه الآية أن الله لو استجاب للناس في دعائهم بالشر على أنفسهم كما يستجيب لهم إذا دعوا بالخير لَأَهلكهم، لكنّه بهم رحيم، فلا يُعَجِّلُ الشرَّ إذا طَلَبُوا تعجيله.

---

[1] ابن منظور: لسان العرب: 193/10 مادة صدق.
[2] يونس 37.
[3] ينظر: البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل 293..
[4] ينظر: أبو البقاء بن عاشور: التبيان في إعراب القرآن: 675/2.
[5] ينظر: محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: 169/11.
[6] أبو منصور الأزهري: تهذيب اللغة: 372/1.
[7] يونس 11.

وبهذا المعنى فالضمير المضاف إلى المصدر هو فاعله لأنه عائد على الناس، وهم طالبوا التعجيل، ومفعول المصدر استعجال هو لفظ الخير وقد عدي إليه بحرف الجرّ الباء.[1]

وقد لا حظنا من خلال تتبعنا لأفعال التعجيل والاستعجال في القرآن الكريم، أنَّ التعجيل لم يرد إلاّ منسوبا إلى الله تعالى، في حين أسند الاستعجال في لغة القرآن إلى الناس أو إلى الكفّار.

وسِرّ هذا الإسناد أن الله من شأنه أن يصف نفسه بتكوين العجلة، ومن شأن الناس أن يوصفوا بطلبها[2].

والملاحظ كذلك، أنَّ التعبير بالمصدر جاء ليبرز أنَّ استعجال الخير هو طبيعة البشر على مرّ العصور، وهو ما ناسبه التعبير بالمصدر لدلالته الزمنية المطلقة.

وإذا نظرنا إلى موقع المصدر الإعرابي في هذا التركيب، نجده حاملا لقيمة بلاغية أخرى، هي الإيجاز، فتقدير الكلام لإعرابه: لو يُعَجّلُ الله للناس الشرَّ تعجيلا مثل استعجالهم، فحذف المصدر وصفته المضافة، وأقيم المصدر مقامهما[3]؛ وبهذا يكون المصدر في هذه الآية قد أوجز تشبيها في لفظ واحد.

إصلاح

الصلح ضد الفساد، يقال صَلُحَ يصْلُح صَلَاحًا فهو صَالِح، وأَصْلَحَ الشَّيْءَ بَعْدَ فَسَادِه أَقَامَهُ[4].

وقد ورد المصدر "إصلاح" من الفعل المتعدي "أصلح"، دالاًّ على الأمر في قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾[5].

وقد بيّنت هذه الآية أحكام التصرف في أموال اليتامى؛ وقد كان بعض المسلمين تأثّموا من أموالهم حين نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾[6]، والمعنى المراد، مداخلتكم لإصلاحهم أو إصلاح أموالهم خيرٌ من مجانبتهم[7].

ومجيء الأمر بالإصلاح بأسلوب خبري، أبلغ وآكد من صيغة الأمر المباشر بالفعل، كما أن تنكير المصدر "إصلاح" قد أفاد في هذا السياق معنى الشمول، فأيّ إصلاح لليتامى

---

[1] ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم 703.
[2] ينظر: الفخر الرازي: التفسير الكبير: 551/4.
[3] ينظر أبو البقاء العكبري: التبيان في إعراب القرآن 667/2.
[4] ابن منظور: اللسان: 516/2 مادة صلح
[5] البقرة 220.
[6] النساء 10.
[7] ينظر: البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل 73.

خير من عدمه والمعنى المراد: لا تتركوا شيئا مما تعملون فيه صلاحا لهم في أموالهم وأحوالهم[1].

كما أوجز المصدر في هذه الآية جواب المتسائلين من المتأثمين من كفالة اليتامى، فعرفت به حقيقة جواب السؤال في لفظ واحد مخبر وآمر في آن معًا.

نظرةٌ

النَظِرَةُ مصدر بمعنى التأخير، من أَنْظَرَ يُنْظِر بِمَعْنَى أَرْجَأَ وانْتَظَرَ وأَمْهَلَ[2].

وواضح من المعنى المعجمي أن نَظِرة اسم مصدر من الفعل أَنْظَرَ، والذي مصدره "إنظار". وقد ورد اسم المصدر هذا في قوله تعالى: ﴿وَ إِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلى مَيْسُرَةٍ وَ أَنْ تَصَّدَقُوا خَيْر لَكُم إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[3].

وقد جاءت هذه الآية في سياق آيات تحريم الربا وتحريم إرهاق المدينين به، ومعناها العام: إنْ كان المدين معسرًا لا يجد وفاءً، فلينظره صاحب المال إلى وقت الإيسار[4].

وواضح الآن أن اسم المصدر نظرة أفاد معنى فعل الأمر، وهذا العدول عن الفعل إلى المصدر، وعن نصب المصدر إلى رفعه أفاد المبالغة في تحقيق الإنظار والإمهال على الوجه الأمثل، والأمرَ بإنظار يعين المعسرَ على التحرر من ربقة الحاجة والعوز[5].

فالأمر بالمصدر أبلغ في الدلالة على طلب تحقيق المأمور به، كما أن رفعه أبلغ من نصبه في هذا المعنى ويضاف إلى هذا وذاك تنكير هذا المصدر، وهو تنكير أفاد في هذا السياق الدلالة على الكمال في صفة الإنظار والإمهال[6].

وصيّة

الإيصاء لغةً العَهْدُ، يقال أوصى الرجلَ ووَصّاهُ بمعنى عَهِدَ إليه بالأَمْرِ، والوَصِيَّةُ ما يُوصَى بِهِ من قَوْلٍ أو مَالٍ أو تَرِكَةٍ[7].

وانطلاقا من هذا الشرح المعجمي، يمكن القول أن لفظ "وصيّة" هو اسم مصدر، إذ أنّ مصدر "أوصى" هو إيصاء وكذا فإنّ مصدر "وصّى" هو "توصية".

---

[1] ينظر: محمد رشيد رضا: تفسير المنار: 342/2.
[2] أحمد بن فارس : المقاييس: 444/5.
[3] البقرة 280.
[4] ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم 237.
[5] ينظر: محمود توفيق محمد سعد: صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم 58.
[6] ينظر: د تامر سلوم سلوم: التعريف والتنكير في القرآن الكريم، قراءة في كشّاف الزمخشري 18 مقال بمجلة المنهل، العدد 557 مجلد 61، سنة 1965م.
[7] ابن منظور: اللسان: 394/15 مادة "وصي".

وقد ورد اسم المصدر وصيّة دالاّ على الأمر الطلبي في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾[1]

وقد أعطت هذه الآية الحق للمرأة المتوفى عنها زوجها في المكوث في بيت زوجها حولاً وَصِيّةً من الله[2].

وقرئ اسم المصدر وصيّة في هذه الآية بالرفع والنصب[3]، والتفسير النحوي للقراءتين هو أنّ المصدر نائب عن فعل أمرٍ، والتقدير فَلْتُوصُوا لأزواجهم وصيّةً، فالمصدر المنصوب بقي على حاله بعد الحذف، وعُدِل عن النصب إلى الرفع في قراءة المصدر بالرفع[4].

والحقّ أنّ لكلّ قراءة موقعا من الدلالة وقيمة بلاغية، فليس الناسُ سواءً في الوصيّة للأزواج؛ فمنهم من يسعَى إلى التحقيق والإلزام فله المصدر المرفوع، لدلالته على المبالغة في طلب التحقيق والدوام، ومنهم من يُوقع الوصيّة على وجه من الوجوه، فله المصدر المنصوب الذي يعتبر أقلّ دلالة على المبالغة والإلزام[5].

ويمكننا أن نلحظ أن المصدر في هذه الآية لا يمكن بحال أن يكون مساويا في الدلالة لفعل الأمر منه، فلو قيل فلتُوصُوا، لكان أمرًا بسيطا مباشرا، لكنّ الأمر بالمصدر حمل دلالة أقوى، جمعت في لفظ واحد الأمر وطلب الحثّ والحضّ على تحقيق المطلوب به.

وبعد تطرّقنا لهذه النماذج من المصادر في القرآن الكريم، يمكننا أن نشيرَ إلى الحقائق التالية:

1) لم يأت من المصادر معملاً عمل فعله إلاّ قليل من مجموع ما حفلت به لغة القرآن.
2) احتلّ المصدر في لغة القرآن مواقع إعرابية مختلفة، وبخاصّة في ركني الإسناد، الابتداء والإخبار، وفي مقيدي الإسناد، المفعول المطلق والمفعول لأجله.
3) جاء استخدام المصدر في القرآن الكريم في أساليب إنشائية طلبية، وذلك للدلالة على الأمر في سياقات تقتضي الإبلاغ.

ثانيا: أسماء التفضيل

لقد اشتملت لغة القرآن الكريم على مادة خصبة من صيغ التفضيل، تربو على أربعمئة وخمسين، انبثت في أساليب مختلفة.

---

[1] البقرة 240 .
[2] ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم 214.
[3] ينظر: البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل 81.
[4] ينظر: أبو البقاء العكبري: التبيان في إعراب القرآن :192/1.
[5] ينظر: د محمود توفيق محمّد سعد: صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم 57.

ولا شكّ أنّها في مواقعها الخاصّة بها قد منحت المعنى بلاغة والبيان قوّة، وسنحاول فيما يلي تتبع بعض نماذجها لاكتشاف بعض دلالاتها وقيمها البلاغية.

أحبّ

تدور معاني مادة "حبب" حول المودّة والإيثار، يقال أَحَبَّ الشَيْءَ واسْتَحَبَّهُ بمعنى فَضَّلَهُ فكان قَرِيبًا إلى قلبه، ويُقال اسْتَحَبَّ الشيءَ على الشيءِ بمعنى آثَرَهُ عليه[1].

وقد ورد اسم التفضيل "أحبّ" ثلاث مرّات في القرآن الكريم، وقد اقترن في هذه الثلاث ب "من" التفضيلية الجارّة للمفضل عليه، من ذلك قوله تعالى: ﴿قالَ ربِّ السجن أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الجَاهِلِينَ﴾.[2]

وقد بيّنت هذه الآية موقف يوسف عليه السلام وهو بين الوقوع في المعصية والسجن، وكلاهما شرّ، لهذا فقد رأى بعض المفسرين أنّه لا يمكن حمل اسم التفضيل على ظاهر معنى المفاضلة في الحبّ، ويقدّر المعنى بأنّه إذا كان لا بدّ من التزام أحد الأمرين فالسجن أولى وآثر لكونه أخفّ الشرّين، وتفضيل السجن كان نظرا لعاقبة الأمور لا لظاهرها[3]، وبهذا التأويل، فالدلالة السياقية للحب في هذه الآية هي الإيثار فيكون المعنى المراد أنّ السجن آثر، أو هي القلّة والمعنى أن السجن أقلّ شرًّا من الفاحشة[4].

والحقّ ما قاله هؤلاء المفسرون في أسباب ورود هذا التفضيل، فقد فَضَّلُ يوسف عليه السلام السجن نظرًا لعاقبة الأمور لا لظاهرها، لكن يبدو أنّ دلالة المفاضلة في الحبّ هي المقصودة، فقد أحَبّ يوسف السجن حقيقةً، لأنه المكان الذي يبعده عن الفاحشة، وجاء اسم التفضيل "أحبّ" ليُبلغ في الدلالة على عفّة يوسف، فقد أحبّ السجن، بل وجده أحبّ إلى نفسه لئلاّ يقع في المعصية[5].

ولو أريد غير هذا المعنى، لجيء بأسماء تفضيل أخرى تغني عن التأويل، مثل آثر أو أسهل أو أهون أو أقل شرًّا، وواضح أنّ الغرض بها يفوت، كما أنّ الكلام لو لم يُخرج مخرج المفاضلة، لما أفاد تحقق العفّة، فما طلب من يوسف أمرٌ مرغوب أيضا.

---

[1] ابن منظور: اللسان: 289/1 مادة حبب.
[2] يوسف 33.
[3] ينظر: الفخر الرازي: التفسير الكبير: 126/5 والبيضاوي أنوار التنزيل وأسرار التأويل 326.
[4] ينظر: الدامغاني: قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه النظائر 114.
[5] ينظر: توفيق محمد الجوهري سبع: أفعل التفضيل في القرآن 246، مقال بمجلة كلية اللغة العربية جامعة محمد بن سعود الإسلامية عدد12.

أحرص

الحرص لُغَةً شِدّة الإرَادَةِ والشَرَهِ إلى المطلوب، يقال حَرِصَ يَحْرِصُ حِرْصًا، فهو حَرِيصٌ والحِرْصُ الجَشَعُ كذلك[1].

وقد ورد اسم التفضيل "أحرص" في موضع واحد سن القرآن الكريم، هو قوله تعالى: ﴿ولتجدنَّهم أحرصَ النَّاس عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُم لو يُعَمَّرَ ألف سنة وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِه مِنَ العَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾[2].

وقد وصفت هذه الآية اليهود بشدّة الحرص على الحياة الدنيا، لعلمهم بمآلهم السيّئ في الآخرة، وهم أكثر حرصا على الدنيا من المشركين[3].

والملاحظ أنّ التفضيل في الحرص في هذه الآية، جاء بصورتين:

- الأولى أضيف فيها اسم التفضيل إلى ما بعده في قوله " أحرص الناس" وهو دالٌ على تفضيل مطلق.
- والثانية ذكر فيها المفضول مجرورا بمن التفضيلية، وهو لفظ المشركين، إذ التقدير "وأحرص من الذين أشركوا أيضا"[4].

ولعبد القاهر الجرجاني كلام نفيس في هذه الآية، حدّد فيه سبب تنكير لفظ حياة، والدلالة الزمنية لاسم التفضيل فيها، يقول : "وجدتُ لهذا التنكير أن قيل على حياة حسنا وروعة.. والسبب في ذلك أنّ المعنى على الازدياد من الحياة لا الحياة من أصلها، ذلك أنّه لا يحرص عليه إلا الحيُّ، فأما العادم للحياة فلا يصحُّ منه الحرص على الحياة ولا على غيرها؛ وإذ كان كذلك صار كأنه قيل ولتجدنهم أحرص الناس ولو عاشوا ما عاشوا على أن يزدادوا على حياتهم في ماضي الوقت وراهنه حياة في الذي يستقبل... فلا يُحرص على الراهن ولا الماضي، وإنما يكون الحرص على ما لم يوجد بعد"[5].

ومن هذا الكلام يمكن القول أن أفعل التفضيل في هذه الآية قد دلَّ على الاستقبال الزماني، بقرينة لفظية هي تنكير لفظ الحياة، الدالّ على جزء من الحياة هو الحياة المستقبلية المأمولة.

وقد أضيف اسم التفضيل أحرص إلى اسم جنس معرفة هو لفظ الناس، مما أضفى عليه دلالة التفضيل المطلق.

---

[1] ابن منظور: اللسان: 11/7 مادة حرص.
[2] البقرة 96.
[3] ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم 99.
[4] ينظر: سميح عاطف الزين: الإعراب في القرآن الكريم 623.
[5] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز: 288-289.

وقد جاء التعبير به حاملا لتوبيخ عظيم لليهود، لأنّ حرصهم تجاوز حرص كل الناس على الحياة، بل وتجاوز حرص المشركين عليها كذلك، فاليهود وهم مُقِرُّون بالجزاء، متصفون بالحرص الزائد، حقيقون بأعظم الذمّ[1].

وتنكير لفظ حياة في الآية زيادة في تحقيرهم وذمهم فقد ازداد حرصهم على حياة أيّ حياة، وإن كانت في بؤس وشقاء[2].

أحسن

الحسن لغة نقيض القبح، والحسن كذلك نعت لما حَسُنَ، يقال حَسُنَ يَحْسُنُ حسنًا فهو حاسنٌ وحَسَنٌ[3].

وقد ورد اسم التفضيل "أحسن" في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، وبتراكيب متنوعة، فقد جاء مضافا إلى المعرفة وإلى النكرة، وورد ناصبًا للتمييز، وكذا جاء بمعنى الصفة المشبهة عاريا عن معنى المفاضلة.

ومن صورة المتعددة في القرآن نأخذ مثلا قوله تعالى: ﴿نحن نَقُصّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذا القُرآنَ وإن كنت من قبله لمن الغافلين﴾.[4]

والخطاب في هذه الآية للرسول ﷺ، والمعنى أن الله أنزل عليه القرآن مشتملا على أحسن وأبدع القصص[5].

وقد جاء اسم التفضيل "أحسن" في هذه الآية مضافا إلى اسم معرفة هو لفظ القصص. وهذا اللفظ هو مفتاح دلالته، ذلك أنّ القَصَص يحتمل أن يكون مصدرا، إذ يقال قَصَّ الحديث يَقُصُّهُ قَصًّا وقَصَصًا إذ ساقه وطرده، ويكون المعنى نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص، فالحسن يعود على حسن البيان واللغة وفصاحة الألفاظ إلى حدّ الإعجاز[6].

ويحتمل أن يكون القَصَصُ بمعنى اسم المفعول، ويصير المعنى: أحسن ما يُقَصُّ لما فيه من العبر والنكت والحكم والعجائب التي ليست في غيره[7].

ولنا أن نحمل دلالة التفضيل المطلق باسم التفضيل "أحسن" على المعنيين، فيكون التعبير به قد رفع السورة إلى قمة الحسن في موضوع قصتها، وكذا في أسلوبها وفصاحتها وبيانها.

---

[1] ينظر: الزمخشري: الكشاف: 298/1.
[2] ينظر: محمد رشيد رضا: تفسير المنار: 390/1.
[3] ابن منظور:13/114-115 مادة حسن
[4] يوسف 3.
[5] ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم 742.
[6] ينظر: الفخر الرازي: التفسير الكبير: 102/5
[7] البيضاوي : وانوار التنزيل وأسرار التأويل 321.

ومما ورد فيه اسم التفضيل "أحسن" ناصبا للتمييز قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[1]، والمعنى أنّ الأرض زُينت ليبتلي الله الناس فيمتاز أشدّهم للدنيا تركا وأزهدهم وأقنعهم فيها[2].

ومعلوم أنّ الابتلاء من الله في العمل، إنما هو لتمييز الحسن من السيّئ، وليس مختصا بتمييز الأحسن من الحسن، فكيف أوقع الابتلاء في الآية لتمييز الأحسن؟

والجواب أن التعبير باسم التفضيل جاء للإشعار بأنّ الغاية الأصلية لجعل ما على الأرض زينة لها، إنما هو ظهور كمال إحسان المحسنين[3]. وبعبارة أخرى فقد جاء استخدام اسم التفضيل في هذا الأسلوب لغرض مدح أزهد الناس وأحسنهم في الأعمال الصالحة، وللترغيب في التنافس على الأحسن، حتى جعل كأنه هو محور الابتلاء على الأرض.

أخفى

الدلالة الحسية لمادة خفي تفيد معنيين متضادين؛ أحدهما الستر و الثاني الإظهار، يقال خَفِيَ يَخْفَى إذا استتر، و خَفِيَ كذلك ظَهَرَ.[4]

وقد ورد اسم التفضيل "أخفي" في موضع واحد من القرآن الكريم، مشتقًا من الخفاء بمعنى الستر، و ذلك في قوله تعالى: ﴿وَ إِنْ تَجْهَرْ بِالقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِرَّ و أَخْفَى﴾[5]، والمعنى العام لهذه الآية أنَّ الله يَعْلَمُ ما يُسِرُّه الإنسان، و ما هو أخفى من السرّ، كحديث النفس، وما قد يكون سرًّا في المستقبل.[6]

والملاحظ أن اسم التفضيل في هذه الآية جاء غير مقترن بشيء من المعمولات، لذا يمكن اعتباره صفة عارية عن معنى التفضيل، كما يمكن أن يكون على أصله في التفضيل مع تقدير من تفضيلية جَارَّة لِمَفْعُولٍ محذوف، و التقدير يَعْلَمَ السِرَّ و أخفى مِنْهُ.[7]

وبهذين الاحتمالين، فقد جاء اسم التفضيل "أخفى" في هذا السياق ليصف الله بعلم من يَعتقد الإنسان خَفَاءه كالأسرار، و بعلم ما هو دون ذلك و أخفى منه.

وقد جاء اسم التفضيل نكرَةً لاستكمال هذا المعنى، و شموله لكل شيء أخفى من السرّ.

---

[1] الكهف 07.
[2] ينظر البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل399.
[3] ينظر الألوسي البغدادي: روح المعاني: 207/15.
[4] ابن منظور: اللسان 234/14 مادة خفى وينظر أحمد بن فارس: المقاييس: 202/2.
[5] طه: 07.
[6] ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم 932 و الألوسي البغدادي: روح المعاني: 162/16.
[7] ينظر: توفيق محمد الجوهري سبع: أفعل التفضيل في القرآن الكريم 271 مقال بمجلة كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية.

أعلم

العلم لغة نقيض الجهل، يقال عَلِم يعْلَمُ عِلْمًا، ويقال رجل عالم وعليم وَ عَلاَّم وَعَلاَّمةٌ إذا بالغت في وصفه بالعلم، و العالم و العليم و العلاَّم من صفات الله عز وَجلّ.[1]

و قد ورد اسم التفضيل أعلم في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، و أُجْرِي في كُلِّها وصفًا لله تعالى، من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[2]، والمعنى أن الله هو أعلم بالفريقين؛ فريق الهدى و فريق الضلال، والتفضيل في العلم بكثرته وإحاطته بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها، و لزومه و كونه بالذات لا بالغير.[3]

ويفهم من هذا الكلام أن اسم التفضيل أعلم قد أفاد المبالغة في العلم وثبوته للموصوف به و هو الله، و إحاطته بكل ما يمكن أن يتعلق العلم به.

وقد أكّد معنى تفرّد الله بهذه الأعلمية بضمير الفصل هو في قوله ﴿هو أعلم﴾، وهو ضميرٌ أفاد في هذا السياق قَصْر المسند على المسند إليه، فالأعلمية بالضالين والمهتدين مقصورة على الله.[4]

و إذا سلَّمْنا بدلالة التفضيل "أعلم" على المبالغة و ثبوت الصفة، فأين هي دلالة التفضيل فيه، خاصّة إذا علمنا أن ليس لله مشارك في صفاته فيقارن به؟

والجواب عن هذا الإشكال أن يقال أن فيه دلالة تفضيلية بالتأويل فقوله تعالى:﴿أعلم بالمهتدين﴾، معناه أعلم بهم من غيرِهِ العالم ببعض أحوالهم؛ فالمشاركة في مطلق علم.[5]

و في ضوء ما سبق، يمكننا أن نخلص إلى القول بأنَّ اسم التفضيل قد دَلَّ على تفضيل مطلق لعلم الله؛ إذ لم يرد في استعماله في القرآن ذكر لمَفْضُول، و لا ذكرٌ لمضاف إليه، و تقترب دلالته أكثر من دلالة الصفة المشبهة مع إفادة المبالغة في الإحاطة بالمعلومات، و التفرّد بهذه الصفة.

أزكى

الزكاة لغةً الطهارة و النماء والبركة و المدح، يقال زَكَا يَزْكُو زَكَاءً، و الزكاة الصلاح أيضًا، يُقَال رَجُلٌ زَاكٍ أي تقيٌّ صالح.[6]

---

[1] ابن منظور: اللسان: 12/416-417 مادة علم.
[2] الأنعام 117.
[3] ينظر: البيضاوي: أنوار التنزيل و أسرار التأويل 214.
[4] ينظر: محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير و التنوير: 29/8.
[5] ينظر: توفيق محمد الجوهري سبع: أفعل التفضيل في القرآن الكريم 267 مقال بمجلة كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
[6] ينظر: اللسان:14/358 مادة زكى.

وقد ورد اسم التفضيل "أزكى" أربع مرّاتٍ في القرآن الكريم، و قد جاء في هذه الأربع في سياق آياتٍ وقعت خطابًا للمؤمنين، من ذلك قوله تعالى:﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[1]، وقوله تعالى أيضا:﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾.[2]

وقد ذكرت الآية الأولى أحكام الاستئذان على البيوت، و أخبرت أنّ الرجوع عنها؛ إذا انعدم الاذن، بالأزكى، أي الأطهر مما لا يخلُو عنه اللجّ و العناد و الوقوف على الأبواب بدون إذن من دنس ودناءة، فالرجوع في هذه الحالة أنفع للمؤمنين في الدين والدنيا[3].

وكذلك أخبرت الآية الثانية عن غض البصر بلفظ الأزكى، أي الأطهر من دنس الريبة وأنفع في الدين والدنيا[4].

وبهذا يمكننا أن نقول أن أفعل التفضيل في الآيتين قد دلّ على المبالغة في الزكاء والطهر لمن التزم بخلقي الاستئذان وغض البصر، كما أفاد تفضيلا مطلقا لهذين الخلقين في الطهر والبعد عن الشبهة، عن سائر ما يعتقد أنه نافع في تلك المواقف.

أشد

من المعروف نحويا أن صيغة "أشد" هي إحدى الصيغ المستعملة للتوصل إلى تفضيل ما زاد على الثلاثة من الأفعال، بنصب مصدر هذه الأفعال المزيدة تمييزا لها[5].

ومما يلاحظ على اسم التفضيل "أشدّ" في القرآن أنه أتى بوجهين:

أ- أحدهما في تفضيل ما زاد عن الثلاثة من الأفعال، من ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾[6]، فأشدّ مستعملة في التفضيل من الفعل ثبت المزيد، وهو استعمال لها في بابها.

ب- الثاني مجيئها في تفضيل ما استوفى شرط الثلاثية من الأفعال، من ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾وهذا الصنف الثاني من اسم التفضيل "أشد" هو الذي يسترعي انتباهنا.

---

[1] النور 28.
[2] النور 30.
[3] ينظر: الألوسي البغدادي: روح المعاني: 137/18.
[4] نفسه:139/18.
[5] ينظر: مصطفى الغلاييني: جامع الدروس العربية :195/1.
[6] النساء 66.

وقد شبّهت الآية التي ورد فيها، قلوب بني إسرائيل بالحجارة أو بما هو أشدّ منها قسوة لعدم قبول الموعظة والاعتبار.

"وإنما لم يقل أقسى لما في أشد من المبالغة والدلالة على اشتداد القسوتين واشتمال المفضل على زيادة في شدة القسوة بله فيها"[1].

وفي هذه الآية كذلك كلام نفيس للعلامة أبي حيان[2] يعلل به وجه إيثار القرآن لكلمة أشدّ مع الفعل المستوفي شرط الثلاثية، فيما ورد فيه دون التفضيل منه مباشرة يقول : " "أو" في قوله تعالى: ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ للتنويع وكأن قلوبهم على قسمين: قلوب كالحجارة قسوةً وقلوب أشدّ من الحجارة قسوةً؛ فأجمل ذلك في قوله ثم قست قلوبكم، ثم فصّل ونوّع إلى مشبه بالحجارة، وإلى أشدّ منها، إذْ ما كان أشدّ كان مشاركا في مطلق القسوة ثم امتاز بالأشدية، وانتصاب قسوة على التمييز"[3].

ونستطيع أن نفهم من كلام أبي حيّان هذا أنّ الإتيان بأشدّ مع الفعل المستوفي الشرط هنا، إنما جيء به قصدا، لأنّ التفضيل باعتبار الأشدّية وليس باعتبار التمييز الذي هو مصدر الفعل "قسى"؛ أي لما كان التفاضل في الأشدّية جاء في هذا الاستعمال لأمرٍ معنويّ، وليس مجيئه لأنه جائز صياغة دون غرض بلاغي.

ونستطيع أن نقطع بهذا الفهم حين نمضي مع أبي حيان في كلامه الذي نقله عن الزمخشري حيث يتساءل في هذا الموضع بعينه قائلا :"فإن قلت لم قال أشدّ قسوة ولم يقل أقسى مع أن فعل القسوة مما يخرج منه أفعل التفضيل مباشرة؛ قلت لكونه أبين وأدلّ على فرط القسوة، ووجْه آخر وهو أنه لا يقصد معنى الأقسى، ولكن قصد وصف القسوة بالشدّة؛ كأنه قيل اشتدت قسوة الحجارة وقلوبهم أشدّ قسوة"[4].

وقد بيّن هذا الكلام القيمة البلاغية لاسم التفضيل أشدّ، ويمكن أن نستنتج منه أن لغة القرآن الكريم، إذا جاءت باسم التفضيل أشدّ ونحوه مع الفعل المستوفي الشروط، فإنه يقصد التفضيل في معناها وليس في معنى مصدر الثلاثي المنصوب تمييزا لها.

أقسط

تدل مادة "قسط" على معنيين متضادين أحدهما القِسْطُ العَدْلُ فيقال أَقْسَطَ يُقْسِطُ، بمعنى عَدَلَ، والقِسْطُ الجَوْرُ، والقُسُوطُ العُدُولُ عَنِ الحَقّ[5].

---

[1] البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل 38.

[2] أبو حيان هو محمد بن يوسف بن علي الغرناطي الجياني نحوي ولغويّ ومفسّر ومحدّث ومقرئ ومؤرخ وأديب، ولد في نواحي غرناطة سنة 654هـ، وتوفي بالقاهرة سنة 745هـ ينظر عادل نويهض: معجم المفسرين 655.

[3] أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط: 262/1.

[4] نفسه : 262/1.

[5] ينظر: أحمد بن فارس معجم مقاييس اللغة: 85/5-86.

وقد ورد اسم التفضيل "أقسط" في موضعين من القرآن الكريم، وكلاهما من "القسط" بمعنى العدل، من ذلك قوله تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾[1]، وقد اشتملت الآية على أمر من الله تبارك وتعالى بردِّ نسب الأدعياء من الأبناء إلى آبائهم فذاك هو العدل والقسط والبرّ[2].

وقد رأى بعض اللغويين أنّ اسم التفضيل "أقسط" في الآية إذا كان بمعنى "عَدَلَ" فهو مشتق من الفعل الرباعي أقسط المزيد بهمزة الإزالة ومعناه أزال القسط أي الجور، وهو بهذا شاذّ عن القياس، والحق أنَّهُ قد ورد في اللغة "قَسطَ" ثلاثيا بمعنى عدل، فيكون الاشتقاق في الآية قياسيا وهو اللائق بكلام الله تعالى، للبعد به عن وصف الشذوذ[3].

والغرض من اسم التفضيل في هذه الآية هو الدلالة الزيادة مطلقا في العدل[4]؛ فهو تفضيل مطلق، عن كل ما يتوقع دخوله تحت دائرة العدل في التبني، مع إفادة المبالغة في هذا المعنى والكمال فيه.

أنكر

ورد اسم التفضيل "أنكر" في موضع واحد من القرآن الكريم، في سياق آيات جاءت على لسان لقمان الحكيم وهو يوصي ابنه، وذلك في قوله تعالى: ﴿واقْصِدْ فِي مَشْيِكَ واغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الحَمِيرِ﴾[5].

وفي هذه الآية وصيّة من لقمان لابنه بالمشي العدل الوسط، وغَضِّ الصوت وعدم رفعه، فغاية من رفع صوتُه أن يشبّه صوته بصوت الحمار في علوّه[6].

وجاء وضع اسم التفضيل في الآية وضعا بليغا محكما يؤكّد معنى الوصية ويجلّيه، فبعد أن أمَرَ سبحانه بالغضّ من الأصوات، كان لابد من أن يُقَبّحُ الأصوات المزعجة الجهيرة، فجاءت كلمة "أنكر"، بما تؤدّيه من معنى البشاعة والتنفير، موصلةً إلى الغرض المقصود من أقرب طريق، إذ أعْطت تشبيها ضمنيًّا بأن من يرفع صوته هو كحمار يرسل نهيقَهُ[7].

---

[1] الأحزاب 5.
[2] ينظر: ابن كثير: تفسير العظيم 1156.
[3] ينظر: توفيق محمد الجوهري سبع: أفعل التفضيل في القرآن الكريم: 258 مقال بمجلة كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عدد 12.
[4] ينظر: الألوسي البغدادي: روح المعاني: 148/21.
[5] لقمان 19.
[6] ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: 1141.
[7] ينظر توفيق محمد الجوهري سبع: أفعل التفضيل في القرآن الكريم 291.

وبهذا فقد دلت كلمة "أنكر" على الزيادة وبلوغ أَنْكَرِ النُكْرِ، ولا يمكن لصيغة أخرى أن تحلّ محلّها في هذا السياق.

أوهن

الوهنُ لغة الضُّعْفُ، يقال وَهَنَ يَهِنُ وهْنًا، ضَعُفَ في الأمر والعمل والبدن[1].

وقد ورد اسم التفضيل "أوهن" في موضع واحد من القرآن الكريم هو قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ العَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ البُيُوتِ لَبَيْتُ العَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[2].

وهذه الآية مثل ضربه الله تعالى للمشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله، يرجون نصرهم ورزقهم، فهم في ذلك كبيت العنكبوت في ضعفه ووهنه[3].

فقد شبهت الآية ما اعتمده الكفار في دينهم ببيت العنكبوت، وجاء اسم التفضيل "أوهن" بعد هذا التشبيه ليكسبه دقّة وروعة وتأكيدا؛ لأن التشبيه لم يزد أن وصف حجة الكافرين بالضعف، أمّا صيغة "أفعل" فقد بينت أنّ ذلك أضعف الضعف.

ومن خلال دراستنا لهذه النماذج، ومن خلال تأملنا لما ورد من أسماء التفضيل في القرآن الكريم يمكننا أن نؤكد على الحقائق التالية:

1) جاءت أسماء التفضيل في القرآن تحت أربعة نماذج تركيبية هي:

أ- المجردة من "أل" والاضافة ومعها "من" التفضيلية التي تدخل على الاسم المفضول.

ب- المجردة من أل والإضافة، وليست معها من التفضيلية صراحة، بل مقدّرة.

ج- المضافة إلى النكرة وهي قليلة وإلى المعرفة.

د- المقترنة بأل.

وقد خدم كل قسم من هذه الأقسام أغراضا بلاغية خاصة.

2) لم يرد في القرآن الكريم إعمال لاسم التفضيل في المرفوع الظاهر، واقتصر عمله الرفع على الضمير المستتر، وقد أعمل في التمييز وعدي بحروف الجرّ.

---

[1] أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة:149/6.

[2] العنكبوت 41.

[3] ينظر: ابن كثير تفسير القرآن العظيم 1120.

3) جاءت بعض صيغ التفضيل بغير دلالتها الأصلية، عارية من معنى التفضيل؛ فدلت في سياقات قرآنية على معنى الصفة المشبهة، كما فُقدت المشاركة في الصفة بين المفضل والمفضول في سياقات أخرى.

ثالثا- أسماء الأفعال :

تشكِّلُ أسماء الأفعال مجموعة لغوية خاصة، فهي كلمات جامدة تقبل علامات الأسماء ولا تدل مثلها على معنى وذات، بل تدل على حدث وزمان، وهي بهذا تقوم مقام أفعالها في المعنى والعمل.

ومن خلال تتبعنا لورودها في القرآن، وجدنا أنّ عددها أقلّ بكثير من عدد أيّ من المشتقات العاملة عمل فعلها، مع وجود خلاف في كون بعضها اسم فعل في السياق القرآني الذي ورد فيه.

وسنحاول تبين بعض الدلالات والقيم البلاغية لبعض من أسماء الأفعال الواردة في القرآن من خلال النماذج التالية:

عليكم

يصنّف اسم الفعل "عليك" ضمن مجموعة أسماء الأفعال المنقولة، ذلك أن أصله جار ومجرور، ثم انتقل إلى الدلالة على معنى فعل الأمر؛ فهو بمعنى ائت[1] أو خذ[2] أو بمعنى الزم وتمسك[3].

وبهذا المعنى الأخير جاء اسم فعل الأمر "عليك" في القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[4].

والمعنى يا أيّها المؤمنون احفظوا أنفسكم والتزموا إصلاحها، فلا يضركم أهل الضلال إذا كنتم مهتدين[5].

فمعنى "عليكم أنفسكم" هنا هو التزموا أمر أنفسكم، والسبب البلاغي للتعبير باسم الفعل بدل فعله الذي بمعناه، أنه لما كان لزوم المسلم حال نفسه وإصلاحها بعد قيامه بما

---

[1] ينظر سيبويه :الكتاب: 250/1.
[2] ينظر: المبرد: المقتضب:205/3.
[3] ينظر ابن مالك تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد 213 وعباس حسن النحو الوافي: 147/4.
[4] المائدة 105.
[5] ينظر: البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل 193.

فُرض عليه، أصلَح له ولأمته وأدخلَ في التسليم بما قضي الله، كان طلب هذا اللزوم بالغا، فأعرب عنه بالعدول عن فعل الأمر "التزموا أنفسكم" إلى اسم فعل الأمر "عليكم"[1].

فاسم فعل الأمر "عليكم" أقوى دلالة من الفعل الذي بمعناه، وأقدر منه على الجزم في الطلب والمبالغة فيه.

مكانكم

ينتمي اسم الفعل "مكانك" إلى مجوعة أسماء الأفعال المنقولة، لأنّ أصله ظرف مكان، ثم نقل للدلالة على الأمر بالثبات في مكان واحد[2].

وقد ورد اسم الفعل "مكانكم" مرة واحدة في القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾.[3]

وفي هذه الآية إخبارٌ من الله أنه سَيَحْشُر يوم القيامة الفريقين؛ المؤمنين والمشركين، ويقول للمشركين التزموا مكانكم حتى تنظروا ما يُفعل بكم[4].

وقد عمل اسم الفعل "مكانكم" عمل فعله اللازم" اُثبت"، فرفع ضميرا مستترا فاعلا له، والضمير البارز "أنتم" توكيدٌ لهذا المستتر، والكاف والميم في محلّ جرّ بالإضافة عند قوم، وهي عند آخرين للخطاب لا محل لها من الإعراب[5].

ومن الناحية البلاغية، يبدو أن الغرض من مجيء اسم الفعل في هذا السياق هو الإبلاغ في طلب حبسهم وثباتهم في مكانهم، والتعنيف عليهم، فلا يستطيعون حراكا بأنفسهم؛فالعدول عن الأمر المباشر بفعل الأمر إلى اسمه، دليل على المبالغة في المعنى؛ فهذا الأمر بالثبات حبسٌ لهم لأجل ما وقع لهم من شرك، ففيه دلالة على التحقير لهم والتهويل لما هو واقع بهم معًا[6].

فقد حمل التعبير باسم الفعل، بالإضافة إلى الأمر الجازم، إهانةً لمشركين وتهديدا وتخويفا لهم.

---

[1] ينظر: د محمود توفيق محمد سعد: صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم 46.
[2] ينظر عباس حسن: النحو الوافي: 149/4.
[3] يونس 28.
[4] ينظر: البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل 291.
[5] ينظر: أبو البقاء العكبري: التبيان في إعراب القرآن:2/ 673.
[6] ينظر: د محمود توفيق محمد سعد: صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم 45.

هاؤم

هاؤم اسم فعل أمر بمعنى "خد" وتناول، وفيها لغات هي ها وهاك وهاء، وهذه الأخيرة أفصح اللغات وبها ورد القرآن الكريم[1].

وتلحق اسم الفعل "هاء" حروف خطاب؛ فيقال للمثنى هاؤما وللجمع هاؤم[2].

وقد ورد اسم الفعل "هاؤم" مرة واحدة في القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: ﴿فأَمَّا من أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيمِينِهِ فيقُولُ هَاؤُمُ اقْرَأُوا كِتَابِيهْ﴾[3].

ويخبر الله تعالى في هذه الآية عن سعادة من يؤتى كتابه يوم القيامة بيمينه وفرحه بذلك، وأنه من شدة فرحه يقول "هاؤم اقرأو كتابيه"؛ أي خذوا كتابي فاقرأوه لأنه يعلم أن الذي فيه خير[4].

وقد عمل اسم الفعل "هاؤم" في الآية عمل فعله المتعدي الذي هو بمعناه، ومفعوله محذوف ولفظ كتابيه مفعول اقرأوا لأنه أقرب العاملين، ولأنه لو كان مفعول هاؤم لقيل اقرؤوه، هذا عند البصريين، أمّا الكوفيون فيرون أن مفعوله هو لفظ كتابيه[5].

وأيًّا ما كان مفعول اسم الفعل، فإنه جاء في هذا السياق حاملا لدلالة خاصة، فهو وإن كان اسم فعل طلبي، يبدو في سياق الآية غير مرادًا به حقيقة معنى المبالغة في الأمر كما هو الشأن بالنسبة لأسماء الأفعال الطلبية، ويبدو أقرب إلى الدلالة على إظهار المسرة والابتهاج في ذلك الموقف[6].

فقد خرج التعبير عن عظيم سرور من أوتي كتابه بيمينه في صورة اسم الفعل هاؤم، للإبلاغ في الدلالة على ذلك الحبور والسرور وهو إبلاغ عن موقف انفعالي.

هَلُمَّ

هَلُمَّ اسم فعل أمر عند الحجازيين للزومه صورة واحدة، وفعل أمر عند التميميين لتصرفه تصرف الفعل المضاعف[7].

وتستعمل "هلمّ" لازمة ومتعدية، فالمتعدية تكون بمعنى قرّبة وأحضره وهاته، وغير المتعدية تكون بمعنى إيت وأقبل[8].

---

[1] ينظر: أحمد بن فارس: الصاحبي في فقه اللغة 280 ورضي الدين الاسترابادي: شرح الكافية: 69/2.
[2] ينظر: الكتاب 244/1-251 وجلال الدين السيوطي همع الهوامع:105/2.
[3] الحاقة 19.
[4] ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم 1518.
[5] ينظر: أبو البقاء العكبري: التبيان في إعراب القرآن: 1237/2.
[6] ينظر: د محمود توفيق محمد سعد: صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم 44.
[7] ينظر: سيبويه: الكتاب:529/3 وأبو بكر بن السرّاج: الأصول في النحو: 169/1.
[8] ينظر الزمخشري: المفصل في صنعة الإعراب 152 وجلال الدين السيوطي: الأشباه والنظائر: 148/2.

وقد ورد اسم الفعل "هلمّ" في موضعين من القرآن الكريم، وجاء بلغة الحجازيين في كليهما، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُم الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلاَ تَشْهَدْ مَعَهُم وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[1].

واشتملت الآية على تحدٍّ للمشركين، للإتيان بمن يشهد لهم أنَّ الله حرّم ما زعموا أنه محرّم من الأنعام، وفي طلب إحضار الشهداء إلزام لهم بالحجة وإظهار أنه لا متمسّك لهم كمن يُقلّد، ولذلك قيّد الشهداء بالإضافة إليهم لزيادة تعجيزهم، لأنّ شأن المحق أن يكون له شهداء يعلمهم فيحضرهم ؛ووَصَفَ الشهداء بما يقتضي العهد بهم وهو قوله "الذين يشهدون" لزيادة تقرير معنى إعداد أمثالهم للشهادة، فالطالب أنزل نفسه منزلة من يظنّهم لا يخلون عن شهداء بحقّهم من شأنهم أن يشهدوا لهم، وذلك تمهيد لتعجيزهم[2].

وقد اقتضى هذا السياق المفعم بالتحديّ، الإبلاغ في دعوة المشركين لإحضار من يشهد لهم بما ادّعوه؛ لهذا عدل عن التعبير بفعل الأمر المعهود "أحضروا" إلى اسم فعله ليكون بما فيه من البلاغ في الدعوة والتحديّ، وتبيان زيفهم وعجزهم وبهتانهم، مناسبًا لدحض افترائهم[3].

فاسم الفعل "هلم" لا يحمل معنى طلب إحضار الشهداء بأن الله حرّم ما زعمه الكفّار حراما فحسبُ، بل هو يجمع إليه الإبلاغ في هذا الطلب، وإعلان التحديّ والمواجهة لإقدامهم على الافتراء على الله، وهو ما يقصُر دونه فعل الأمر "أحضروا".

هيت

هيت اسم فعل أمر بمعنى أسرع وتعال إليَّ، وفيها لغات أخرى يقال: هَيْتَ وهَيَّتَ وهَيَّا وهِيَّا وهَيْكَ وهَيَّكَ[4].

وقد ورد اسم الفعل هيت في موضع واحد من القرآن الكريم، هو قوله تعالى: ﴿وراوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتْ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هِيتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾[5].

---

[1] الأنعام 150، وقد جاءت "هلُم" كذلك في قوله تعالى " قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانكم هلمّ إلينا" الأحزاب 18 وهي هنا لازمة بمعنى إيت وأقبل. ينظر: رضي الدين الاسترأبادي: شرح الكافية: 72/2.

[2] ينظر: البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل 219 ومحمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: 153/8.

[3] ينظر: محمود توفيق محمد سعد: صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم 39.

[4] ينظر:ابن عصفور الإشبيلي: المقرّب في النحو: 132/1..

[5] يوسف 23.

وقد صوّرت هذه الآية أروع مشهد من مشاهد الاستعفاف والطهر ليوسف عليه السلام إذ دعته امرأة العزيز إلى نفسها، فأكثرت وبالغت في إغلاق الأبواب، وطلبت من يوسف أن يبادر ويُقبل إليها، لكنه عليه السلام أعرض عنها خوفا من الله وحفظا لعهد سيّده[1].

وأعربت الآية عن حال امرأة العزيز فيما حاولته من إغراء وفتنة، بالإخبار عن قولها باسم الفعل "هيت لك"، وهو بمعنى بادر وأسرع، وهو أبلغ في الدلالة على طلب الإسراع[2].

وبالإضافة إلى الدلالة على طلب المبادرة، فإنّ في اسم الفعل هيت دلالة على التمكين، ونستأنس لهذه الدلالة بقراءة من قرأ هِئْتُ بمعنى تهيّأت لك[3]. وهذه القراءة، وإن أخرجت "هيت" من كونه اسم فعل، فهي تعكس وجها من جوه الدلالة.

لهذا يمكن القول أن "هيت" قد حمل معنى أسرع وبادر وتعالى إليّ فقد تهيأت لك.

وبقدر ما صور اسم الفعل هذا الكمّ من معاني الاستعداد للفتنة والإغراء، فإنه قد أبرز في المقابل عفة يوسف عن ذلك كله. ولو جاء الطلب بفعل الأمر "أسرع" مثلا لَمَا أبلغ في الدلالة عن ذاك الإغراء.

هيهات

يذكر النحاة أن هيهات اسمُ فعلٍ بمعنى بَعُدَ، وفيها لغات أخرى كأَيْهَاتَ، وإِيهَاتَ وأَيْهَا وأَيْهَاكَ[4].

وقد ورد اسم الفعل الماضي "هيهات" مرّتين في القرآن الكريم، في موضع واحد هو قوله تعالى: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لما تُوعَدُونَ﴾[5].

وقد جاءت هذه الآية على لسان ملأ من عاد أو ثمود، الذين خاطبوا قومهم لحضّهم على إنكار الآخرة وتكذيب رسولهم بالقول: "هيهات هيهات لما توعدون"، والمعنى بَعُدَ التصديق أو الصحة لما توعدون من أمر الجزاء في الآخرة[6].

وعَمِلَ اسم الفعل هيهات في الآية عمل فعله اللازم بعد، وفاعله إما ضمير مستتر فيه عائد على محذوف تقديره التصديق أو الوقوع، أو هو "ما" الموصولة، واللام زائدة والمعنى بعد ما توعدون من البعث[7].

---

[1] ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم 747.
[2] ينظر: د محمود توفيق محمد سعد صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم 44.
[3] ينظر: الفرّاء: معاني القرآن:46/2.
[4] ينظر: المبرد: المقتضب: 182/3 وابن مالك: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد 211.
[5] المؤمنون 36.
[6] ينظر: البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل 464.
[7] ينظر: أبو البقاء العكبري: التبيان في إعراب القرآن:2/ 954.

وأيًّا ما كان فاعل اسم الفعل "هيهات"، فإنّ دلالته في هذا السياق لا تقف عند حدود الدلالة على معنى الفعل الماضي "بَعُدَ"، بل تتعداه إلى الدلالة على المبالغة في هذا البعد، ففيه معنى؛ بَعُدَ بعدا لا يمكن تصوره، مع الدلالة على التعجب من هذا البعد، فالفرق بين بعد وهيهات هو فرق بين الخبر والإنشاء[1].

ويمكننا الآن أن نخلص إلى القول أنّ الكفّار أنكروا البعث إنكارا شديدا واستبعدوه، وتعجبوا من بعده السحيق عنهم، فأوجزت لغة القرآن الكريم الدلالة على هذه الأغراض في كلمة واحدة، هي اسم الفعل "هيهات"، مُؤَكّدًا تأكيدا لفظيا.

وبعد تطرقنا لهذه النماذج من أسماء الأفعال في القرآن الكريم، يمكننا التأكيد على الحقيقيتين التاليتين :

1- لقد دلّ أغلب ما جاء من أسماء الأفعال في القرآن على الأمر، وهي الدلالة التي ذكر النحويُّون أنَّها الأكثر فيها.

2- امتازت أسماء الأفعال في السياقات القرآنية التي وردت فيها بإفادة معنى أبلغ من أفعالها التي هي بمعناها، وكلها تصنف كأساليب إنشائية بعيدة عن الإخبار البسيط.

رابعا: أسماء المفعولات:

لقد جاء استعمال اسم المفعول في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، لكنه لم يَأت معملا عمل فعله إلا مرات قليلة، وسنحاول التطرق لبعض أمثلته، للكشف عن بعض دلالته وسماته البلاغية في التراكيب اللغوية، وقد قسّمنا النماذج المختارة على قلّتها، إلى أسماء مفعولات من الثلاثي وأسماء مفعولات من غير الثلاثي، جريا على عادتنا في أسماء الفاعلين والمصادر.

1) أسماء المفعولات من الثلاثي:

لقد حفلت لغة القرآن الكريم بهذا الصنف من أسماء المفعولات، ولا شكّ أنها جاءت في سياقاتها حاملة للكثير من الدلالات والسمات البلاغية، وهو ما نحاول الكشف عنه في النماذج التالية:

مجموع

يعدّ اسم المفعول "مجموع" أحد أسماء المفاعيل القليلة التي أعملت عمل فعلها في القرآن الكريم، وقد آثرنا أن نضمّ إليه في الدراسة اسمي مفعول آخرين هما:

---

[1] ينظر تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها 116.

"مشهود" و "معدود"، وذلك لكي لا نفكّ عرى الرباط السياقي بين هذه الثلاث، فقد وردت مجتمعة في سياق آيتين متتاليتين من القرآن، ودراسة الواحد منها ترتبط بدراسة الآخرين، والآيتان هما قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاس وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلاَّ لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ﴾.[1]

ويخبر الله تعالى في هاتين الآيتين أنّ في إنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين عظة واعتبارا لمن آمن بالآخرة، وهي يوم يجمع فيه الناس أوّلهم وآخرهم، ويشهد ذلك اليوم الملائكة والرسل، وما يؤخر هذا اليوم إلا لمدة مؤقتة لا يزاد عليها ولا ينقص منها[2].

وإذا بدأنا باسم المفعول مجموع، نجده من الناحية الإعرابية قد وقع صفة لليوم، ورفع نائب فاعل له هو لفظ الناس[3].

وقد جاءت الجملة التي ورد فيها، وهي جملة "ذلك يوم مجموع له الناس" اعتراضية للتنويه بشأن هذا اليوم، حتى أن المتكلم يبتدأ كلاما لأجل وصفه، واللام في "مجموع" له لام العلة والمعنى يوم مجموع الناس لأجله[4].

وقد أفاد الإخبار عن هذا اليوم بالجملة الاسمية، ثبات وتحقق معنى الجمع، كما أفاد إسناد اسم المفعول إلى نائب فاعل هو لفظ الناس، تمكن تعلق الجمع بالناس، وقد توسط الجار والمجرور بين اسم المفعول ونائب فاعله ليفيد تمكن كون ذلك الجمع لأجل اليوم حتى لقب ذلك اليوم بيوم الجمع، والمعنى العام لقوله "مجموع له الناس" أي مجموعون لأجل ما فيه من المحاسبة والمجازاة[5].

ودلّ اسم المفعول هنا على زمن الاستقبال، بقرينة السياق، وبقرينة نحوية هي التنوين والإعمال، وأفاد وقوع الجمع لا محالة.

وتلى وصف اليوم بجمع الناس له، وصف آخر باسم المفعول كذلك وهو قوله "وذلك يوم مشهود"، والغرض من هذه الجملة زيادة التهويل لليوم الذي يُشهد[6].

وقد طوى استخدامُ اسم المفعول ذكرَ الفاعل، والمراد يشهده الشاهدون؛ إذ ليس القصد إلى شاهدين معينين، والإخبار عن هذا اليوم بهذه الصفة يفيد أنّهم يشهدون شهودا

---

[1] هود 103-104

[2] ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم 737.

[3] ينظر: أبو البقاء العكبري: التبيان في إعراب القرآن:713/2.

[4] ينظر: محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: 161/9.

[5] ينظر: أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، بحاشية التفسير الكبير للرازي: 74/5 والبيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل 317.

[6] ينظر: محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: 161/9.

خاصّا، هو شهود الشيء المهول، إذ لا يقصد الإخبار عنه بمجرد كونه مرئيا، لكن المراد بالوصف "مشهود" كونه مرئيا رؤية خاصة[1].

وزاد اسم المفعول مشهود من هول ذلك اليوم من وجه آخر؛ ذلك أنه "قد يتوقع أن الناس إذا جمعوا في ذلك الوقت لم يعرف كل واحد منهم إلا خاصة نفسه، فبين الله تعالى أن تلك الوقائع تصير مشهودة ومعلومة للكل، بسبب المحاسبة والمساءلة"[2].

وبعد الإخبار عن يوم القيامة بالجمع والشهادة، جاء أخيرا الإخبار عنه بأنه لا يؤخر إلا لأجل معدود، أي أنّ "تأخير الآخرة وإفناء الدنيا موقوف على أجل معدود وكل ما له عدد فهو متناه، وكل ما كان متناهيا فإنه لابد وأن يفنى، وكل ما هو آت قريب"[3].

ومن هنا فقد أفاد اسم المفعول "معدود" إنذارا بقرب هذا اليوم من كل أحد، لأن تعداد الأيام الفاصلة عنه محدود، فهو آت لا محالة.

مفعول

ورد اسم المفعول "مفعول" في سبع مواضع من القرآن الكريم، وقد وقع في كل هذه المواضع خبرا لـــ"كان" مسندا إلى وعد أو أمر الله، وهذا التوافق في هذه السياقات يكشف عن جزء من دلالته، فأمر الله ووعده متحققان لا محالة.

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[4].

وقد اشتملت هذه الآية على وصف لبعض أحداث غزوة بدر، وكيف التقى المسلمون بالكفار في المعركة وذلك ليقضي الله ما أراد بقدرته من إعزاز الإسلام وأهله وإذلال الشرك وأهله[5].

وجاء لفظ الأمر في هذه الآية نكرة فقيل "أمرا"، "والغرض من ذلك تعظيمه، ثم وصف هذا الأمر بجملة "كان مفعولا"، وبما أن الفعل الماضي الناقص "كان" يدل على تحقق ثبوت خبره لاسمه في الماضي، فإنّ معنى "كان مفعولا" هو: أنّه ثبت له في علم الله أنه يفعل، فاشتقّت له صيغة مفعول من فَعَلَ للدلالة على أنّه حين قدرت مفعوليته فكأنه فُعِلَ"[6].

---

[1] ينظر: محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: 161/9.
[2] الفخر الرازي: التفسير الكبير: 90/5.
[3] نفسه : 90/5.
[4] الأنفال 42.
[5] ينظر: ابن كثير: تفسير القرءن العظيم 639.
[6] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير:20/10.

ومن هذا يمكن تلخيص حاصل المعنى المراد بقوله "ليقضي اللهَ أمرًا كان مفعولا" أنه "لينجز اللهُ ويُوقع حدثا عظيما متّصفا منذ القدم بأنّه محقق الوقوع عند إبّانه، أي حقيق أن يُفْعَلَ وكأنه قد فعل"[1].

ونستنتج من هذا الكلام، أنّ استخدام اسم المفعول في هذا السياق أفاد تحقق حدث عظيم، فأُنزل هذا الحدث منزلة ما فُعِلَ، لأنّه لا يمنع ما قدره اللهُ شيءٌ .

2- أسماء المفعولات من غير الثلاثي:

تعدُّ أسماء المفعولات المشتقة من غير الثلاثي، الأقلّ ورودا في القرآن قياسا إلى مثيلاتها المشتقة من الثلاثي، وقد اكتفينا منها في الدراسة بمثال واحد كان هو الوحيد المعمل عمل فعله، وهو اسم المفعول متبّر.

مُتَبَّر

التبار لغة الهلاك، يقال تَبّره تتبيرًا أي كسَّره وأهلكهُ، والتتبير كذلك التدمير[2].

وقد ورد اسم المفعول "متبّر" المشتق من الفعل "تبَّر" المتعدي في موضع واحد من القرآن الكريم هو قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.[3]

والآية على لسان موسى عليه السلام مخاطبا بني إسرائيل، إذ سألوه أن يجعل لهم أصناما يعبدونها، تقليدا لقوم وصفتهم الآية بالتبار أو الهلاك لما هم فيه من الضّلال[4].

ومن وجهة نظر نحوية، يحتمل اسم المفعول "متبّر" إعرابين؛ أحدهما أن يكون خبرا لـ "إنّ"، ووقوعه في هذا الموقع يجعله معتمدا، فيرفع اسم الموصول "ما" نائب فاعل له؛ والثاني أن يكون "متبر" خبرا مقدما و "ما" الموصولة مبتدأ مؤخرا، والجملة كلّها خبر "إنّ"[5].

وقد جاءت جملة هذه الآية تعليلا لمضمون الجملة السابقة لها وهي قول موسى عليه السلام ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[6]، وقد أُكّدت بمجيئها اسمية، كما عُرّف المسند إليه "هؤلاء" بالإشارة، لتمييزهم بتلك الحالة التي هم متلبسون بها أكمل تمييز، والتنبيه على أنهم جديرون بما يرد بعد اسم الإشارة من الأوصاف، وهي كونهم متبّرا أمرُهم باطلا عملُهم[7].

---

[1] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير:20/10.
[2] ابن منظور: اللسان: 88/4 مادة تبر
[3] الأعراف 139.
[4] ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم 591.
[5] ينظر: أبو البقاء العكبري: التبيان في إعراب القرآن:593/1
[6] الأعراف 138.
[7] ينظر: البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 240.

كما قدّم المسند وهو "متبّر"،باعتباره خبرا مقدّماعلى المسند إليه وهو "ما هم فيه" ليفيد تخصيصه بالمسند إليه، والغرض المقصود بذلك هو أنّهم هم المعرّضون للتبار وأنّه لا يعدوهم، وأنّه لهم ضربة لازب[1].

ويحتمل أن يكون اسم المفعول في الآية دالاً على الاستقبال الزماني، فيكون المعنى" إن هؤلاء صائر إلى السوء والهلاك ما هم فيه"[2].

والمستنتج من التفسيرين السابقين أنّ اسم المفعول "متبّر" في هذه الآية، يحتمل الدلالة على معنى الصفة المشبهة، فيكون وصفا لقوم بوقوع الإهلاك بهم وصفا ثابتا في حقّهم، ويكون الغرض منه إفادة التحقّق، كما يحتمل الدلالة على تبار مستقبلي؛ فيكون غرضه تهديد هؤلاء بما سَيَحُلّ بهم من تبار.

وخلاصة القول أن مجيء اسم المفعول في هذه الآية، قد أكّد لحوق الهلاك بهؤلاء القوم حالا أو مآلاً،فأفاد التحذير والتنفير مما طلب بنو إسرائيل.

ومن هذه النماذج ومن تأملنا لما ورد في القرآن من أسماء المفعولات يمكننا الإشارة إلى النتائج التالية:

1- لم يرد في القرآن الكريم إعمال لأسماء المفعولات في المرفوع الظاهر إلاّ في مواضع قليلة، بينما جاءت معلقة عن العمل في باقي المواضع، وهذا ما جعلها أقرب إلى الاسمية منها إلى الفعلية.

2- لقد أدّت معظم أسماء المفعولات في القرآن الكريم وظيفة الوصف بالثبوت، فكانت بدلالتها السّياقية صفات مشبهة ليس لها من اسم المفعول إلاّ صيغته.

3- خصّت لغة القرآن أسماء المفعولات بالسياقات التي أريد فيها طيّ ذكر الفاعل لأغراض بلاغية.

خامسا: الصفات المشبهة:

لقد انبثّ في لغة القرآن الكريم عدد كبير من الصفات المشبهة بصيغ مختلفة، ويكفي أن نعلم أنّ كل ما ورد من صفات الله الحسنى يدخل في بابها، وإن أحدنا لو تتبع كل أمثلتها درسا وتحليلا، فلقد تضطرب أنفاسه وتكبوبه ركائب البحث وأفراسه، لذا فقد اقتصرنا منها على مثالين أوّلها من الثلاثي والثاني من الرباعي، معتمدين في هذا الاختيار على مرتكز العمل النحوي.

---

[1] ينظر: البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 240.
[2] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير:82/9.

بديع

الإبداع لغة إنشاء صنعة بلا احتذاء ولا اقتداء، من ذلك قولهم أبدعت الشيء قولا أوفعلا إذا ابتدأته لا عن سابق مثال، والبديع يقال للمُبْدِعِ، والبَدِيعُ المُحْدَثُ العَجِيبُ، "والبديع" من أسماء الله لإبداعه الأشياء وإحداثه إيَّاها[1].

وقد وردت الصفة المشبهة بديع في موضعين من القرآن الكريم، وهما: قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فإنما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَمَوَاتِ والأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ﴾.[3]

والمعنى العام للايتين أنَّ الله هو مبدع السموات والأرض ومخترعهما بلا مثال يحتذيه؛ فهو سبحانه الخالق المخترع المُنزّه عن الولد.[4]

وبهذا التفسير يكون "بديع" بمعنى مُبدع، فهو فعيل بمنى فاعل، واشتقاقه من أبدع المتعدي.

ويرى الزمخشري أنّ بديع هنا صفة مشبهة وإضافته إلى السموات من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها، والمعنى أن الله بديعُ في السموات والأرض أي أنَّهُ عديم النظير والمثيل فيهما[5].

وقد ناقش الألوسي البغدادي[6] رأي الزمخشري السابق بالقول: "وأنت تعلم أنه قد تقرّر أن الصفة إذا أضيفت إلى الفاعل يكون فيها ضمير يعود إلى الموصوف فلا تصحّ الإضافة إلا إذا صحّ اتّصاف الموصوف بها،... وفيما نحن فيه وإن امتنع اتصافه بالصفة المذكورة لكن يصح اتّصافه بما دلّت عليه وهو كونه مبدعا لهما، وهذا يقتضي أن يكون الأَوْلَى بقاء بديع بمعنى مبدع وهو الذي عليه أساطين اللغة"[7].

ويمكننا أن نخلص إلى القول من كلام هؤلاء المفسرين إلى أن بديع يحتمل أن يكون بمعنى "فاعل" أو بمعنى الصفة المشبهة، وهما دلالاتان من بين الدلالات الخمس لوزن فعيل وهي: المصدر واسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وبمعنى مفاعل[8].

---

[1] ابن منظور: اللسان: 8/6-7 مادة بدع.
[2] البقرة 117.
[3] الأنعام 101.
[4] ينظر: محمد رشيد رضا: تفسير المنار: 650/7.
[5] ينظر: الزمخشري: الكشاف: 41/2.
[6] هو محمود بن عبد الله بن محمود الحسيني الألوسي، شيخ علماء العراق في عصره، مفسّر ومحدّث وفقيه وأديب ولغويّ، نسبته إلى آلوس وهي جزيرة في وسط الفرات، لد ببغداد عام 1217هـ اشتهر بتفسير للقرآن، المسمّى روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، توفي عام 1270هـ ينظر عادل نويهض: معجم المفسرين 665.
[7] الألوسي البغدادي: روح المعاني: 367/1 وينظر جلال الدين السيوطي معترك الأقران في إعجاز القرآن: 622/1.
[8] ينظر: أحمد الحملاوي: شذا العرف في فنّ الصرف 53.

وواضح أنّ الاختلاف السابق إنّما هو في تقدير المعنى الصرفي للصيغة، أهي صفة مشبهة صيغةً ودلالة أم دلالة فقط، ذلك أنّ صفات الله لا يناقش كمالها بله ثبوتها ودوامها.

وقد جاء لفظ "بديع" في الآيتين خبرا لمبتدأ محذوف[1]، ويبدو سبب حذف المسند إليه هنا هو كونه معنيا معلوما حقيقة لدلالة السياق عليه، وهو الله سبحانه وتعالى.

والحقّ أنّ الغرض البلاغي لحذفه لا يقف عند حذف الإيجاز، ذلك أن الآيتين قد وردتا في مقام ردّ حجج المدّعين لله الولد، فقد جاء قبل لفظ بديع قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾[3]، لهذا جاء الردّ بلفظ بديع سريعا قاطعا الطريق أمام كلّ برهة من التردّد، ولو ذُكر المبتدأ لتراخى حبل الكلام ولفترت قوّته، فكان هذا اللفظ وحده بمثابة حركة تطويق للمشركين، سدّد سهم الحجة إلى هدفه، وكان أيضا مغلاقا لما قبله من شبهات المشركين مفتاحا لما بعده من البراهين على وحدانية الله[4]، إذ كيف ينسب الولد لمن أبدع السموات والأرض ومن فيهما أو لمن هو البديع فيهما؟

مختلف

لقد وردت الصفة المشبهة "مختلف" على زنة اسم الفاعل المشتق من "افتعل" في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾.[5]

وقد جاء أسلوب الآية بمقابلة بين صيغة اسم الفاعل "مختلف" بالفعل المضارع "أخرجنا"، وغرض هذه المقابلة "الدلالة على أنّ اختلاف الثمرات والجبال فيما ذكر من الألوان أمر مستمر ثابت، أما إخراج الثمرات المختلفة الألوان فهو أمر يحدث ويتجدّد"[6].

وأعملت الصفة المشبهة "مختلف" عمل فعلها، فرفعت لفظ الألوان فاعلا لها[7]، والملاحظ أنّ لفظ الألوان كان هو فاعل الصفة المشبهة "مختلف" في خمسة مواضع[8] من بين سبعة عملت فيها الرفع.

---

[1] ينظر: أبو البقاء العكبري: التبيان في إعراب القرآن: 527/1.
[2] البقرة 116.
[3] الأنعام 100.
[4] ينظر: د محمد عبد الله درّاز: النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن 123-124.
[5] فاطر 27.
[6] أبو السعود: إرشاد العقل السليم على مزايا القرآن الكريم بحاشية التفسير الكبير للرازي: 399/7.
[7] ينظر: سميح عاطف الزين: الإعراب في القرآن الكريم 662.
[8] هي: النحل 13، 69 وفاطر 27-28 والزمر 21.

ومن بلاغة هذا الإسناد أنه خصّص الإعجاز باختلاف الألوان، والألوان هي الأجناس والأصناف أو الهيئات من صفرة وخضرة وغيرهما، وكل ذلك مما تراه العين المجردة، وقد يخفى عليها سرّه؛ لذا نيط به التعجيب والدعوة إلى التفكر في آيات الله، ولو لم يذكر المرفوع بعد الصفة المشبهة فقيل "مختلفة"، لما كان في الكلام ما يوجه إلى تأمل ميزة خاصة[1].

وبعد تطرقنا لهذين المثالين من الصفات المشبهة في القرآن وبتأملنا لجملة ماورد منها فيه يمكننا الخلوص إلى ما يلي:

1- يمكن تصنيف الصفات المشبهة الواردة في القرآن في صنفين رئيسيين، أوّلهما الصفات المشبهة الأصيلة، وهي التي جاءت على أوزان الصفة المشبهة حاملة لدلالة الثبوت والدوام، فهي صفات مشبهة صيغة ودلالة.

ثانيهما: الصفات المشبهة الملحقة بالأصيلة، وهي كل ما جاء على الأوزان الخاصّة باسم الفاعل أو اسم المفعول، من غير أن يدل على الحدوث، بل يَدُلّ بالقرائن على الثبوت.

2- لم يأت في القرآن إعمال للصفة المشبهة إلا في المرفوع الظاهر، وفي مواطن قليلة، أما إعمالها النصب فلم يرد منه أيّ مثال، وهذا ما يؤكد أن الصفة المشبهة أضعف في العمل النحوي من اسم الفاعل.

[1] ينظر: البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل 573.

الخاتمة

الخاتمة

بعد هذه الدراسة للأسماء العاملة عمل الفعل في القرآن الكريم يمكننا أن نلخص إلى النتائج التالية:

1- إنّ البحث في القرآن الكريم عن صيغ صرفية واستعمالات نحوية بحث من شأنه أن يثري النحو واللغة ويُمِدُّهما بالأساليب الجديدة والصيغ الرائدة ووسائل التعبير المختلفة، ذلك أن لغة القرآن تضع تلك الصيغ في تراكيب تتجلّى فيها بلاغة المعنى وقوّة البيان.

2- لقد أكّدت هذه الدراسة ما يلحُّ عليه العلماء اليوم من أن دراسة خواصّ البنية اللغوية بالاستعانة بقواعد النحو، مرحلة سابقة لدراسة معنى هذه البنية، فكل دراسة تهدف إلى الكشف عن البعد البلاغي والفني لنص ما، لابد أن يمهّد لها بدراسة نحوية للنص نفسه.

3- إنّ الأسماء العاملة عمل الفعل، هي حلقة الوصل بين الأسماء والأفعال، وموقعها الخاص هذا جعلها حاملة لكثير من الدلالات والقيم البلاغية، وبخاصة في القرآن الكريم.

4- إنّ عمل هذه الأسماء النحوي ودلالتها في السياق، يعتبران وجهين لعملة واحدة، فإعمالها يقرب دلالاتها من الفعلية، فيدل اسم الفاعل العامل مثلا على الدوام التجددي وإن لم يكن معملا فهو يفيد الاستمرار الدوامي لا التجددي، ويكون أقرب إلى الاسمية، ودلالة هذه الأسماء على الاستقبال مثلا تجعلها عاملة عمل الفعل.

5- إنّ السياق بقرائنه كان هو وحده الكفيل بتحديد الدلالة الدقيقة للاسم العامل عمل الفعل، فاسم الفاعل "ضائق" في سياق قرآني خاص دلّ على الحدوث، ودلّ اسم الفاعل "عالم" في سياق آخر على الدوام، وذلك في مقام المدح في صفات الله عزّ وجلّ.

6- لقد خرجت كثير من أمثلة الأسماء العاملة عمل الفعل عن أصل دلالتها لأداء أغراض بلاغية خاصة، فدل المصدر مثلا على الأمر والوصف في سياقات تقتضي الإبلاغ فيهما، ودلّ اسم التفضيل على الوصف الثابت دون دلالة على التفضيل في سياقات اقتضت إفادة التفرد في الصفة أو المدح بها والمبالغة فيها.

7- تنوعت الأغراض البلاغية لاستخدام هذه الأسماء في القرآن الكريم، لكنها أفادت عموما التأكيد، لكونها شكّلت غالبا نواة بناء الجملة الاسمية المفيدة للاستمرار والثبوت في مقابل الجملة الفعلية المفيدة للحدوث والتجدد، وقد استوقفت هذه المقابلة الكثير من المفسرين للإشارة إليها.

8- إن القيمة البلاغية للأسماء العاملة عمل الفعل، أمر تكتسبه من دلالتها الإفرادية الخاصة ومن موقعها في التركيب، فلا مجال إذا لفصل درسها النحوي عن درسها الدلالي، ولا مجال لفصل هذين عن درسها البلاغي، إذا أريد فهم سماتها البلاغية.

9- إن تعدّد الاحتمال في دلالة اللفظ الواحد من القرآن، أو اختلاف القراءات فيه، يعدّ سمة من سمات غنى الدلالات للغة القرآن الكريم، كما يعكس كل وجه من أوجه هذا الاحتمال قيمة من القيم البلاغية، ومثال ذلك ما رأيناه في قراءة اسم الفاعل "ذائقة بالإضافة تارة وبالتنوين أخرى وقراءة المصدر وصيّة بالرفع أو بالنصب.

واللّٰه أسألُ التوفيقَ والسداد

فهرس المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع

أوّلا: المصادر:

القرآن الكريم برواية ورش، طبع بإشراف المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

1) ابن الأثير ضياء الدين: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1416هـ-1995م.

2) ابن جنّي أبو الفتح عثمان:

- الخصائص: تحقيق محمد علي النجّار، المكتبة العلمية، بيروت دون تاريخ.
- اللمع: تحقيق الدكتور حسين شرف، عالم الكتب، بيروت 1979م

3) ابن خالويه أبو عبد الله الحسين بن أحمد: إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، تحقيق محمد إبراهيم سليم، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة- الجزائر 1992م.

4) ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد: المقدّمة، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى 1413هـ- 1993م.

5) ابن السرّاج أبو بكر محمد بن سهل: الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى 1405هـ-1985م.

6) ابن سيده أبو الحسن عليّ بن إسماعيل: المخصّص، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر المحمية، الطبعة الأولى 1319هـ.

7) ابن الشجري ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي: الأمالي الشجرية، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت (دون تاريخ).

8) ابن عصفور عليّ بن مؤمن بن عليّ: المقرّب، تحقيق أحمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبّوري، مطبعة العاني، بغداد الطبعة الأولى 1971م.

9) ابن عقيل بهاء الدين عبد الله العقيلي: شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك، تحقيق حنّا الفاخوري، دار الجيل بيروت (دون تاريخ).

10) ابن فارس أبو الحسن أحمد:

- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة 1977م.

- معجم مقاييس اللغة: تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت الطبعة الأولى 1411هـ-1991م.

11) ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم:

- أدب الكاتب، تحقيق محمّد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية 1406هـ - 1986م.
- تأويل مشكل القرآن: شرحه وفسَّرَهُ أحمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت الطبعة الثالثة، 1401هـ - 1981م.
- عيون الأخبار: نسخة مصوّرة عن طبعة دار الكتب العلمية، المؤسسة المصريّة العامّة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر (دون تاريخ).

12) ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر بن أيّوب: بدائع الفوائد، عني بتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله دار الكتاب العربي، بيروت(دون تاريخ).

13) ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم، تصحيح وتدقيق وتنقيح محمود عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى 1422هـ - 2001م.

14) ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني: سنن ابن ماجه، تحقيق محمّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1395هـ - 1975م.

15) ابن مالك أبو عبد الله جمال الدين محمد: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تحقيق محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي، بيروت 1387هـ - 1967م.

16) ابن مضاء أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن القرطبي: الردّ على النحاة، تحقيق الدكتور شوقي ضيف، دار الفكر العربي- القاهرة 1947م.

17) ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر- بيروت، الطبعة الأولى 1374هـ - 1955م.

18) ابن المنيّر ناصر الدين أحمد بن محمد الاسكندري المالكي: الإنصاف فيما تضمَّنه الكشّاف من الاعتزال، بحاشية الكشاف للزمخشري، دار الفكر بيروت الطبعة الأولى 1397هـ - 1977م.

19) ابن هشام أبو محمد عبد الله جمال الدين المصري:
- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، رتّبه وشرحه عبد الغني الدقر، دار الكتب العربية، ودار الكتاب، دمشق-سوريا (دون تاريخ).
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: تحقيق حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت الطبعة الثانية، 1417هـ- 1997م.

20) ابن يعيش موفق الدين يعيش بن عليّ: شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت- مكتبة المتبني- القاهرة (دون تاريخ).

21) أبو حيّان محمد بن يوسف الأندلسي: البحر المحيط، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة 1992م.

22) أبو السعود محمد بن محمد مصطفى: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، بحاشية التفسير الكبير للرازي، المطبعة العامرة الشرفية، مصر، الطبعة الثانية 1324هـ.

23) أبو الطيّب اللغوي: مراتب النحويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، بيروت 1974م.

24) الأزهري أبو منصور محمد بن أحمد:
- تهذيب اللغة، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني وجماعة، القاهرة 1966م.
- معاني القراءات، تحقيق الدكتور عيد مصطفى درويش والدكتور عوض بن حمد القوزي دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1412هـ-1991م.

25) الأستراباذي رضي الدين محمد بن حسن: شرح الكافية في النحو، دار الكتب العلمية، بيروت (دون تاريخ).

26) الأسد أبادي القاضي عبد الجبّار أبو الحسن بن أحمد بن عبد الجبّار: المغني في أبواب التوحيد والعدل تحقيق أمين الخولي، دار الكتب المصرية، القاهرة (دون تاريخ).

27) أطفيش محمد بن يوسف: تيسير التفسير، مطبوعات وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، الطبعة الثانية، 1413هـ - 1993م.

28) الألوسي شهاب الدين محمود: روح المعاني في تفسر القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت (دون تاريخ).
29) الأنباري أبو البركات عبد الرحمن بن محمد:
- أسرار العربية: دار الجيل، بيروت،الطبعة الأولى-1995م.
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، المكتبة العصرية، بيروت 1987م.
- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق إبراهيم السامرائي، بغداد، الطبعة الثانية 1970م.

30) الأنصاري أبو يحيى زكريا: فتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن، تحقيق محمد علي الصابوني مكتبة رحاب، الجزائر، الطبعة الثانية 1408هـ- 1988م.
31) البغدادي عبد القادر بن عمر: خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه الدكتور نبيل طرفي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1418هـ- 1998م.
32) بن عاشور محمد الطاهر: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984م.
33) البيضاوي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، صححه محمد سالم محيسن وشعبان محمد اسماعيل، مكتبة الجمهوريّة العربيّة، مصر (دون تاريخ).
34) ثعلب أبو العباس أحمد بن يحي: الفصيح، تحقيق ودراسة الدكتور صبيح التميمي، دار الشهاب، باتنة الجزائر (دون تاريخ).
35) الجرجاني الشريف عليّ بن محمد بن عليّ:
- التعريفات: تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الريّان للتراث، بيروت (دون تاريخ).
- حاشية الشريف الجرجاني على كشاف الزمخشري، بحاشية الكشاف للزمخشري، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، 1397هـ - 177م.

36) الجرجاني عبد القاهر بن عبد الرحمن، دلائل الإعجاز في علم المعاني، قرأه وعلّق عليه أبو فهر محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، دار المدني، جدّة، الطبعة الثالثة، 1413هـ - 1992م.

37) حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، منشورات مكتبة المثنّى، بيروت (دون تاريخ).

38) الخطّابي أبو سليمان أحمد بن محمد إبراهيم: بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية 1968م.

39) الخفّاجي شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر المصري: شرح درّة الغوّاص في أوهام الخوّاص، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، بيروت 1997م.

40) الخنساء تماضر بنت الشريد: ديوان الخنساء، تحقيق وشرح كرم البستاني، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية 1977م.

41) الدامغاني أبو جعفر محمد بن عيسى: قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر، دار العلم، بيروت، الطبعة الأولى-1307هـ.

42) الرازي فخر الدين محمد بن عمر: التفسير الكبير المسمّى مفاتيح الغيب، المطبعة الخيرية، المنشأة بجمالية مصر المحمية، الطبعة الأولى-1307هـ.

43) الراغب الأصبهاني أبو القاسم الحسين بن محمد: معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، تحقيق نديم مرعشلي، دار الكاتب العربي، بيروت 1392هـ - 1972م.

44) رضا محمد رشيد: تفسير المنار، دار المعرفة، بيروت (دون تاريخ).

45) الرمّاني أبو الحسن عليّ بن عيسى: النّكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر الطبعة الثانية 1968م.

46) الزجاج أبو بكر أحمد بن الحسين: إعراب القرآن المنسوب للزجاج، تحقيق ودراسة، إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الثالثة، 1406هـ - 1986م.

47)الزجاجي أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق: الجمل في النحو، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة 1996م.
48)الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، الطبعة الأولى 1376هـ- 1957م.
49)الزمخشري جار الله محمود بن عمر:
- أساس البلاغة، دار بيروت للطباعة والنشر 1965م.
- الكشاف: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 1397هـ - 1977م.
- المفصّل في صنعة الإعراب، دار الجيل، بيروت (دون تاريخ)

50)السكاكي سراج الدين أبو يعقوب يوسف: مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، (دون تاريخ).
51)السهيلي أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الأندلسي: الروض الأنف في شرح السيرة النبويّة، تحقيق وتعليق وشرح عبد الرحمن الوكيل، دار النصر، القاهرة 1389هـ - 1969م.
52)سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى (دون تاريخ).
53)السيوطي جلال الدين عبد الرحمن:
- الإتقان في علوم القرآن: المكتبة الثقافية، بيروت 1973م.
- الأشباه والنظائر في النحو: راجعه وقدم له الدكتور فايز ترحيني، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1404هـ -1984م.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها: تعليق محمد جاد الولى بك، محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت 1986م.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن: تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر، بيروت، الجزء الأول دون تاريخ، الجزء الثاني 1970م، الجزء الثالث 1973م.

- همع الهوامع شرح جمع الجوامع: تصحيح السيد محمد بدر الدين النعساني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت (دون تاريخ).

54) الشريف الرضيّ أبو الحسن محمد بن الحسين: تلخيص البيان في مجازات القرآن تحقيق: محمد عبد الغني حسن، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة 1955م.

55) الشنقيطي أحمد بن الأمين: الدرر اللوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع، وضع حواشيه، محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى 1319هـ - 1999م.

56) الشوكاني محمد بن علي بن محمد: نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، دار الكتب العلمية، بيروت (دون تاريخ).

57) العسكري أبو هلال الحسن بن عبد الله:

- الصناعتين: تحقيق علي محمد البجاوي وأبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت 1986م.
- الفروق اللغويّة: تحقيق محمد باسل عيون السد، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى 1421هـ - 2000م.

58) العكبري أبو البقاء عبد الله بن الحسين: التبيان في إعراب القرآن، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية 1407هـ- 1983م.

59) الغرناطي أحمد بن إبراهيم بن الزبير: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، تحقيق سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي: بيروت، الطبعة الأولى 1403هـ - 1983م.

60) الفارسي أبو عليّ الحسن بن أحمد: التكملة وهي الجزء الثاني من الإيضاح العضدي، تحقيق حسن شاذلي فرهود، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1984م.

61) الفرّاء أبو زكريا يحي بن زياد: معاني القرآن:

- الجزء الأول، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الثانية 1980م.

- الجزء الثاني:تحقق محمد علي النجّار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة (دون تاريخ).

62) الفراهيدي الخليل بن أحمد: الجمل في النحو المنسوب للخليل، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، مؤسسة الرسالة، بيروت 1985م.

63) الفيروز أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب:

- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق محمد علي النجّار،دار الكتب العلمية، بيروت،الطبعة الثانية 1406هـ - 1986م.
- القاموس المحيط: دار الكتب العلمية، بيروت 1995م.

64) القالي أبو عليّ إسماعيل بن القاسم: أمالي القالي، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى 1344هـ.

65) القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد الأندلسي: الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1405هـ - 1985م.

66) الكرماني محمود بن حمزة: أسرار التكرار في القرآن المسمّى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجّة والبيان، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا مراجعة وتعليق أحمد عبد التوّاب عوض، دار الفضيلة بيروت (دون تاريخ).

67) الكفوي أبو البقاء أيوب بن موسى: الكليّات، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، الطبعة الثانية 1982م.

68) المبرّد أبو العبّاس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر: المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة 1977م.

69) المرادي الحسن بن قاسم: الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ومحمد نبيل فاضل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية 1983م.

70) المقرّي أحمد بن محمد التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق الدكتور إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت 1408هـ- 1988م.

71) المنذري عبد القوي: الترغيب والترهيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة 1388هـ- 1968م.
72) الميداني أحمد بن محمد: نزهة الطرف في علم الصرف، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى 1981م.
73) النحّاس أبو جعفر أحمد بن حمد: شرح أبيات سيبويه، تحقيق أحمد خطّاب، مطابع المكتبة العربية، حلب سوريا، الطبعة الأولى 1394هـ- 1974م.

ثانيا: المراجع:

1) الأشقر محمد سليمان عبد الله: زبدة التفسير من فتح القدير للشوكاني، دار المؤيد، الرياض، الطبعة السادسة 1421هـ- 2000م.
2) أمين أحمد: ضحى الإسلام: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الخامسة، 1371هـ - 1952م.
3) بكري عبد الكريم: ابن مضاء وموقفه من أصول النحو العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1402هـ - 1982م.
4) بلعيد صالح: التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند عبد القاهر الجرجاني، ديوان المطبوعات الجامعة 1994م.
5) بوخلخال عبد الله: التعبير الزمني عند النحاة العرب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1987م.
6) الحديثي، خديجة عبد الرزّاق: أبنية الصرف في كتاب سيبويه، مكتبة النهضة، بغداد 1965م.
7) حسان تمام:
- الأصول: دراسة ابستمولوجية لأصول الفكر اللغوي عند العرب، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب الطبعة الأولى 1401هـ -1981م.
- اللغة العربية معناها مبناها، إر الثقافة، الدار البيضاء، المغرب (دون تاريخ).
8) حسن عباس: النحو الوافي دار المعارف، مصر، الطبعة الخامسة ما بين 1973م - 1976م.

9) الحملاوي أحمد: شذا العرف في فن الصرف، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة،الطبعة الخامسة 1345هـ - 1928م.
10)الخضري محمد الأمين: الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ، دراسة تحليلية للإفراد والجمع في القرآن، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة،الطبعة الأولى 1413هـ - 1993م.
11)الخطيب عبد الكريم: الإعجاز في دراسات السابقين، دار المعرفة، بيروت الطبعة الثانية 1975م.
12)خليل السيد أحمد: المدخل إلى دراسة البلاغة العربية، دار النهضة العربية، بيروت 1968م.
13)درّاز محمد عبد الله: النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، دار القلم، الكويت الطبعة الرابعة 1397هـ - 1977م.
14)الراجحي شرف الدين علي: الدرس اللغوي في سورتي سبأ وفاطر، دار المعرفة الجامعة، مصر الطبعة الأولى 1992م.
15)الريحاني محمد عبد الرحمن، اتجاهات التحليل الزمني في الدراسات اللغوية، دار قباء، القاهرة، الطبعة الأولى 1998م.
16)الزين سميح عاطف: الإعراب في القرآن الكريم، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى 1405هـ - 1985م.
17)سعد محمود توفيق محمد: صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم، مطبعة الأمانة، مصر، الطبعة الأولى 1413هـ- 1993م.
18)سلامة إبراهيم: بلاغة أرسطو بين العرب واليونان، مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة الثانية 1975م.
19)السيد شفيع: البحث البلاغي عند العرب، تأصيل وتقييم، دار الفكر العربي، مصر الطبعة الثانية 1416هـ- 1996م.
20)الشاذلي أبو السعود حسنين: المركب الاسمي الاسنادي وأنماطه من خلال القرآن الكريم، دار المعرفة الجامعية، مصر، الطبعة الأولى 1410هـ - 1990م.

21)شاهين توفيق محمد: عوامل تنمية اللغة العربية، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية 1414هـ - 1993م.
22)شاهين عبد الصبور: المنهج الصوتي للبنية العربية، مؤسسة الرسالة، بيروت 1980م.
23)طبانة بدوي: البيان العربي دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها، دار الثقافة، بيروت 1986م.
24) عضيمة محمد عبد الخالق: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة،(دون تاريخ).
25)عمر أحمد مختار وعبد العال سالم مكرم: معجم القراءات القرآنية، مطبوعات جامعة الكويت، الطبعة الأولى 1405هـ- 1985م.
26)العمري أحمد جمال: المباحث البلاغية في ضوء قضيّة الإعجاز القرآني نشأتها وتطورها حتى القرن السابع الهجري، مكتبة الخانجي، القاهرة 1410هـ- 1990م.
27)عيد رجاء: في البلاغة العربية، مكتبة الطليعة، أسيوط، مصر (دون تاريخ).
28)الغلاييني مصطفى: جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة الثالثة والثلاثون 1417هـ - 1997م.
29)فريحة أنيس: نظريّات في اللغة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الثانية 1981م.
30)قباوة فخر الدين:
- إعراب الجمل وأشباه الجمل، منشرات دار الآفاق الجديدة، بيروت الطبعة الثالة، 1401هـ - 1981م.
- تصريف الأسماء والأفعال، مطبوعات جامعة حلب، كليّة الآداب، سوريا الطبعة الأولى 1967م.

31)قليقله عبد العزيز: البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي، القاهرة 1992م.
32)محسين محمد سالم: تصريف الأفعال والأسماء في ضوء أساليب القرآن، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى 1407هـ- 1987م.

33)مصطفى إبراهيم: إحياء النحو، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1937م.
34)نحلة محمود أحمد: دراسات قرآنية في جزء عمّ، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية القاهرة الطبعة الأولى 198م.
35)نويهض عادل: معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، قدّم له مفتي الجمهورية اللبنانية، حسن خالد، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى 1404هـ - 1984م.
36)الهاشمي السيد أحمد: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتوثيق وتدقيق الدكتور يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت الطبعة الأولى 1420هـ- 1999م.
37)اليسوعي الأب رفاييل نحلة: غرائب اللغة العربية، دار المشرق، بيروت الطبعة الثالثة 1984م.
38)يعقوب إميل بديع: معجم الأوزان الصرفية، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى 1413هـ- 1993م.

ثالثا: الأبحاث الواردة بالدوريات العربية:

1) حجاب سيّد عبد الفتّاح: نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني وصلتها بقضيّة اللفظ والمعنى، مقال بمجلّة كليّة اللغة العربيّة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربيّة السعودية، العدد 09، 1399هـ- 1979م.
2) سبع توفيق محمد الجوهري: أفعل التفضيل في القرآن، مقال بمجلّة كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية العدد 12، 1406هـ - 1986م.
3) سلوم تامر سلوم: التعريف والتنكير في القرآن، قراءة في كشاف الزمخشري، مقال بمجلة النهل الشهرية للآداب والعلوم والثقافة، العدد 557، محرّم 1420، أفريل- ماي 1999م.
4) عبد الله محمد المختار محمد المهدي، اسم المصدر بين أقوال النحاة واستعمال القرآن الكريم، مقال بمجلة كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة مكرمة، مجلة سنوية، السنة الأولى، العدد الأول 1401هـ - 1402م.

5) قاسم أحمد محمد: من الظواهر النحوية في القرآن الكريم، مقال بمجلة المنهل، السعودية عدد 491، ربيع الأول - ربيع الثاني 1413هـ/سبتمبر- أكتوبر 1991م.

رابعا: المجلّات:

1) مجلّة المجمع العلمي العربي: دمشق صفر 1384هـ/ يوليو 1964م.

خامسا: المراجع من شبكة الأنترنات:

1) العبادي أحمد بن قاسم: رسالة في اسم الفاعل،من موقع الورّاق www.Alwarraq.com

2) مطهري صفية: الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، دراسة من منشورات اتحاد الكتاب العرب، أكتوبر 2003 في موقع الاتحاد www.awu-dam.net

فهرس الموضوعات

المقدمة..... أ-ج

المدخل: علاقة البلاغة بالنحو 01-12

-1- العلاقة التاريخية بين النحو والبلاغة : 3

-2- اعتماد البلاغة على معطيات النحو: 6

-3- نظرية النظم رباط بين النحو والبلاغة..... 10

الفصل الأول : الأسماء العاملة عمل الفعل في مستويات لغوية ثلاث: الصرف والنحو والدلالة 13-61

أولا: نظرية العامل بين المؤيدين والمعارضين: 14

ثانيا: اسم الفاعل :..... 18

-1- اسم الفاعل مورفولوجيا :..... 18

-2- اسم الفاعل في المستوى النحوي: 21

-3- اسم الفاعل في المستوى الدلالي:..... 25

ثالثا: اسم المفعول : 31

-1- اسم المفعول مورفولوجيًا:..... 31

-2- اسم المَفعول في المستوى النحويّ:..... 32

-3- اسم المفعول في المستوى الدلالي : 34

رابعا: الصفة المشبهة : 35

-1- الصفة المشبهة مورفولوجيا:..... 35

-2- الصفة المشبهة في المستوي النحوي:..... 37

-3- الصفة المشبهة في المستوى الدلالي: 40

خامسا: المصدر: 42

-1- المصدر في المستوى المورفولوجي: 43

-2- المصدر في المستوى النحوي:..... 44

-3- المصدر في المستوى الدلالي: 47

سادسا: اسم التفضيل: 51
-1- اسم التفضيل مورفولوجيا: 51
-2- اسم التفضيل في المستوى النحوي: 52
-3- اسم التفضيل في المستوى الدلالي: 55
سابعا: أسماء الأفعال: 56
-1- موقع أسماء الأفعال من أقسام الكلام العربي: 57
-2- أسماء الأفعال في المستوى النحوي: 58
-3- أسماء الأفعال في المستوى الدلالي: 59
الفصل الثاني: أسماء الفاعلين العاملة عمل فعلها، دلالاتها وسماتها البلاغية في القرآن الكريم. 62-104
أوّلاً: أسماء الفاعلين من الثلاثي: 64
آثم 64
باخع 66
باسط 68
تابع 70
ثَانِيَ 71
جَازٍ 72
جَاعِل 73
خارج 74
خاشع 75
ذائق 76
ضائق 78
ظالم 79
عابد 80
عالم 81
فالق 82
كاظم 83
مانع 84

ناظر 85
ناكس 86
ثانيا: أسماء الفاعلين من غير الثلاثي: 87
مبصر 87
محيط 88
مخرج 90
مخلف 91
معجز 93
مقيم 94
ملاقٍ 95
منزل 96
مهلك 96
موف 98
مُوفٍّ 99
ثالثا: صيغ المبالغة : 99
سمّاع 100
ظلاّم 100
علاَّم 101
قوَّام 102
مشَّاء 103
الفصل الثالث : المصادر وأسماء التفضيل وأسماء الأفعال وأسماء المفعولات والصفات المشبهة، دلالاتها وسماتها البلاغية في القرآن الكريم 105-140
أولا: المصادر: 106
-1- مصادر الثلاثي: 106
باطل 106
دفع 107
ذِكْرُ 108

ضرب 109
فكّ 110
مقت 111
-2- مصادر غير الثلاثي: 112
اِتّباع 112
إحسانًا 114
تصديق 115
استعجال 115
إصلاح 116
نظرةٌ 117
وصيّة 117
ثانيا: أسماء التفضيل 118
أَحَبُّ 119
أحرص 120
أحسن 121
أخْفَى 122
أعلم 123
أزكى 123
أشد 124
أقسط 125
أنكر 126
أوهن 127
ثالثا- أسماء الأفعال: 128
عليكم 128
مكانكم 129
هاؤم 130
هَلُمَّ 130

هيت 131
هيهات 132
رابعا: أسماء المفعولات: 133
1- أسماء المفعولات من الثلاثي: 133
مجموع 133
مفعول 135
2- أسماء المفعولات من غير الثلاثي: 136
متبّر 136
خامسا: الصفات المشبهة: 137
بديع 138
مختلف 139
الخاتمة 141
فهرس المصادر والمراجع 144
فهرس الموضوعات 158